العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and Cultural Affairs Division of thought and creativity

شهر شوال

شهر ذو القعدة

شهر ذو الحجة

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

صدق الله العلي العظيم

الإشـــراف الـعـام

الـسـيـد لـيـث الـمـوسـوي

السلامة الفكرية

السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير

رضوان عبدالهادي عبد الخضر

مدير التّحرير

حيدر فائق الهنداوي

هيأة التّحرير

صباح نعيم الصافي

ياسين خضير عبيس

حسين فاضل الحلو

محمد يوسف محمد صالح

سيف هاني اسماعيل

المراجعة اللغوية

محمد رضا الأسدي

المشاركون

السيد رضا الموسوي

السيد عصام الخرسان

الشيخ نصير الأسدي

التصميم و الإخراج الفنّي

حسين عقيل | ميثم القرعاوي | حسين شمران

التنفيذ الطباعي

دار الكفيل

للطباعة والنشر والتوزيع

.. للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث و المقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته(عليهم السلام).

ترسل المشاركات على العنوان الاتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الإسكان / خلف متنزه الحسين -عليه السلام- الكبير

التواصل مع المجلة :

alsadda@alkafeel.net

info@alkfeel.net

في البدء

التطور هو مقياس لمدى استمرارية ثقافة الأمم وهو النسق الطبيعي الذي تسير فيه أغلب دول العالم ولكننا نجد أن بعض المجتمعات البعيدة فكرياً عن القرآن الكريم وعن الرسول الأعظم محمد وآل بيته -صلوات الله عليهم- إشكالات متعددة على مستوى تفاعلاتها مع المجتمعات الأخرى. فنلاحظ أغلب دول العالم تتمسك بأبسط المعالم التاريخية والثقافية مهما كانت بساطة هذا المعلَم، أو الشخصية التي تمثله، وفي المقابل نلاحظ تطاول أعتى الفرق الضالة والملعونة والزمرة الوهابية على العتبات المقدسة التي تضم مراقد أهل بيت رسول الله -عليهم الصلاة والسلام- من خلال فاجعة هدم قبور أئمة البقيع -عليهم السلام- وذلك في الثامن من شهر شوّال سنة ١٣٤٣هـ، نتيجة لأفكار متخلفة ومنحرفة تدل على حقد دفين، وقد توالت هذه الأحقاد على مدى العصور والدهور إذ خالفوا وصية رسول الله-صلى الله عليه وآله- وهو على فراش الموت بغصب الخلافة من أمير المؤمنين-عليه السلام-، وكسر ضلع بنت رسول الله -عليها السلام- وتوالت الأحقاد بعد ذلك على أبناء رسول الله من رشق نعش الإمام الحسن -عليه السلام- بالسهام، وقتل ابن بنت رسول الله وسبي أهل بيته -صلوات الله عليهم-، فليس منهم إلَّا مسموم أو مقتول، وكانت هذه الأعمال الهمجية التي لا تمت للإنسانية بصلة هدفها محو ذكر أهل بيت النبوة-عليهم السلام-، ولكن هذه الأعمال لم تزدهم إلَّا نوراً واشعاعاً في جميع بقاع العالم، فذكرهم في بلاد العرب والعجم منتشر، ونورهم يهدي كلَّ من اهتدى به.

المحتوى

شهر شوال

دروس وعبر من غزوة الأحزاب(٦٢٦ م – ٥ هجرية) ٨
بناء القبور شرك أم توحيد؟..... ١٢
معجزة رد الشمس ٢٢
الشباب في سيرة الإمام الصادق –عليه السلام– ٣٢

شهر ذو القعدة

السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ٤٢
شذرات من قيادة الإمام الرضا –صلوات الله عليه– ٥٠
من أخلاق الإمام الرضا عليه السلام..... ٦٢
الرفض والقبول في الشعر بين الإمام الرضا –عليه السلام – وخلفاء الدولة العباسية..... ٧٠

شهر ذو الحجة

زواج فاطمة الزهراء من أمير المؤمنين عليهما السلام..... ٧٨
المنهج التّثقيفي عند الإمام الباقر (عليه السلام) ٨٨
ثقافة الغدير ٩٨
وقعة الحرّة مأساة في حرم الرسول –صلى الله عليه وآله– ١٠٨
عظمة عيد الغدير ١١٦
المضمون العام لرحلة الحج..... ١٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم

شهر شوال

- دروس وعبر من غزوة الأحزاب(٦٢٦ م – ٥ هجرية)
- بناء القبور شرك أم توحيد؟
- معجزة رد الشمس
- الشباب في سيرة الإمام الصادق –عليه السلام–

دروس وعبر من غزوة الأحزاب (٦٢٦م - ٥ هجرية)

السيد عصام الخرسان

كانت معركة الخندق في شوّال سنة خمس من الهجرة النبوية المباركة.

وذلك حيث اجتمع اليهود على نقض العهد والميثاق الذي كان بينهم وبين رسول الله -صلى الله عليه وآله- واتفقوا مع كفّار قريش على محاربة النبي -صلى الله عليه وآله- فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني قرارة، والحارث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن دخيلة في من تابعه من قومه من أشجع، وتوجهوا في عشرة آلاف، وقيل: في ثمانية عشر ألف رجل، نحو المدينة.

وجمع رسول الله -صلى الله عليه وآله- المسلمين واستشارهم وكان سلمان المحمدي-رضوان الله عليه- قد أشار بحفر خندق حول المدينة؛ ليكون بين المسلمين والكافرين حجاباً فيؤخرهم الخندق عن الهجوم السريع..

واستحسن النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- والمسلمون رأيه، فأمر -صلى الله عليه وآله- أصحابه بحفر الخندق، وجعل على كل عشرين أو ثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والأنصار يحفرونه، وقد حمل رسول الله -صلى الله عليه وآله- بنفسه معهم، وظل يحفر حتى عرق جبينه الشريف.

ولمّا عرف المشركون بحفر الخندق حول المدينة تضايقوا، وأخيراً هجم خمسة من أبطالهم وعلى رأسهم (عمرو بن عبد ود) فاجتاز عمرو الخندق وأخذ يطلب البراز من المسلمين وينادي فيهم برفيع صوته: هل من مبارز؟ هل من مبارز؟

فلم يجبه أحد ... إلَّا أمير المؤمنين علي -عليه السلام- .. فخرج الإمام علي -عليه السلام- إلى عمرو، ووقف النبي -صلى الله عليه وآله- وأصحابه ينظرون إليه، وقد دمعت عينا رسول الله-صلى الله عليه وآله- وأخذ يدعو لعلي -عليه السلام- بالنصر ويقول: "برز الإيمان كلُّه إلى الشرك كلِّه"[1].

وبدأت المعركة، وقد قَتَل الإمام علي -عليه السلام- عمرو بن عبد ود، فلمّا رأى الكفار ذلك تفرّقوا، وكفى الله المؤمنين القتال بأمير المؤمنين علي -صلوات الله عليه- .

وهناك مجموعة من الدّروس والعبر المنتقاة من غزوة الأحزاب التي وقعت بين النّبي -صلى الله عليه وآله- وبين الأحزاب المعتدين من أهل قريش واليهود وكفار العرب الذين أرادوا إزالة الإسلام من معقله ومن منبته في المدينة المشرفة زادها الله شرفاً ونوراً، وسوف نأخذ من دروسها وعبرها ما ينفع كلَّ مؤمن لبيب عاقل.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٠/ ص٢١٥.

فمن تلك الدروس:

١- أنَّ اجتماع الأحزاب وأعداء الإسلام على الدين وأهله عادة ماضية في كلّ زمان ومكان، فلا تنقطع عداوتهم، وفي ذلك حكمة بالغة في الرجوع إلى الله-تعالى-، وصدق التّوكّل عليه، والإنابة والذّل وإظهار الحاجة، وبذل الغالي لهذا الدّين، قال -تعالى-: « يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»(١). إلا أنّ الله -عز وجل- حامي دينه، وناصر عباده المؤمنين لكن الأمر مشروط بشروطه، ومقيَّد بقيوده:

« إِن تَنصُرُوا اللّهَ يَنصُرْكُمْ»(٢).

٢- ومن الدروس أنَّ الله -عز وجل- يحفظ عباده المؤمنين في معاركهم ويمدَّهم بجيش من عنده ولا يضيعهم، كما أنزل عليهم الملائكة يوم بدر، وأرسل الريح في غزوة الأحزاب. كما قال-سبحانه-: « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»(٣) وقال-جلَّ جلاله-: « إِنَّ اللّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا»(٤). وهنا في الأحزاب قال -تعالى-: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا»(٥).

٣- ومن الدروس أيضاً أنَّ المؤمن لا تزيده الكروب والشَّدائد إلَّا إيماناً ويقيناً وصلابة بخلاف الذين في قلوبهم مرض، وفي ظل هذه الغزوة، وهذا الجو الشَّديد، والكرب العظيم، انقسم الناس على قسمين: قسم آمن بوعد الله ونصره، كما قال -تعالى-: « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً»(٦).

وأمَّا المنافقون والذين في قلوبهم مرض فقد زاغت قلوبهم، عندما رأوا جموع الكفار وعدَّتهم، كما صور ذلك -سبحانه وتعالى-: « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً»(٧).

وأما المنافقون فقد تنصلوا من الجهاد وهربوا منه.«وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً»(٨).

٤- ومن الدروس المستفادة من هذه المعركة أنَّ على القائد أن يستشير أصحابه، ويأخذ آراءهم، كما استشار الرسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله- أصحابه، فأشار سلمان المحمدي -رضوان الله عليه- وقال: يا رسول

---

(١) سورة التوبة/ الآية :٣٢.
(٢) سورة محمد/ الآية :١٧.
(٣) سورة الروم/ الآية :٤٧.
(٤) سورة الحج/ الآية :٣٨.
(٥) سورة الأحزاب/ الآية: ٩.
(٦) سورة الأحزاب/ الآية: ٢٢.
(٧) سورة الأحزاب/ الآية: ١٣.
(٨) سورة الأحزاب/ الآية:١١٣.

الله: « إنا كنَّا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا». فاستحسن رسول الله –صلى الله عليه وآله– هذا الرأي منه وعمل به، وكان ممّا لم تعرفه العرب.

٥– ومن الدّروس المستفادة أنّه يجب على المسلمين إعداد العدّة، واتخاذ وسائل القوّة الممكنة مهما كان مصدرها؛ لأنَّ الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها أخذها، فحفر الخندق يدخل في مفهوم القوّة لقوله –تعالى–: « وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ»(١).

٦– ومن الدروس أنَّ على المسلم الاستسلام لله ورسوله–صلى الله عليه وآله– فإنَّه سبب للثبات عند الشَّدائد، كما جاء في سورة الأحزاب: « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِيناً»(٢). وهذه الآية تؤكِّد على هذا المعنى وهو الاستسلام لله –تعالى– والامتثال لأوامره وأوامر رسوله–صلى الله عليه وآله–، ولو لم يعرف المسلم الحكمة من وراء ذلك.

٧– أنَّ النبي –صلى الله عليه وآله– أعطى مثلاً حيّاً على رأفته بالمؤمنين، حيث شاركهم في حفر الخندق، ويوم أشركهم معه في طعام جابر، ولم يستأثر به.

وهذا مصداق قول الله –تعالى–: « لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ»(٣). فهو –صلى الله عليه وآله– أرحم بهم، وأشد رفقاً حتى في أحلك الظروف، وأشد المواقف.

٨– إنَّ المعجزات الكثيرة التي أجراها الله على يد نبيّه محمد –صلى الله عليه وآله– في هذه المعركة، سواء التي كانت في حفر الخندق، أو تكثير طعام جابر، أو الرياح التي كانت عذاباً من الله على المشركين، لهي من تأييد الله– تعالى– لرسوله الأعظم–صلى الله عليه وآله– والمؤمنين، ولإقامة الحجَّة على أعداء الدين.

٩– ومن الدروس أنَّ النصر في المعارك لا يكون بكثرة العدد، ووفرة السلاح، وإنَّما يكون بقوة الرّوح المعنوية لدى الجيش، وقد كان الجيش الإسلامي في جميع معاركه، يمثل العقيدة النَّقية والإيمان المتقد، والفرح بالاستشهاد، والرَّغبة في ثواب الله وجنَّته، كما يمثل الفرحة من الانعتاق من الضلال، والفرقة والفساد، بينما كان جيش المشركين يمثّل فساد العقيدة، وتفسّخ الأخلاق، وتفكّك الرّوابط الاجتماعية، والانغماس في الملذّات، والعصبية العمياء للتقاليد البالية، والآباء الماضين، والآلهة المزيفة.

١٠– ومن الدّروس أيضاً أنَّ الخدعة في حرب الأعداء مشروعة، إذا كانت تؤدّي إلى النصر، وأنَّ كل طريق يؤدي إلى النصر وإلى الإقلال من سفك الدّماء مقبول في نظر الإسلام، ما عدا الغدر والخيانة. فاللجوء إلى الخدعة في المعارك يلتقي مع الأخلاق الإنسانية التي ترى في الحروب شرّاً كبيراً، فإذا اقتضت الضرورة قيامها، كان من الواجب إنهاؤها

(١) سورة الأنفال/ الآية: ٦٠.
(٢) سورة الأحزاب/ الآية: ٣٦.
(٣) سورة التوبة/ الآية: ١٢٨.

عن أي طريق كان؛ لأنَّ الضرورة تقدر بقدرها، والله لم يشرّع القتال إلَّا لحماية دين أو أمّة أو أرض، فالخدعة مع الأعداء بما يؤدّي إلى هزيمتهم، تعجيل بانتصار الحق الذي يحاربه أولئك المبطلون.

ولذلك أثر عن الرسول -صلى الله عليه وآله- في هذه الغزوة قوله لعروة بن مسعود:(الحرب خدعة)[1] وهذا مبدأ مسلّم به في جميع الشّرائع والقوانين.

١١- في تقدم النّبي -صلى الله عليه وآله- الصفوف في هذه المعركة، وفي كلِّ معركة، وخوضه غمارها معهم دليل على أنَّ مكان القيادة لا يحتلّه إلا الشّجاع المتثبت، وأنَّ الجبناء خائري القوى لا يصلحون لرئاسة الشّعوب، ولا لقيادة الجيوش، ولا لزعامة حركات الإصلاح، ودعوات الخير، فشجاعة القائد والمبلغ بفعله وعمله يفيد في جنوده وأنصاره في إثارة حماسهم، واندفاعهم ما لا يفيده ألف خطاب حماسي يلقونه على الجماهير.

ومن عادة الجنود والأنصار أن يستمدوا قوَّتهم من قوّة قائدهم ورائدهم، فإذا جبن في مواقف اللقاء، وضعف في مواطن الشّدّة، أضر بالقضية التي يحمل لواءها ضرراً بالغاً.

١٢- ومن الدروس المستفادة أنَّ المنح تخرج من رحم المحن، فهذا رسول الله محمد -صلى الله عليه وآله- في هذا الظرف القاسي والشّديد، والمسلمون في حصار وجوع، وخوف شديد يضرب الصّخرة، ويبشّرهم بكنوز كسرى، ودخول المدائن، وفتح اليمن!

إنَّ زراعة الأمل في مثل هذا الظرف ليدل على مدى ثقة القائد بوعد الله ونصره ورباطة الجأش والطمأنينة الكبيرة.

هذا ما تيسر ذكره من الدّروس والعبر المستفادة من معركة الخندق.

نسأل الله -تعالى- أن يوفقنا لما يحب ويرضاه. وصلى الله على نبينا الأعظم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) صحيح مسلم/ج ٩/ ص ١٦٥.

بناء القبور شرك أم توحيد ؟

محاضرة الشهيد الشيخ نمر باقر النمر -رحمه الله-
تقرير: محمد رضا الأسدي

أهل بيت النبوة هم الذين عرفوا الله -تعالى- حق معرفته، قال النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله-: « يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك»[1] نعم لا يعرف الله من يُنكر آيات الله، أو من يُشكك في آيات الله ويدعي بأنَّ الرسول هجر.

فالتاريخ شاهد جلي على الموحدين وكاشف بجلاء عن أولئك الذين شككوا في نبوة الرسول فضلاً عن توحيد الله، فالتوحيد الخالص يوجد في البيوت الرفيعة، في بيوت النبوة، نقرأ الآية الكريمة حتَّى نعرف هذه البيوت:

(اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) هذا نور التوحيد الخالص الذي يضيء توحيداً خالصاً لا شائبة فيه ولا ظلمة للشرك فيه (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) لا يوجد شرك ولا كفر (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ) فنور التَّوحيد الإلهي مع نور العقل، ونور الوحي ونور العقل بِهما نُبصر نور التوحيد (نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)[2].

وشاء الله -سبحانه- أَن يجعل النبي هو سبيل النور ويجعل مودّة أَهل البيت -عليهم السلام- سبيل الهُدى يقول -سبحانه-: (قل لا أسئلكم عليه أجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[3] فمن يريد نور التوحيد الخالص يجده (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ)[4] لا في غيرها فالله -سبحانه- أَذِنَ أَن تُرفع هذه البيوت الرفيعة مادّياً ومعنوياً.

عن أنس بن مالك وعن بريدة قالا: قرأ رسول الله -صلى الله عليه وآله-: « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال» فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها ؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة -عليهما السلام-، قال: نعم من أفضلها»[5].

وأَفضل البيوت بيت الرسول -صلى الله عليه وآله- ثمَّ بيت علي وفاطمة -صلوات الله عليهما- فهذا البيت يجب أن يُرفع لا يُهدم.

فأعداء الرسول وأهل بيته -صلوات الله عليهم- يصفون بناء قبور بالشرك، نحن نأتي لهدم قبور البقيع ونناقش

(١) بحار الانوار / ج ٣٩ / ص ٨٤.
(٢) سورة النور/ الآية: ٣٥.
(٣) سورة الشورى/ الآية: ٢٣.
(٤) سورة النور/ الآية: ٣٦.
(٥) بحار الأنوار / ج ٢٣ / ص٣٢٥.

المسألة مفردة مفردة، وما من شيء إلَّا ولنا فيه دليل وبرهان ورؤيا وبصيرة،
وكمقدمة أذكر أبياتاً للإمام زين العابدين-عليه السلام- تبين خطر الجهل بالمعارف الحقة :

إنّي لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا

والان نأتي أوّلاً نأخذ الآيات؛ لنعرف كيف نتعاطى مع الآثار الإسلامية ومع قبور الصالحين، ومن يريد طمسها، نأتي في سورة الكهف وقصة أهل الكهف، وقد اختلف المشركون والمؤمنون لما ذهبوا إلى أصحاب الكهف، المشركون قالوا (ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا)[1] أي أطمسوهُم لا نريد لهم أثراً، بينما المؤمنون قالوا (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)[2] ليتضح من يبني ومن يطمس، فيقول الخالق -جل جلاله- (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)[3] فمنطق المؤمنين ومنطق المشركين واضح في القرآن الكريم (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ) [4] المشركون يتنازعون مع المؤمنين، قال المشركون – بقول مفسري السنة والشيعة- « ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا» قول المشركين البُنيان ليس معناه البناء بل الطمس؛ لكي لا يبقى لهم أثر، هؤلاء يؤمنون بالله لكن عِندهُم شرك، يؤمنون بتوحيد الألوهية توحيد الذات لكنهم مُشركون، «قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ» بقول مفسري السنة والشيعة يقولون هذا قولُ المؤمنين «لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا» فالمسجد يتخذ للعبادة.

هذه آثار قبور أَهل الكهف قالوا «لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا» فبالتالي أي رواية تأتي تتعارض مع وجود مسجد على قبر تُخالف القُرآن، وأي رواية تُقدَّم على كتاب الله-تعالى-، فهذا لا يمكن قبوله.

ونحنُ كذلك نتخذ على قبور أئمتنا مساجد نَعبد الله فيها، والأرض ليست متساوية بقيمتها « لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ»[5] فبركة البلد ببركة الرسول-صلى الله عليه وآله- وقُدسية المكان بقُدسية المكين، وشرفُ المكان بشرف المكين، الرسول-صلى الله عليه وآله- هو المكين ولا قيمة لهذه الأَرض بدون الرسول-صلى الله عليه وآله- فالأرض التي يُدفن فيها رسول الله تكون مُباركة ويُدفن فيها الحسن -سلام الله عليه- تكون مباركة.

نأتي للدليل الثاني وهو قوله -تعالى-: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى»[6] مقام أبراهيم حَجر وضع عليه إبراهيم-

(١) سورة الكهف/ الآية: ٢١.
(٢) سورة الكهف/ الآية: ٢١.
(٣) سورة الكهف/ الآية: ٢١.
(٤) سورة الكهف/ الآية: ٢١.
(٥) سورة البلد/ الآية: ١.
(٦) سورة البقرة/ الآية: ١٢٥.

عليه السلام- قدمه، هذا الحجر ببركة قدم إبراهيم-عليه السلام-
صار مُباركاً، فالعبادة هُناك تستحضر توحيد إبراهيم الخالص.

حينما نُصلي عند قبر الإمام علي-عليه السلام- أو عند قبر الإمام الحُسين-عليه السلام- نُصلي بصلاة علي-عليه السلام-، بسيفه البتار الذي هزم المشركين، الذي صعد على كتفي رسول الله وحطم الأَصنام.

ثالثاً: قال الله -تعالى-: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ»[1].

الصفا جبل (حجر) وهو مكان يُعبد فيه الله؛ لأنَّ هاجر وطأتهُ فقط وكذلك المروة .

ابن القيم يقول في (زاد المعاد) وهذا تلميذ ابن تيمية: « **وَأَنّ عَاقِبَةَ صَبْرِ « هَاجَرَ» وَابْنِهَا عَلَى الْبُعْدِ وَالْوَحْدَةِ وَالْغُرْبَةِ وَالتّسْلِيمِ إلَى ذَبْحِ الْوَلَدِ آلَتْ إلَى مَا آلَتْ إلَيْهِ مِنْ جَعْلِ آثَارِهِمَا وَمَوَاطِئِ أَقْدَامِهِمَا مَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُتَعَبّدَاتٍ لَهُمْ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَذِهِ سُنّتُهُ تَعَالَى فِيمَنْ يُرِيدُ رَفْعَهُ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَمُنّ عَلَيْهِ بَعْدَ اسْتِضْعَافِهِ وَذُلّهِ وَانْكِسَارِهِ**» [2] وهذه سُنة الله -تعالى- فيما يُريد رفعه من خلقه فيرفع مكانه ويجعله معبداً، وهذا الكلام يناقض حقيقة الأفعال الموجودة على الواقع عند المخالفين، وعلى رأيهم لا يريدون رفع مقام فاطمة الزهراء وأَهل البيت -صلوات الله عليهم- وهم من بيوت أَذِنَ الله أَن تُرفع يعني الله-سبحانه- أراد لهذه البيوت الرفعة، هذا بشأن القدسية والطهارة.

وفي رواية عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: « بينا الحسين بن علي عليهما السلام في حِجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال: يا أبه ما لِمَن زارك بعد موتك ؟ فقال: يا بنيَّ من أتاني زائرًا بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائرًا بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائرًا بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائرًا بعد موتك فله الجنة»[3].

عن الحسين بن محمد بن مالك، عن أخيه جعفر، عن رجاله يرفعه قال: كنت عند الصادق -عليه السلام- وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام- فقال: «يا ابن مارد من زار جدي عارفاً بحقه كتب الله له بكلِّ خطوة حجة مقبولة، وعمرة مبرورة، ياابن مارد والله ما يطعم الله النار قدمًا تغبرت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشيًا كان أو راكبًا، يا ابن مارد اكتب هذا الحديث بماء الذهب»[4].

هُناك رواية أُخرى عن أبي عامر التباني واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد -عليهما السلام- وقلت له: يا ابن رسول الله ما لمن زار قبره يعني أمير المؤمنين عليه السلام وعمر تربته؟ قال: «يا أبا عامر حدثني أبي عن أبيه، عن جده الحسين بن علي عليهم السلام، عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها، قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها ؟ فقال لي: يا أبا الحسن

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٥٨.
(٢) زاد المعاد/ ج١/ ص٧٠.
(٣) بحار الأنوار / ج ٩٧ / ص ١٤٢.
(٤) المصدر نفسه/ ج ٢/ ص ١٤٧.

إنَّ الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعًا من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإنَّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربًا منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي الواردون حوضي وهم زواري غدًا في الجنة. يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس. ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فابشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزنائها أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي»[1].

الذي يتعاهد ويبني هؤلاء هم النجباء، هؤلاء هم أهل التوحيد الخالص.

الروايات ناطقة في قول الرسول-صلى الله عليه وآله- «فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربًا منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله» إذن نحن نتقرب إلى الله -سبحانه- بهذا الإعمار، فعندما تُدفع الأموال لبناء مسجد، فهذا البناء هل هو من أجل الحجر الذي يبنى به المسجد، أم لأجل القربة إلى الله -تعالى- ؟!

«ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي الواردون حوضي وهم زواري غدا في الجنة. يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس. ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه»، ففي ذلك قربة إلى الله -تعالى- ومودة لرسوله الكريم وفي ذلك بشرى «فابشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

ولكن المشكلة في العقلية الجاهلة وهي الحثالة «ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزنائها أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي»

المذهب الشافعي والمذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الحنبلي إلا فئة قليلة منهم، كلّهم يتبركون بالقبور فنجد قبر أحمد بن حنبل يزورونه ويتبركون به.

إنَّ من أسباب ذلك العداء حب التسلط والهيمنة، ففي صحيح ابن حبان يذكر رواية عن عقبة بن عامر " أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: إنِّي فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض -، والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف أن تتنافسوا فيها"[2]

(١) بحار الأنوار/ ج ٩٧/ ص ١٢٠-١٢١.

(٢) صحيح ابن حبان/ ج١٣/ ص٣٩٣.

فأغلب الحروب هي تنافس على السلطة والهيمنة والمُلك، فإذن

هذا حديث الرسول-صلى الله عليه وآله- قال ما أخاف عليكم الشرك ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا على الملك.

وفي صحيح البخاري أيضاً (خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاَتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ " إِنِّى فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّى وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِى الآنَ، وَإِنِّى أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ - وَإِنِّى وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِى، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا)[1]

هذا الحقد والعداء أموي متوارث، أنقل رواية عن الزبير بن بكار، وهذا الشخص غير متهم، أي لا يوجد عنده موقف سلبي ضد معاوية ولا يُنسب الى عقيدة الشيعة ولا أيضاً الى أتباع الإمام علي-صلوات الله عليه-؛ لأنهُ معروف من انحرافه عن الإمام علي بن أبي طالب -عليهما السلام- « قال المطرّف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية ـ و كان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلي، فيذكر معاوية وعقله، ويُعجب بما يرى منه ـ إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، و رأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا .

فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة ؟

فقال: يا بني جئتُ من عند أكفر الناس وأخبثهم !

قلت: وما ذاك ؟!

قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنَّ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه .

فقال: هيهات هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه ! مَلكَ أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة ليُصاح به كل يوم خمس مرات « أشهد أن محمداً رسول الله [صلى الله عليه وآله]، فأيُّ عمل يبقى وأيُّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك، لا والله إلاّ دفناً دفناً !! »[2]

أعداء الإسلام يريدون أن يدفنوا ذكر أهل البيت-عليهم السلام- وهذا واقعهم ومسلكهم، فالقضية قضية أموية.

والآن نرجع لنناقش قضية الشّرك في القرآن الكريم والروايات الشريفة:

في سورة الزمر يقول الله -عزوجل-: « إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ

(١) صحيح البخاري/ ج٥/ ص٢٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد/ ج٥/ ١٢٩ .

الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى»[1]

في هذه الآية يستدل المخالفون فيها على شرك من يزور القبور ويذبح ويستشفع وما شابه، ونأتي لنبيّن الادعاء الجاهل وننظر في دلالة الآية الكريم، يقول الباري -عزوجل-: « فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» إخلاص العبودية هذا أوّلاً .

ثانياً: قوله -تعالى-: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى» من دونِ الله يعني ليس بأمر الله، فعندما يزور المسلم القبر هل يُشرك بالله؟ أي هل يُشرك صاحب القبر مع الله؟ هل هو يشركه بالالوهية والعبودية وفي الخالقية والحاكمية؟

لا يوجد خالق دون الله، إلا إذا كان بأمر الله وإذنه، فالنبي عيسى-عليه السلام- يقول أنا أخلق أنا نبي «أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ»[2] ولو أنّ أحداً قال لنبي الله عيسى شافني هل هذا شرك؟!، فهناك توحيد الطاعة «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ»[3] ولو أنه فعل لغير الله خالف التوحيد.

كذلك السجود، يقول الله -سبحانه-: « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» وقوله « فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» بأمر الله، وكذلك نبي الله يعقوب-عليه السلام- وأولادهُ خروا ساجدين لنبي الله يوسف، فهل هذا شرك؟ إذن كل هذه الأمور ليست من دون الله.

فالأعمال متى تُقال شرك ومتى لا تُقال شرك حتى نعرف، فقميص نبي الله يوسف-عليه السلام- لما وضعوه على عين نبي الله يعقوب أرتدَّ إليه بصره، إذن قميص النبي له تأثير لأنَّ الله -تعالى- جعل له منفعة، وهناك من يقول أنَّ آثار الأنبياء لا تضر ولا تنفع، وما نفع قميص نبي الله يوسف-عليه السلام-!

الأصنام لا تنفع ولا تضر لأنَّ الله -تعالى- لم يجعل لها منفعة ولامضرة، المشرك بعبادته لها يصيبه الضرر، لكن هي لاتضر ولاتنفع ولا يصيبها الضرر، لأنَّها ليس فيها ذاتية الضرر والنفع.

وهل الرسول لا ينفع ولايضر؟! تبّاً لهذه العقول الجاهلة بالقرآن، يقول تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا»[4] لماذا يؤكّد على استغفار الرسول؟، ألا يكفي استغفار الله سبحانه؟، كذلك القرآن الكريم ماذا يقول في المنافقين « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

---

(١) سورة الزمر/ الآية: ٢-٣.

(٢) سورة آل عمران/ الآية: ٤٩.

(٣) سورة النساء/ ٦٤.

(٤) سورة النساء/ ٦٤.

تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ»[1] لماذا لم يستغفروا مباشرة.

أَبناء يعقوب « قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا» لماذا لم يستغفروا مباشرة ؟ لماذا جعلوا أَباهم يستغفر لهم « قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي» لماذ لم يقل لهم هذا شرك؟، ولماذا يجعلونه واسطة ؟ وهذا حسب ادعاء المخالفين شرك.

إِذن القضية المحورية بإذن الله، فيجب على الجميع فهم القرآن، نحن عندنا روايات صحيحة ولا يوجد هنالك نهي عن زيارة الأولياء والتبرك بمراقدهم، والروايات التي كانت مِن عند من يخالف ذلك كُلها باطلة ومخدوشة والقرآن الكريم يُكذّبها، والروايات الشريفة تُكذّبها، والواقع يُكذّبها، حتى الروايات الواردة في كتب العامة تكذبها، فمن أين لكم الحق يا أعداء الدين حتى تُهدِّموا قبور البقيع، وللأسف أن المناهج في بعض الدول المحسوبة على الإسلام تدرس أن بناء القبور وتعميرها شرك.

نحن نقول بتوحيد الله، وتوحيد الذات، وهنالك فرق بين الشرك وبين الكُفر، والكُفر أيضاً فيه فرق فهناك كفر أَقل من الشرك وكفر أَسوء من الشرك.

الشرك يعني أنَّ المشرك يعترف بالله، فتارة شخص يقول الله اثنين فهذا عنده شرك في الذّات وهو شرك الألوهية، وهو بفعله هذا يخالف توحيد الألوهية، مثلاً يقول إِله في السماء وإِله في الأرض، فهذا شرك، يقول الله –سبحانه–: « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا»[2] وقوله –سبحانه–: « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ»[3] إِله واحد، وهناك توحيد خالقية: « اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»[4] توحيد التدبير وتوحيد الربوبية رب العالمين، أي كلّ تدبير الكون بيد الله سبحانه، وتوحيد العبودية غير توحيد الذات، فالمشركون ليس عندهم توحيد العبودية، يقول فرعون « يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي»[5] حتى فرعون يقول أَنا الله ما عنده شريك.

تارة أخرى يقول « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى»[6] أَنا المُدبر الأَعلى.

نأتي لكلام أَمير المؤمنين وإمام المتقين في وصيته لابنه الحسن –عليهما السلام– يقطع توحيد الأَلوهية: « واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لاتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبدا» [7]

ولا يوجد أحد من المُسلمين يقول بالشرك ينقض توحيد الألوهية، وتوحيد الله يعني توحيد الذات، إِله واحد

(١) سورة المنافقون/ الآية ٥.
(٢) سورة الأنبياء/ ٢٢.
(٣) سورة الاخلاص/ ١.
(٤) سورة الرعد/ ١٦.
(٥) سورة القصص/ ٣٨.
(٦) سورة النازعات/ الآية: ٢٤.
(٧) ميزان الحكمة/ ٣/ ١٢٩.

«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» ولا ينكر ذلك إلّا الجاهل الذي لا يعرف معاني اللغة العربية ومقاصدها.

فالله -سبحانه- جامع لِكُل الصفات، فالجلال والجمال لله -سبحانهُ وتعالى-، ومن الاتهامات الباطلة بأن يدعوا مع الله غيره أَو يُصرف لهُ شيء من أَنواع العبادة؛ كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبّة، ولا أدري من هذا الذي يذبح لهذا الشيء في قِبال ضد الله!، والذي يذهب الآن للحج ويذبح فهذا الذبح يكون لله، ولكن الذي يذبح عند الرسول أَو عند الإمام يكون لغير الله، فهذا أمر عجيب!! من أين جاءت هذه الأفكار، يقول الله -تعالى-: « لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ»[1] فيجب فهم معنى الذبح ولمن.

إذن المعيار ليس كما يقول البعض، فطاعة الرسول هي طاعة لله -تعالى-؛ لأَنَّ الله -تعالى- أَمر بطاعتة فيُطاع لله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ»[2] «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ»[3]، وأمر الله -سبحانه- الملائكة أَن يسجدوا لآدم فسجودهم سجود لله تعالى، ولو كان السجود لآدم فهذا شرك، إذن المعيار لا يعرفه المخالف.

نحنُ مأمورون بأَن نتعاهد قبور أئمتنا بأمر الله، ورواية الرسول، والرسول ماينطقُ عن الهوى، فمن أين الشُرك!.

وأَفضل بقعتين في المسجد الحرام مقام إبراهيم وحجر إسماعيل، وما عُبد في ذلك مقام إبراهيم ولا حجر إسماعيل ولا عبدت هاجر؛ لأَنَّ هذا بأمر الله، لكن وللأسف أنَّ هذه البقاع عند ابن القيم يجب أن تبقى آثارهُم وتصير متعبدات، لكن مراقد أَهل البيت-عليهم السلام- يكون بناء مراقدهم والتبرك بهم شُرك بسبب حقد المخالفين الأموي لأَهل البيت-عليهم السلام- .

ونكتفي في الرد عليهم في رواية استشهدوا فيها من صحيح مُسلم « حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلاَّ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ لاَ تَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسْتَهُ وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ»[4] نأتي أَولًا من حيث السند والذي يجب يراجع (تهذيب التهذيب) والروايات المذكورة أنَّ وكيع شخص جاهل باللغة العربية، وينقل الرواية بالمعنى، والشخص الثاني سفيان الثوري مُدلس وذلك واضح في كتاب تهذيب التهذيب، وغيرهم كما هو ابن حبان، إذن هؤلاء رجال السند الذين يروون الحديث مُدلسون.

ونأتي إلى معنى (مُشرفاً إِلّا سوّيته) إحدى أَمرين؛ إِمّا تسويته بالأَرض فهو مُخالف للروايات بارتفاع القبر شبراً. ومعنى مرتفع سوّيته، أَو معنى ساويته بالأَرض إِحدى أَمرين إِمّا سوّيته بعنى عدلته سوى الشيء عدله، وإِما

---

(١) سورة الحج/ ٣٧.

(٢) سورة النساء/ ٦٤.

(٣) سورة النساء/ ٨٠.

(٤) صحيح مسلم/ ٣/ ٦١.

ساواه بالأَرض وهذا خلاف الواقع، فالقبور الآن عندهم مرتفعة عن الأرض، وكُل المذاهب الأَربعة يقولون باستحباب رفعه شبراً لا أَقل، ولو سلمنا بالحديث نأتي الى معنى آخر وهو أنَّ الإِمام هنا بعثه الرسول-صلى الله عليه وآله- إلى مكان فيه قبور أناس مُلحدين وثنيين، يقول ساويها بالأَرض لأَنَّهم عبدة الأوثان، وعلى ذلك كيف يساوون قبور عبدة الأوثان بقبور الأولياء والصالحين.

فهذا بيت المقدس وقبر نبي الله إبراهيم الخليل وهناك قبُور أَنبياء ماشاء الله فمن أين لهؤلاء الحق في هدم قبور أئمة البقيع؟! إذا عندكم دليل «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» وفي الحقيقة ليس لديهم دليل يُجوّز لهم هدم القبور، بل خالفوا القرآن والسّنّة، ولم يتبعوا الروايات الصريحة الواردة في كتبهم، ولكن في ذلك حقد وعداوة وبغضاء أظهروها في هدمهم لقبور الأئمة والأولياء والصالحين.

فأمر الله -سبحانه- يجب أن يطاع، نحن نطوف حول البيت نتقرّب إلى الله -تعالى-، ونرمي الحجر نتقرباً الى الله، وهذا كله ينفع، ودعاء الرسول-صلى الله عليه وآله- ينفع، وكيف لا ينفعون بعد مماتهم «بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» .

ونحن نعيش ذكرى هدم البقيع لا نتنازل، فهدم البقيع جرح ينزف لا يُمكن أَن يُضمد إلَّا بإعادة بنائة أَفضل مما كان، ويجب على كُل مقتدر أَن يسعى لِبناء البقيع حسب إمكاناته بِكُل الوسائل الشّرعيّة، نسأَل الله -تعالى- أَن يجعلنا ممّن يتعاهد ببناء قبور أئمة البقيع وأئمة أَهل البيت-عليهم السلام-، ويرعاها ويزورها قدر ما يتمكن، ونسأَل الله-سبحانه- أَن يغفر لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم

معجزة رد الشمس

محاضرة لسماحة السيد جعفر مرتضى العاملي. تقرير: السيد فراس الموسوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

إنَّ الله -سبحانه- العالم الحكيم، والمدبر العليم، والرؤوف الرحيم، قد خلق الخلق، واستعمرهم في الأرض، وسخَّر لهم ما فيها وما في السماوات؛ لكي يطيعوه، ويعبدوه، وليوصلوا هذا الكون إلى كماله، وفق خطة رسمها، وسنن أودعها، وأهداف حدَّدها، وشرائع بيَّنها.

وأراد لهذا الخلق أن تكون طاعتهم له، وإيمانهم به، وامتثالهم للأوامر والزواجر الصادرة عنه باختيارهم، وأخذ على نفسه أن يبين لهم المناهج، ويظهر لهم الدلائل، ويقيم عليهم الحجج، بحيث لا يبقي عذراً لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة، ولله الحجة البالغة.

ثم هو قد ملأ الكون والوجود بالإشارات والدّلائل، وبالحجج والبينات، حتى إنَّ الإنسان ليجد نفسه غارقاً في لُجَّة هذه البراهين، والبينات، والشواهد والآيات، فهي حاضرة لديه في مشاهدات اليقظة، وتماماً كما يشاهدها حتى في أحلام المنام، إنَّها معه، وفيه، وحوله، وفي كل اتجاه، وفقاً لقوله تعالى: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ»[1].

وكانت المعجزات والكرامات، حاملة لهذه الدلائل، والبينات أيضاً..

وما معجزة تسبيح الحصى في يدي النبي -صلى الله عليه وآله-، وسلام الشجر والحجر عليه -صلى الله عليه وآله-، وكذلك شق القمر له، ومعجزة ردّ الشمس للإمام علي -عليه السلام- إلَّا شاهد صدق على ما نقول.

إنَّ معجزة ردّ الشمس لعلي -عليه السلام- تدخل في دائرة الألطاف والرعاية الإلهية، من حيث إنَّها تيسر عليهم قبول إمامة أمير المؤمنين، وسيّد الوصيين -عليه السلام-؛ لما تظهره من مقام له عند الله، ومن محل له لديه، من حيث إنه استحق أن يستجيب الله -تعالى- له إذا دعاه، وذلك لشدّة انقياده -عليه السلام- له -تعالى-، وظهور عبوديته وطاعته حتى إنَّ الشمس حين دعاها على قاعدة: (عبدي أطعني تكن مثلي).

وفي بعض الرّوايات: أنَّ الرسول -صلى الله عليه وآله- إذا طلب من الله أن يعيدها له، فإنَّه يجيبه.

أضف إلى ذلك: أنَّ ردّ الشمس هو من موارد إعمال الولاية التكوينية، تماماً، كما جاء الذي عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس من اليمن، إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة.

إنَّ حادثة ردّ الشمس قد تكرّرت في حياة الرسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله- وبعده، مرّات كثيرة استطاع ابن

(١) سورة البقرة/ الآية: ١١٥.

عباس أن يفصح عن مرتين فقط مما جرى.

مواضع رُدّت فيها الشمس:

ونحن نشير هنا إلى بعض ما ورد من ذلك:

- في منزل الرسول -صلّى الله عليه وآله-:

ذكر العياشي: أنَّ عليّاً -عليه السلام- دخل على رسول الله -صلى الله عليه وآله- في مرضه، وقد أغمي عليه، ورأسه في حجر جبرئيل، وجبرئيل في صورة دحية الكلبي، فقال له جبرئيل: دونك رأس ابن عمّك، فأنت أحق به منّي؛ لأنَّ الله تعالى يقول: « وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ».. ثم ذكر القضية[1].

وعن ابن مردويه، عن أسماء بنت عميس، وأم سلمة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، والحسين بن علي -رضي الله عنهم-: أنَّ النبي -صلى الله عليه وآله- كان ذات يوم في منزله، وعلي بين يديه، إذ جاء جبرئيل يناجيه عن الله عز وجل.

فلما تغشاه الوحي توسد فخذ علي، ولم يرفع حتى غابت الشَّمس، فصلّى العصر جالساً، يومئ لركوعه وسجوده إيماءً.

فلما أفاق قال لعلي: أفاتتك صلاة العصر؟

فقال: صلّيتها إيماءً. أو قال: لم أستطع أن أصلّيها قائماً لمكانك يا رسول الله، والحال التي كنت عليها في استماع الوحي.

فقال: ادع الله حتى يرد عليك الشّمس حتى تُصلّيها قائماً في وقتها، كما فاتتك، فإنَّ الله يجيبك؛ لطاعتك لله ورسوله.

فسأل الله في ردّها، فردّت عليه حتى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر، فصلّاها، ثم غربت الخ..[2].

وفي نص آخر، لهذه القضية قالت أسماء: حتى بلغت الشمس حجرتي، ونصف المسجد[3].

وفي نص آخر قالت: فرجعت الشمس حتى رأيتها في نصف الحجر، أو نصف حجرتي[4].

وفي نصّ آخر عنها أنَّها قالت: كان -صلى الله عليه وآله- في هذا المكان ومعه علي، إذ أغمي عليه الخ..[5].

والمقصود بالإغماء هنا: برحاء الوحي، كما دلّت عليه سائر الرّوايات.

- **يوم بدر:**

عن أنس قال: أعطي علي بن أبي طالب خمس خصال، رأيتهن، لم يعطها أحد قبله: ردّ له الشمس يوم بدر، حيث اشتغلوا بالغنائم[6].

---

(١) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٧٢، تفسير العياشي/ ج٢/ ص٧٠، والبرهان/ ج٢/ ص٩٢.

(٢) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٧١ عن الإرشاد للمفيد/ ص١٦٣/ و١٦٤.

(٣) الأمالي للمفيد/ ص٦٣.

(٤) اللآلي المصنوعة/ ج١/ ص٣٣٩.

(٥) اللآلي المصنوعة/ ج١/ ص٣٤٠، وبحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٧٧.

(٦) مناقب الإمام أمير المؤمنين علي، لمحمد بن سليمان الكوفي القاضي/ ج٢/ ص٥١٦.

- **في الصهباء في غزوة خيبر:**

روى حديث ردّ الشّمس في خيبر عدد من الحفاظ، وفي الكثير من المصادر فراجع[1].

- **رد الشّمس لعلي (عليه السلام) ببابل:**

وقد روي رجوعها له -عليه السلام- في العراق ومعه جيشه، وذلك بعد قطعهم معه -عليه السلام- جسر الصراة ـ نهر بالعراق ـ من أرض بابل، إذ إنّه -عليه السلام- لم يصل في تلك الأرض، معللاً ذلك بقوله: (إنَّ هذه أرض معذَّبة، لا ينبغي لنبي ولا لوصي نبي أن يصلّي فيها)[2]، وذلك بعد رجوعه من حرب الخوارج.

والظَّاهر: أنَّ المراد: أنَّه لم يصلِّ فيها صلاة المختار، فلا مانع من أن يكون قد صلى فيها في حال السير مومياً للركوع والسجود.

لكن ذكر في نص آخر: أنَّه: (لما أراد أن يعبر الفرات ببابل، اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم، فصلى (عليه السلام) بنفسه في طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس، وفاتت الصلاة كثيراً منهم، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه.

فتكلَّموا في ذلك. فلمّا سمع كلامهم فيه، سأل الله -تعالى- أن يردّ الشّمس عليه، لتجتمع كافّة أصحابه على صلاة العصر في وقتها، فأجابه الله في ردها عليه الخ..[3].

وبعد أن ذكر ابن كثير ذلك، قال: وقد نظمه الحميري، فقال:

ردت عليه الشمس لما فاته ... وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

حتى تبلج نورها في وقتها ... للعصر ثم هوت هوي الكوكب

وعليه قد ردت ببابل مرة ... أخرى، وما ردت لخلق مقرب[4].

وقال حبيب بن أوس:

فردت علينا الشمس والليل راغم ... بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضا ضوؤها صدغ الدجنة وانطوى ... ببهجتها نور السماء المرجَّع

وهناك نص آخر عن: أمالي ابن الشيخ ص٦٤ ونص آخر عن: نصر بن مزاحم في كتاب صفين.

---

(١) مصادر ذلك كثيرة، فراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي/ ج٢/ ص٥١٧، ومشكل الآثار/ ج٢/ ص٩، وج٤/ ص٣٨٩، وكفاية الطالب/ ص٣٨٥، والشفاء/ ج١/ ص٢٨٤، والمعجم الكبير/ ج٢٤/ ص١٤٥، وكنز العمال/ ج١٢/ ص٣٤٩، وعمدة القاري/ ج١٥/ ص٤٣، والبداية والنهاية/ ج٦/ ص٨٠.

(٢) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٦٨/ و١٧٨ و١٨٨، وج٨٠/ ص٣١٧ عن علل الشرائع/ ج٢/ ص٤٩ ـ ٥١، وعن بصائر الدرجات/ ص٥٨/ و٢١٧، وعن روضة الكافي/ ص٣٠٠، وعن الفضائل/ ص٧١.

(٣) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٧١ و١٧٢ و١٧٤ و١٨٣ و١٨٤ عن الإرشاد للمفيد/ ص١٦٣ و١٦٤ وعن المناقب لابن شهراشوب/ ج١/ ص٣٥٩ ـ ٣٦٥.

(٤) البداية والنهاية/ ج٦/ ص٨٦، وراجع: منهاج السنة لابن تيمية/ ج٤/ ص١٨٦.

فـوالله مـا أدري عَلِيٌّ بـدا لنـا فردت له أم كان في القوم يوشع؟![1].

قال ابن كثير: وهذا الشعر تظهر عليه الركاكة، والتركيب، وأنه مصنوع)[2].

ولا ندري: كيف تظهر الركاكة على هذا الشعر مع أنَّ أهل الصناعة يدركون أنَّه في أعلى درجات البلاغة؟! وأظن أنه لم يفقه المقصود من الشعر، أو أن تعصبه دعاه إلى ارتكاب أمر يعلم بأنَّه لا يرضاه أحد ممن له بصر بالشعر ومعانيه..

وعلى كل حال، فإنَّ الشعراء قد أكثروا من ذكر هذه القضية الفريدة في شعرهم.

وقد ذكر العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي: مقطوعات كثيرة من ذلك، فراجع[3].

في مسجد الفضيخ:

هذا.. وقد روي أيضاً أنَّها ردّت له -عليه السلام- في مسجد الفضيخ، فراجع[4].

ولعل هذا هو المسجد الذي أمر رسول الله -صلى الله عليه وآله- أن يبنى في موضع صلاة العصر التي صلّاها أمير المؤمنين -عليه السلام-، ليصلى فيه، ويزار[5].

في حنين:

وحديث ردها لعلي -عليه السلام- في حنين، رواه المجلسي وغيره فراجع[6].

أول شعر وصل إلينا:

هذا وقد قالوا: إنَّ حسان بن ثابت قال في هذه المناسبة:

يـا قـوم مـن مثل علي وقـد ردت عليه الشمس من غائب

أخـو رسـول الله وصهـره والأخ لا يعـدل بالصـاحب[7]

وقال السيد الحميري:

فلمـا قضى وحـي النبي دعـا لـه ولم يك صلى العصر والشمس تنزع

فردت عليه الشمس بعد غروبها فصـار لهـا في أول الليل مطلع[8]

---

(١) البداية والنهاية/ ج٦/ ص٨٧ عن الفصل لابن حزم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق/ ج٢/ هوامش ص٣٠٥ و٣٠٦ و٣٠٧.

(٤) راجع: بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٨٢ و١٨٣ عن الكافي/ ج٤/ ص٥٦١ و٥٦٢، وراجع: وفاء الوفاء للسمهودي/ ج٣/ ص٨٢٢.

(٥) راجع الهداية الكبرى/ ص١٢٠.

(٦) بحار الأنوار/ ج١٧/ ص٣٥٩ عن الخرايج والجرايح. ونحتمل أن تكون كلمة حنين تصحيف كلمة خيبر. لكن ذكرهما معاً في النص المنقول عن الحسن البصري في أوائل هذا البحث يرج أن لا يكون هناك تصحيف.

(٧) ينابيع المودة للقندوزي/ ص١٣٨ وعنه في إحقاق الحق (الملحقات) ج٥/ ص٥٣٦، وإثبات الهداة/ ج٢/ ص٥٤٠.

(٨) راجع مناقب آل أبي طالب/ ج٢/ ص٣٥٩ .

وقال سفيان بن مصعب العبدي الكوفي:

لـك المنـاقب يعيا الحاسبـون بها ... عـــدا ويعـجـز عنهـا كـل مكتتب
كرجعة الشمس إذا رمت الصلاة ... وقد راحت توارى عن الأبصار بالحجب
ردت عليك كأن الشهب ما اتضحت ... لـنـاظـر وكـــأن الـشـمـس لـــم تغب

وقال ابن الرومي:

وله عجائب يوم صار بجيشه ... يبغي لقصر النهروان المخرجا
ردت عليه الشمس بعد غروبها ... بيضاء تلمع رقدة وتأججا[1]

والشعر الذي أنشدوه في هذه القضية كثير جداً لا مجال لتتبعه.

شواهد حيَّة:

وثمة شواهد حيَّة على هذا الأمر، لا تزال ماثلة للعيان، ونذكر منها:

أ: مسجد الشّمس بالمدينة:

وبعد.. فقد تقدم: أنَّ المسجد المعروف باسم (مسجد الفضيخ)، الموجود الآن بالمدينة يقال له أيضاً: مسجد الشمس[2].

فهل هو ملاصق لمشربة أم إبراهيم، أم هو نفسها، كما يظهر من رواية في الكافي؟! إنَّ ذلك يحتاج إلى بحث ودراسة[3].

ب: مسجد الشّمس في العراق:

ومسجد الشّمس معروف في الحلة في بلاد العراق.. قال المجلسي: عن جسر الصراة:

الظاهر: أنَّه مكان جسر الحلة، ومسجد الشّمس هناك مشهور[4].

وقالوا: بأنَّ الصلاة مستحبة في هذا المسجد[5].

ج: مسجد الصّاعدية:

وقال رحمه الله أيضاً: (مسجد الشّمس بالصاعدية من أرض بابل شائع ذائع)[6].

اضطراب وتناقض حديث رد الشمس:

وقد يُدَّعى: وجود تناقض في الخصوصيات التي نقلها الرواة لحادثة رد الشمس، وهذا يكشف عن كذب الواقعة، ففي

---

(١) مناقب آل أبي طالب/ ج٢/ ص٣٥٩.
(٢) راجع: وفاء الوفاء/ ج٣/ ص٨٢٢ و٨٢٣. وبحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٨٢ و١٨٣ وج٩٧/ ص٢١٧ عن الكافي/ ج٤/ ص٥٦١ و٥٦٢.
(٣) الكافي/ ج٤/ ص٥٦١ والبحار ج٩٧/ ص٢١٦.
(٤) بحار الأنوار/ ج٨٠/ ص٣١٨.
(٥) المصدر نفسه/ ج٩٩/ ص٢٩ و٣٠.
(٦) المصدر نفسه/ ج٤١/ ص١٧٤.

بعضها أنَّ النبي -صلى الله عليه وآله- كان يوحى إليه، وفي البعض الآخر: أنه كان نائماً.

وفي بعضها أنه كان مشغولاً بقسم الغنائم في خيبر، وفي بعضها الآخر أنّه انشغل برسول الله -صلى الله عليه وآله-..

وورد في بعض الروايات عن أسماء: أنَّ الشمس رجعت حتى بلغت نصف المسجد، قال ابن كثير: (وهذا يناقض ما تقدم من أنَّ ذلك كان بالصهباء من أرض خيبر. ومثل هذا يوجب توهين الحديث، وضعفه، والقدح فيه)[1].

ونقول:

أوّلاً: إنَّ المفهوم من الروايات: أنَّ هذا الأمر قد حصل في أكثر من موضع: حيث تقدَّم: أنَّها رُدَّت له مرة في منزله -صلى الله عليه وآله- في المدينة، والظاهر: أنَّ الرواية التي صرَّحت بأنَّ الشَّمس قد بلغت نصف المسجد ناظرة إلى خصوص هذه المرة..

ولا مانع من تكرر هذا الحدث في خيبر مرة ثانية.

ثم ثالثة ورابعة في مواضع أخرى. حسبما دلَّت عليه الروايات التي قدّمناها، ثم كما قاله البصري، وغيره.

وبالنسبة لنوم النبي -صلى الله عليه وآله-، فقد يُقال: إنَّ المراد به برحاء الوحي، الذي هو ـ حسب أقوالهم ـ يشبه الغشية. ولأجل ذلك عبَّرت بعض الروايات بالاستيقاظ بعد ذكرها تغشِّي الوحي له -صلى الله عليه وآله-..

وأما رواية الاشتغال بقسمة الغنائم، فتحمل على تعدّد الواقعة أيضاً، في المدينة وفي خيبر، وبابل، وغير ذلك.

أو تحمل على أنَّها هي الحاجة التي أرسله فيها رسول الله -صلى الله عليه وآله- فعاد فنام على ركبته وصار يوحى إليه. فغابت الشَّمس في هذه الأثناء، أو كادت..

والجواب عن ذلك: هو نفس ما ذكرناه أكثر من مرّة، من أنَّه -عليه السلام- قد صلّى جالساً، أو الشّمس لم تغب على الحقيقة بل كادت..

ثانياً: لنفترض: أنَّ هناك بعض الاضطراب بين الرّوايات في نقل الخصوصيات، فذلك يقتضي أن نقول بعدم ثبوت تلك الخصوصية، ولا مجال للحكم بكذب أصل الواقعة استناداً إلى ذلك، بعد اتفاق جميع الرّوايات على حصولها.

ثالثاً: لو أردنا أن نحكم بعدم صحّة أصل الواقعة، فسوف لا يسلم من روايات الصّحاح وغيرها، إلا الشّاذ من الرّوايات، وتسقط أيضاً روايات انشقاق القمر، وردّ الشّمس، وتسبيح الحصى في يده -صلى الله عليه وآله- وغيرها..

ضرورة المعجزات الكونية:

ومن الواضح: أنَّ المعجزة إنَّما تأتي لردّ التّحدّي، أو لإتمام الحجة على أهل العناد. وهم الذين يجب أن يروها، أما الآخرون الغافلون فقد يكون الواجب هو أن لا يروها، حفظاً وصيانة لإيمانهم من أن يفقد قيمته وتأثيره في جلب المثوبة، وليحتفظ بقدرته على تأهيل الإنسان لنيل مقام الرضا الإلهي، فإنَّ الإيمان الذي ينتج عن الهلع، والخوف لا قيمة له، وليس هو المناط

---

(١) البداية والنهاية ج٦ / ص٨٢.

في استحقاق المثوبة والعقوبة، بل المناط في ذلك هو ما كان عن وعي والتفات، وعن قناعة ناتجة عن رويّة وتبصّر، وتأمّل وتفكّر، ووعي وتدبّر..

وقد يكون من المفيد أن يراها بعض الصّفوة إذا كانت رؤيتهم هذه تزيد إيمانهم وترسّخ يقينهم، وتفيد في بصيرتهم ووعيهم.

وخلاصة القول: إنَّ المعجزات الهائلة من قبيل حادثة ردّ الشّمس وانشقاق القمر لا يجب أن يراها جميع البشر، إنّما يجب أن يراها أصناف من الناس وهم:

١ ـ من قصد بها إبطال كيده، ودفع غائلته عن الذين يسعى إلى استضعافهم، وأسر عقولهم، وسدّ أبواب الهداية أمامهم، بما يثيره أمامهم من شبهات، وما يستخف به عقولهم من ترهات..

٢ ـ من وقفوا تحت تأثير أولئك الأقوياء، وخُدعوا بأقاويلهم، وأباطيلهم، وأصبحوا بحاجة إلى المساعدة في كشف باطل أولئك، وتعريفهم بجحودهم.

فإذا ظهرت هذه المعجزة له، ولمن يراد إزالة الغشاوة عن أعينهم، فإنَّ أي جحود من هؤلاء وأولئك بعد هذا سيكون على قاعدة: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ»[1].

٣ ـ من كان من الصفوة الأخيار، والمؤمنين الذين اختاروا طريق الإيمان من خلال الاستجابة لنداء العقل والفطرة، وقد بلغوا الدرجات العلى في ذلك، وذلك بهدف تربيتهم وزيادة يقينهم، وترسيخ إيمانهم ومصالح أخرى يعلمها الله مثل تعريفهم لمقام إمامهم لتيسير طاعتهم له وما إلى ذلك.

٤ ـ وهناك قسم رابع وهم الغافلون الذين لا يجوز مواجهتهم بما ربما يثير الرعب في قلوبهم، لكي لا يجدوا أنفسهم في دائرة الإلجاء.. والاضطرار فإنَّ فطرتهم الصافية وعقولهم السليمة، وعدم دخولهم دائرة الاستكبار والتّحدّي، وحسن اختيارهم كفيل بتهيئتهم للإيمان، أو على الأقل لابد من إعطائهم الفرصة لاختيار أحد النجدين، ليختاروا طريق الشكر أو الكفر، ثم الجحود والعناد عن بصيرة ويقين..

ولو أنَّهم يواجهون بالتخويف الذي يفقدون معه فرصة التّأمّل والتّفكّر والاختيار، كان ذلك معناه التخلي عن مقتضيات الحكمة، والابتعاد عن طريق العدل، وحاشاه تبارك وتعالى من ذلك..

ولعلّنا نجد التأييد لما قلناه فيما ذكره الخطابي وابن عبد البر، وأبو نعيم في دلائل النبوة، فقد قالوا: إنّ حكمة كون المعجزات المحمدية لم يبلغ منها شيء مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه ـ كالقرآن ـ هي: أنَّ معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من قومه[2].

ثم: (إنَّ أبا نعيم زاد على ذلك قوله: ولاسيما إذا وقعت الآية في كل بلدة كان عامّة أهلها يومئذٍ الكفار الذين

(١) سورة النمل/ الآية: ١٤.

(٢) المواهب اللدنية: ج٢/ ص٢٠٨.

يعتقدون أنَّها سحر، ويجتهدون في إطفاء نور الله).

قال الزرقاني: (وهو جيد بالنسبة إلى من سأل عن الحكمة في قلة من نقل ذلك من الصحابة.

وأما من سأل عن السبب في كون أهل التنجيم لم يذكروه.

فجوابه: أنَّه لم ينقل عن أحد منهم أنه نفاه، وهذا كاف، فإنَّ الحجة في من أثبت لا في من لم يوجد عنه صريح النّفي، حتى إن من وجد منه صريح النفي، يقدم عليه من وجد منه صريح الإثبات)[1].

اختلال النظام الكوني:

قال سبط بن الجوزي: (إن قيل: حبسها ورجوعها مشكل، لأنَّه لو تخلّفت أو ردّت لاختلت الأفلاك، وفقد النظام.

قلنا: حبسها وردها من باب المعجزات، ولا مجال للقياس في خرق العادات)[2].

أي أنَّ الله -سبحانه- هو المتصرف بالكائنات، فهو المتكفّل لحفظ النظام، وإعادة كل شيء إلى سابق عهده.. هذا أوّلاً.

وثانياً: لو صحّ كلامهم هذا، للزم منه تكذيب معجزة انشقاق القمر أيضاً، مع أنَّهم لا يجرؤون على تكذيبها..

وقد حاول ابن تيمية: أن يشكّك في حديث ردّ الشمس بأن قال: إنَّ علياً أجلُّ من أن يترك الصلاة إلى ما بعد مغيب الشمس[3].

ونقول:

إن أحداً ـ حتى ابن تيمية ـ لا يستطيع أن ينكر جلالة علي -عليه السلام-، وعظمته، غير أنَّنا نقول:

أوّلاً: إنَّ النص الذي ذكرناه آنفاً عن رد الشمس للإمام علي -عليه السلام- في منزل الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله-في المدينة، قد صرّح بأنَّ علياً -عليه السلام- قد صلّى إيماءً، فأراد الله أن يظهر كرامته، فردّها عليه ليصلي صلاة المختار..

ثانياً: قد عرفنا: أنَّ بعض النصوص قد ذكرت: أنَّ الله -تعالى- في بعض المواضع قد ردّ الشمس عليه أو حبسها بعدما كادت تغيب..

وهذا معناه: أنَّ ذلك قد حصل قبل مغيب الشمس، فلا يكون الإمام علي -عليه السلام- قد ترك صلاة المختار، فضلاً عن أن يكون قد ترك صلاة المضطر، وأومأ إلى الركوع، والسجود.

ثالثاً: قال الشّريف الرّضي-رحمة الله عليه-: (أما من ادَّعى أنَّ الصلاة فاتته بأن تقضَّى جميع وقتها، إما لتشاغله بتعبير العسكر، أو لأنَّ بابل أرض خسف لا تجوز الصلاة عليها، فقد أبطل، لأنَّ الشغل بتعبير العسكر لا يكون عذراً له في فوت صلاة فريضة.

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني: ج٦/ ص٤٨٣.

(٢) السيرة الحلبية ج١ ص٣٨٥، وراجع: البحار ج٤١ ص١٧٥ عن المناقب لابن شهراشوب ج١ ص٣٥٩ ـ ٣٦٥. وراجع تذكرة الخواص ص٥٢.

(٣)منهاج السنة: ج٤/ ص١٨٦ ـ ١٩٥.

وأما أرض الخسف، فإنَّما تُكره الصلاة فيها مع الاختيار، فإذا لم يتمكّن المصلّي من الصلاة في غيرها، وخاف فوت الوقت، وجب أن يصلّي فيها، وتزول الكراهة)[1].

ونقول:

أوّلاً: أما كراهة الصلاة في أرض الخسف، فإنما هو حكم الناس العاديين، وأما حكم النبي، والوصي، فربما يكون مختلفاً، بأن يكون الحكم هو تحريم الصلاة فيها عليه مطلقاً، أو بمعنى المكث، والركوع، والسجود في أرضها. فإذا كان علي -عليه السلام- قد مرَّ بها، ولم يقف للصلاة، فإنَّه يمكنه أن يصلي وهو ماش، ويومئ للركوع والسجود..

ثانياً: قال ابن إدريس في السرائر: (تكره الصلاة في كل أرض خسف، ولهذا كره أمير المؤمنين -عليه السلام- الصلاة في أرض بابل. فلمّا عبر الفرات إلى الجانب الغربي، وفاته لأجل ذلك أول الوقت، رُدَّت له الشمس إلى موضعها في أول الوقت، وصلى بأصحابه صلاة العصر.

ولا يحل أن يعتقد: أنَّ الشمس غابت، ودخل الليل، وخرج وقت العصر بالكلية، وما صلى الفريضة -عليه السلام-، لأنَّ هذا من معتقده جهل بعصمته -عليه السلام-؛ لأنَّه يكون مخلاً بالواجب المضيق عليه، وهذا لا يقول به من عرف إمامته، واعتقد بعصمته.. انتهى.

وعقب عليه المجلسي بقوله:

أقول: قد مرَّ الكلام فيه في كتاب فضائله -عليه السلام-، وأنَّه لا استبعاد في أن يكون من خصائصهم (عليهم السلام) عدم جواز الصلاة في تلك الأراضي مطلقاً، وجواز تأخيرهم الصلاة عن الوقت لذلك مطلقاً، أو إذا علموا أنَّهم يَدْعُون، ويرجع لهم الشمس.

والحاصل: أنَّ النبي -صلى الله عليه وآله- أخبره بأمره تعالى بأن يردّ عليه الشمس، وأمره بتأخير الصلاة لتظهر منه تلك المعجزة، لكن سيأتي ما يؤيد تأويله رحمه الله)[2]، أي تأويل ابن إدريس في السرائر.

تفويت الصلاة من الكبائر:

وقال ابن تيمية: (إن الذي فاتته صلاة العصر، إذا كان مفرطاً لم يسقط ذنبه إلَّا بالتوبة، ومع التوبة لا يحتاج إلى رد. وإن لم يكن مفرطاً، كالنائم والناسي، فلا كلام عليه في الصلاة بعد الغروب.

وأيضاً، فبنفس غروب الشمس خرج الوقت المضروب للصلاة، فالمصلي بعد ذلك لا يكون مصلياً في الوقت الشرعي، ولو عادت الشمس)[3].

وقال أيضاً ما ملخصه: (إنَّ تفويت الصلاة إن كان جائزاً، لم يكن على علي إثم، إذا صلى العصر بعد الغروب، وإن

(١) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٨٩.
(٢) المصدر نفسه/ ج٨٠/ ص٣١٨.
(٣) منهاج السنة/ ج٤/ ص١٨٧.

كان التفويت محرّماً، فتفويت العصر من الكبائر، فعلي أجل قدراً من أن يفعل هذه الكبيرة، ويقره عليها جبرئيل ورسول الله. وإذا فاتت لم يسقط الإثم بعود الشمس)[1].

ونقول:

أوّلاً: قد ورد التصريح في روايات ردّ الشمس بأنَّه -عليه السلام- كان في طاعة الله وطاعة رسوله -صلى الله عليه وآله-، وأنّ النبي -صلى الله عليه وآله- قال: (إنه كان في طاعتك، وطاعة رسولك، فاردد عليه الشّمس) فلا معنى لاحتمال كونه -عليه السلام-، مذنباً ليحتاج إلى التوبة.

ثانياً: لم يقل أحد: إنَّ عود الشمس كان لأجل إسقاط الإثم، بل هو لأجل التكريم الذي استحقّه -عليه السلام-، بسبب أنه كان في طاعة الله وطاعة رسوله.

ولأجل إعلام الناس بفضله، وبمقامه، ودفع غائلة تشكيك المشكّكين، وإبطال كيد المعاندين له، والجاحدين لإمامته..

ثالثاً: قد قلنا: إنَّ بعض الرّوايات قد صرّحت بأنَّه -عليه السلام- قد صلّى صلاة المضطر بالإيماء، ثم ردّ الله عليه الشّمس ليستوفي أفعال الصلاة، للدلالة على عظيم شأنه عند الله، وكرامته عليه.

رابعاً: إنَّ كلام ابن تيمية لو صح فإنَّه يرد على ما رووه من ردّ الشّمس لداود، ولسليمان -عليهما السلام- ولرسول الله -صلى الله عليه وآله- في الخندق، وغير ذلك مما تقدّم.

خامساً: لو سلّمنا ـ جدلاً ـ صحّة كلامهم هذا بالنسبة لرد الشمس بعد غروبها، فإنَّ كلامهم هذا لا يدفع الروايات التي تقول: إنَّ الشمس كادت أن تغيب، لأنَّه يدل على: أنَّ الصلاة لم تفته -عليه السلام-، ليكون عاصياً، ويحتاج إلى التوبة.

فإذا كانت قد حبست من أجله، فتلك كرامة إلهيّة عظيمة له، وإن كان الله قد ردّها عليه من مكان إشرافها على المغيب إلى مكانها حين وقت فضيلة العصر، فتلك فضيلة أعظم، وكرامة أجل، فإنَّ مجرد أن يرجع الله الشمس له، لينال فضيلة الصلاة في أول وقتها، فيه ودلالته على عظيم محبة الله له، وجليل مقامه لديه، وبالغ كرامته عليه.

لقد كان هذا الذي ذكرناه في هذا البحث بمثابة نظرة محدودة.

نسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعله ذخراً ليوم معادنا، «يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»[2].

---

(١) راجع: منهاج السنة/ ج٤/ ص١٨٩.

(٢) سورة الشعراء/ الآية: ٨٨-٨٩.

الشباب في سيرة الإمام الصادق عليه السلام

الشيخ نصير الأسدي

الشباب في كلّ مجتمع هم القوّة الحيوية التي إذا تمكّن المربّون من العمل عليها وأرشدوها إلى السلوك الحكيم، واهتموا بشخصيّاتها واحترموا حاجاتها، كان بإمكانهم عندئذٍ صونها من خطر الانحرافات والترديد في الهويّة، وحفظها من الأخطار الاجتماعيّة، ولكان بإمكانهم سوق تلك القلوب الطاهرة نحو الأمور الحسنة، وبالتالي المساهمة في صناعة مستقبل سالم للمجتمع الإسلاميّ. يقول الإمام الصادق -عليه السلام- في مجال العمل المعنويّ على الشباب وإبقائهم بعيدين عن المجموعات المنحرفة: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجعة»[1].

ممّا لا شكّ فيه أنّ تربية الجيل الشابّ في العصر الحاضر من الأهميّة بمكان، إذ كان مورد التفات العلماء في مختلف المجتمعات. الشابّ يمتلك خصائص عاطفية واجتماعيّة وجسمانيّة التي تبدأ من الهيجان الداخليّ، والعلاقة الشّديدة بالصديق، وعدم ضبط النّفس وحبّ الذات، والتقليد والافتخار بالشّخصية والميل نحو الحريّة، وغيرها من الخصال التي يمتاز بها.

بناء على هذه الخصائص، فإنّ الأسلوب السّلوكيّ للإمام الصادق -عليه السلام- مع الشباب وكلامه وأوامره كلّ ذلك يعتبر من أفضل الأمور التي قُدّمت في ضبط الشّباب. وقد امتاز الإمام -عليه السلام- بخصائص خاصّة في التعامل مع الشباب حيث النظرة العطوفة واحترام شخصيّاتهم والالتفات إلى قابليّاتهم والاهتمام بحاجاتهم الفرديّة والاجتماعيّة وتعامله الحكيم المليء بالعاطفة والإخلاص، كلّ ذلك أدّى إلى اجتذاب الشباب نحوه.

التفت الإمام الصادق -عليه السلام- سريعاً إلى السّجايا الأخلاقية المزروعة عند الشباب حيث خاطب -عليه السلام- أبا جعفر الأحول، أتيت البصرة؟ قال: نعم. قال -عليه السلام-: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟ قال: والله إنّهم لقليل ولقد فعلوا وإنّ ذلك لقليل فقال -عليه السلام-: «عليك بالأحداث فإنّهم أسرع إلى كلّ خير»[2].

فيما يلي نشير إلى نماذج من سلوك الإمام الصادق -عليه السلام- مع الشّباب:

(١) التهذيب، ج٨، ص١١١.
(٢) الكافي، ج٨، ص٩٣.

كان ذاك اليوم أحد أيام الحجّ المزدحمة وكان الإمام الصادق -عليه السلام- يتحدّث إلى بعض أصحابه. وصل هشام بن الحكم وكان لا يزال شابّاً، فاجلسه الإمام -عليه السلام- في صدر المجلس إلى جانبه. تعجّب الحاضرون من تصرّف الإمام -عليه السلام- وهم من الشخصيّات العلميّة. لاحظ الإمام آثار التعجّب بادية عليهم فقال: «هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده». ثمّ أراد أن يبيّن المقام العلميّ لهشام فسأله عن أسماء الله -تعالى- وفروعاتها. أجاب هشام إجابات وافية. قال له الإمام: «أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله عزَّ وجلَّ غيره؟» قال: نعم، فقال: «نفعك الله به وثبّتك يا هشام». قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا[1].

كان المفضّل بن عمرو ممثلاً للإمام الصادق -عليه السلام- في الكوفة ومكلّفاً من قبله متابعة المشاكل الدينيّة والماليّة والاجتماعيّة لأهالي الكوفة، وقد تمكّن من إقامة علاقات صداقة مع شباب المدينة، لذلك لم يتمكّن البعض من تحمّل هذه الصداقة فوجهوا ضدَّه الافتراءات والشّائعات، واتهموه بشرب الخمر وترك الصلاة وملاعبة الحمام لا بل اتهموه أيضاً بالسرقة وقطع الطرق. تولّى الحملة المعارضة للمفضّل شخص يدعى أبا الخطّاب المعزول الذي اجتمع حوله بعض الأشخاص الذين وجّهوا تهماً باطلة إلى المفضّل. حاول بعض الوجهاء حلّ المشكلة فذهبوا إلى الإمام -عليه السلام- وأخبروه أنّ المفضّل يجالس الأرذال وشاربي الخمر... وطلبوا منه أن يأمره بإبعاد هؤلاء الأشخاص عنه.

كتب الإمام -عليه السلام- رسالة إلى المفضّل أرسلها معهم، عادوا إلى الكوفة واجتمعوا في بيت المفضّل وسلّموه رسالة الإمام -عليه السلام-، فتح مفضّل الرسالة وقرأها على مسمع الجميع حيث طلب منه شراء بعض الحاجيات وإرسالها إلى الإمام -عليه السلام-، ولم يذكر في الرسالة ما يشير إلى الشّائعات، قرأها مفضل ثمّ أعطاها لكلّ واحد من الحاضرين ليقرأها بنفسه، ثمّ سألهم: الآن ماذا يجب أن نفعل؟ قالوا: إنّ قيمة الأمور التي طلبها الإمام -عليه السلام- غالية جدّاً، لذلك يجب التشاور مع الآخرين وطلب المساعدة من الشيعة، كانوا يريدون الخروج من منزل مفضل، طلب منهم مفضل البقاء على الغداء، جلسوا ينتظرون الغداء، أرسل مفضّل من يحضر له الشّباب الذين وُجّهت إليهم التهم والشّائعات، عندما اجتمعوا، قرأ عليهم رسالة الإمام -عليه السلام- عندما سمعوا ما طلب، خرجوا من المنزل بسرعة ثمّ عادوا، عمل هؤلاء الشباب كلٌّ حسب طاقته على إحضار ما يمكنه فجمعوا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم وقدّموها للمفضّل، ثمّ نظر المفضّل إلى الشّاكين وكانوا لم ينهوا غداءهم وقال لهم: «أنتم الذين طلبتم إبعاد هؤلاء الفتية وظننتم أنّ الله بحاجة إلى صلاتكم وصيامكم»[2].

فيما يلي نشير إلى جزء من الأساليب والطرق العمليّة التي يمكن استخراجها من كلام وسلوك الإمام الصادق

(١) بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٩٥.

(٢) معجم رجال الحديث، ج١٩، ص٣٢٥.

-عليه السلام- والتي توضح كيفيّة التعاطي مع الشباب وهدايتهم.

١ـ السّلوك الحسن

الشباب أصحاب قلوب طاهرة وأرواح حسّاسة وأفئدة رقيقة عاطفيّة؛ لذلك يجب اختيار طريق اللطافة والملائمة في التعاطي معهم، ولعلّ أفضل أساليب التعاطي معهم هو القائم على النظر إليهم نظرة محبّة وحنان واحترام شخصيّاتهم وسلوكهم، وكذلك فإنّ إظهار المحبّة ومناداتهم بالألقاب والأسماء التي يحبّونها تساعد في جذبهم نحو المبلّغ والمربّي، إذ يمكن في هذا الحال إيجاد ارتباط قلبيّ معهم، يمكن من خلاله الاستماع إليهم وإرشادهم والتّذكير بأخطائهم. وبشكل عامّ عند قيام الرابطة العاطفيّة يمكن إيصال الصفات الجميلة إليهم، ويمكن رفع الكثير من احتياجاتهم والحفاظ عليهم بعيداً عن المعاصي والذّنوب، والسّبب في ذلك أنّ ميل الشابّ نحو الجمال والأمور الحسنة أفضل ممّا هو موجود عند الآخرين وأسرع.

يقول الإمام الصادق -عليه السلام-: «من لم تكن فيه ثلاث خصال لم ينفعه الإيمان: حلم يَرُدُّ به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن طلب المحارم، وخلق يداري به الناس»[١].

٢ـ تعليم المسائل الدينيّة

من جملة الأمور التي تؤدّي إلى ابتعاد الشّباب عن الدّين، عدم المعرفة بالمسائل الدّينيّة. والإنسان يهرب من كلّ ما لا يعرفه. وأمّا المعرفة والاطّلاع على الأمور الحسنة وبالأخص الاطّلاع على المنافع والمصالح، فتجذب الأشخاص الباحثين عنها، ومن هنا فإذا تعرّف الشّباب على آثار وبركات وأحكام معارف الدين، عند ذلك تتضاءل المسافة التي تفصلهم عن الدين، يضاف إلى ذلك أنّ الأجيال المعاصرة التي لا تمتلك معرفة وافية بالدين، تتعرّض لحملات إعلامية وثقافيّة من الأعداء.

يخاطب الإمام الصادق -عليه السلام- البشير بن الدّهّان قائلاً: «لا خير في من لا يتفقّه من أصحابنا يا بشير إنّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم»[٢]. ومن هنا يولي الإمام السادس أهمّيّة كبيرة لتعليم أحكام الدّين حيث يقول: «لو أُتيتُ بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته»[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٣٧.
(٢) منية المريد، ص٣٧٥؛ أصول الكافي، ج١، ص٢٥
(٣) بحار الأنوار، ج١، ص٢١٤.

٣ـ معرفة الآفات الاجتماعيّة

إنّ عدم معرفة الجيل الجديد بالآفات الاجتماعيّة يؤدّي إلى تراجع القيم الأخلاقيّة ونجاح ثقافة الأعداء ورواج الحرام. فإذا اطّلع الشباب المسلم على هذه الآفات وعرفوا عواقبها الوخيمة، عند ذلك يمكنهم الابتعاد عنها بناءً على الفطرة الطاهرة التي زرعها الله -تعالى- في أعماقهم. يُعدِّد الإمام الصادق -عليه السلام- مجموعة من الآفات الاجتماعيّة وهي:

أ ـ الظلم.

ب ـ الغشّ.

ج ـ الخيانة.

د ـ الخذلان والكذب.

هـ ـ قول أفّ.

و ـ العداوة.

ز ـ التهمة.

ح ـ الغضب.

ط ـ الطمع والحرص.

«وأن لا يظلمه وأن لا يغشّه وأن لا يخونه وأن لا يخذله وأن لا يكذّبه وأن لا يقول له أُفٍّ وإذا قال له أُفٍّ فليس بينهما ولاية، وإذ قال له أنت عدوّي فقد كفر أحدهما وإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[١] وجاء في حديث آخر: «شيعتنا لا يهرّون هرير الكلب ولا يطمعون طمع الغراب»[٢].

٤ـ التشجيع على التعلم

ينبغي للشباب المسلم الاطّلاع الكافي على العلوم العصريّة. ومن جملة الأصول المسلّم بها في ثقافتنا، التّخصّص إلى جانب الالتزام. والأشخاص الذين يصلون إلى أهدافهم في مجالات الحياة والذين وصلوا إلى قمة السّعادة من خلال العلوم والمهارات الحديثة، هؤلاء يمكنهم جذب أفراد المجتمع والتّأثير فيهم إذا كانوا أصحاب إيمان والتزام. يبيّن الإمام الصادق -عليه السلام- أنّ اكتساب العلوم والمهارات الفنيّة من الأمور الضروريّة واللّازمة للشباب، ويقول: «لست أحبّ أن أرى الشابّ منكم إلّا غادياً في حالتين، إمّا عالماً أو متعلّماً»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٠٨.

(٢) المستدرك، ج١٢، ص٦٩.

(٣) أمالي الطوسي، ص٣٠٣.

٥ـ الاعتياد على المحاسبة

ينجح الشابّ في عمله إذا راجع حساباته كل يوم وعرف نفعه وضرره وإلّا فإنّه سيفقد كافّة رأسماله بعد مدّة قصيرة. والشّباب هو رأسمال، وفرصة مهمّة لكلّ شخص، فإذا لم يلتفت الشابّ ولم يحاسب نفسه ولم يعرف ماذا حصل عليه في حياته، فإنّ المدّة لن تطول به إذ سيفقد رأسماله المعنويّ، ولكن إذا حاسب نفسه، وعرف مقدار تقدّمه نحو الكمال في كلّ يوم، فإنَّه سيعمل جاهداً على توفير الأرضيّة للتقدّم أكثر نحو الكمال، وسيواجه المحطّات المؤلمة التي تواجهه.

يخاطب الإمام الصادق -عليه السلام- ابن جندب وهو شابّ نشيط حيويّ ومؤمن: «يا بن جندب! حقّ على كلّ مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كلّ يوم وليلة على نفسه فيكون محاسب نفسه فإن رأى حسنة استزاد منها وإن رأى سيّئة استغفر منها ولئلا يُخزى يوم القيامة»[١].

٦ـ إختيار الصّداقة المثمرة

يُسَرّ الإنسان ويستأنس بأصدقائه، والشّخص يحصل على النّشاط والقوّة من صديقه النشيط، والصداقة إحساس طبيعيّ وحاجة يجب العمل على تنميتها، وبناءً على ذلك يتّجه الإنسان نحو أصدقائه، فيعشق الرفاق، ويبحث عنهم، ولكن قد يقع الشّخص في شِراك الأصدقاء الفاسدين، لذلك قد تنشأ بعض المشاكل على أثر الصداقة، يبيّن الإمام الصادق -عليه السلام- المسألة ويقول: «الإخوان ثلاثة: فواحد كالغذاء الذي يحتاج إليه كلّ وقت فهو العاقل، والثاني في معنى الداء وهو الأحمق، والثالث في معنى الدّواء وهو اللبيب»[٢].

٧ـ ضرورة الزّواج

الشّابّ يحتاج بالفطرة إلى الزّواج، لا بل ينبغي تأمين هذه الحاجة الفطرية عبر الطريق المشروع، هناك بعض الشباب الذين أداروا ظهورهم لهذه السّنَّة الإلهيّة بحجّة وجود صعوبات ومشكلات فوقعوا في شباك الشيطان، لذلك يجب لَفْتُ أنظارهم إلى وجود هذا العقد المقدّس عند كافّة الأمم، ومن خلال الزّواج تكتمل شخصيّة الطرفين ويكتمل إيمانهما، يقول الإمام الصادق -عليه السلام-: «من تزوّج أحرز نصف دينه فليتّقِ الله في النصف الآخر»[٣]. ويقول في حديث آخر مخاطباً الشباب: «ركعتان يصلّيهما المتزوّج أفضل من سبعين ركعة يصلّيها أعزب»[٤].

---

(١) تحف العقول، ص٣٠١.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٣٧.
(٣) المصدر نفسه، ج١٠٠، ص٢١٩.
(٤) روضة الواعظين، ج٢، ص٣٧٤.

٨ ـ التّشجيع على الصلاة

الصلاة في نصوصنا الدّينيّة، سبب كمال الإنسان وهي الأمر الذي يحفظه من الرذائل والصّفات المذمومة. وللصلاة دور كبير في إيقاظ روح النّظم وحفظ النّظام عند الإنسان، والصلاة هي الأمر الذي يضفي الهدوء والاطمئنان على القلوب المضطربة، والصلاة علامة السّالكين إلى الله وأفضل وسيلة للارتباط بربّ العالمين، وتشير الإحصاءات إلى أنّ نسبة كبيرة جدّاً من أصحاب الأعمال القبيحة في العالم الإسلاميّ قد عاشوا في عائلات لا يصلّون أو أنّهم يستخفّون بالصلاة، وقد وضّح الإمام الصادق -عليه السلام- دور الصلاة في حياة الإنسان وسلوكه اليوميّ: «أوّل ما يحاسب به العبد على الصلاة فإذا قُبِلَتْ قُبل منه سائر عمله، وإذا رُدَّت عليه رُدَّ عليه سائر عمله»(١). وحَدَّث الإمام -عليه السلام- ابن جندب حول الأضرار التي تلحق الإنسان نتيجة ترك الصلاة: «ويل للساهين عن الصلوات، النائمين في الخلوات، المستهزئين بالله وآياته في الفترات، أولئك الذين لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم»(٢).

٩ـ زرع الصّفات والخصال الإيجابية

من خلال تقوية الأفكار الإيجابية، وعند تكرار ذاك السلوك الإيجابيّ والجميل، تصبح هذه الأمور كالعادة عند الإنسان، هنا يمكن الإشارة إلى بعض الأفكار الإيجابيّة في كلام الإمام الصادق -عليه السلام- ومن أبرزها:

زيارة الأصدقاء وتنمية الإحساس بمساعدة الآخرين: يقول الإمام -عليه السلام-: «ما يعبد الله بمثل نقل الأقدام إلى برِّ الإخوان وزيارتهم».

الأنس بالله -تعالى-: كم هو جميل أن يأنس الشابّ الطاهر بالله تعالى! وكم جميل أن يجد هذا الشابّ أنّ الله تعالى هو الملجأ الوحيد إليه! يقول الإمام: «آنسوا بالله واستوحشوا ممّا به استأنس المترفون»(٣).

الثبات في طريق الهدف: الثّبات في طريق الإيمان والعقيدة، من جملة أسباب التّوفيق والنّصر. ويتمكّن الشابّ من الوصول إلى أهدافه من خلال الثبات والاستقامة، ولعلّ من أهمّ الآمال التي يحملها الشباب هو الوصول إلى السعادة الحقيقيّة والقرب من الله تعالى. يقول الإمام: « لو أنّ شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة ولظلّلهم الغمام ولأشرقوا نهاراً ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولما سألوا الله شيئاً إلّا أعطاهم»(٤).

مساعدة المحتاجين: «عن معلّى بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشت وهو يريد ظلّة بني ساعدة. فأتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء فقال: بسم الله اللهمّ أردد علينا فأتيته فسلّمت عليه فقال: معلى؟ قلت: نعم

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٠٨.
(٢) تحف العقول، ص٣٠٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٠١.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٠٢.

جعلت فداك، قال: التمس بيدك، فما وجدت من شيء فادفعه إليّ. فإذا أنا بخبز كثير منتشر فجعلت أدفع إليه الرغيف والرغيفين، وإذا معه جراب أعجز عن حمله فقلت: جعلت فداك أحمله عليّ، فقال: أنا أولى به منك ولكن امض معي، فأتينا ظلّة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام فجعل يدس الرغيف والرغيفين حتّى أتى على آخرهم حتّى إذا انصرفنا، قلت له: يعرف هؤلاء هذا الأمر؟ قال: لا لو عرفوا كان الواجب علينا أن نواسيهم بالدقّة وهو الملح، إنّ الله لم يخلق شيئاً إلّا وله خازن يخزنه إلّا الصدقة، فإنّ الربّ تبارك وتعالى يليها بنفسه»[1].

الاهتمام بالطعام: كما أنّ الشابّ المسلم يفكر بسلامة روحه، يسعى أيضاً في سبيل جسده، فهو ليس شخصاً ضعيف البنية كسولاً ومنزوياً، بل هو شخص يفكّر بسلامة غذائه كما يفكّر بسلامة روحه، الشابّ المسلم يقوّي بدنه من خلال التغذية الصحيحة وممارسة الرياضة ويحصل على نشاطه عبر طرق متعدّدة، وهو شخص يهتمّ بمسائل الحلال والحرام في الطعام، عن الإمام الصادق -عليه السلام-: «شيعتنا لا يأكلون الجِريَّ... ولا يشربون مسكراً»[2].

السلوك الحسن مع أصحاب المعاصي: يجب اختيار أسلوبٍ في التّعامل مع أصحاب المعاصي والذين يقومون بأعمال قبيحة، بحيث يكون هذا الأسلوب مفيداً لا يؤدّي إلى زرع بذور اليأس والقنوط عند المرتكبين ممّا يؤدّي في النّهاية إلى جعلهم من جملة الصالحين. يقول الإمام الصادق -عليه السلام-: «لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلّا خيراً، واستكينوا إلى الله في توفيقهم»[3].

يفكر في العمل الحلال: في أحد أيّام الصّيف الحارّة، وبينما كان عبد الأعلى بن أعين يجول في أزقّة المدينة وجد الإمام الصادق -عليه السلام-، فقال له: «جعلت فداك، مالك عند الله عزَّ وجلَّ وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم؟»

فقال عليه السلام: « يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك»[4].

التخطيط الصحيح للحياة: يقول الإمام الصادق -عليه السلام-: « فإنّ الله يعلم أنّي واجدٌ أن أطعمهم الحنطة على وجهها ولكنّي أحبّ أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة»[5].

---

(١) تفسير العياشي، ج٢، ص١٠٧.
(٢) تحف العقول، ص٣٠٣.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الكافي، ج٥، ص٧٤.
(٥) المصدر نفسه، ص١٦٦؛ أعيان الشيعة، ج١، ص٥٩.

اللهم صل على محمد وآل محمد

الإمام علي بن موسى الرضا
عليه السلام

شهر ذو القعدة

- السيدة فاطمة المعصومة –عليها السلام–
  خصائص الزيارة وبعض مميّزاتها
- شذرات من قيادة الإمام الرضا –صلوات الله عليه–
- من أخلاق الإمام الرضا (عليه السلام)
- الرفض والقبول في الشعر بين الإمام الرضا (عليه السلام)
  وخلفاء الدولة العباسية

السيدة فاطمة المعصومة -عليها السلام- خصائص الزيارة وبعض مميّزاتها

الشيخ عقيل البصري

اسمها ونسبها:

هي السيّدة الجليلة فاطمة بنت موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -عليهم السلام- بنت وليّ الله وأخت وليّ الله وعمّة وليّ الله- كما جاء في زيارتها-.

والدتها:

فاطمة -عليها السلام- هي الأخت الشقيقة للإمام الرضا -عليه السلام- تشترك معه في أمّ واحدة[1] فأمّها أمّ ولد تكنّى بأمّ البنين وقد ذكر لها العديد من الأسماء كنجمة وأروى وسكن وسمان وتكتم، وعليه استقرّ اسمها حين ملكها أبو الحسن موسى -عليه السلام- وإليها يشير الشاعر بقوله:

أَلَا إنَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْساً وَوَالِداً وَرَهْطاً وَأَجْدَاداً عَلِيٌّ المُعَظَّمُ

أَتَتْنا بِهِ لِلْعِلْمِ والحِلْمِ ثَامِناً إِماماً يُؤَدِّي حُجَّةَ اللهِ تَكْتُمُ

وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها. تقول السيّدة حميدة المصفّاة لولدها الإمام الكاظم -عليه السلام-: «يا بنيّ إنّ تكتم جارية ما رأيت جارية قطّ أفضل منها ولست أشكّ أنّ الله تعالى سيطهّر نسلها إن كان لها نسل وقد وهبتها لك فاستوصِ بها خيراً». ولمّا ولدت الإمام الرضا -عليه السلام- سمّاها الإمام الكاظم -عليه السلام- بالطاهرة وقد كانت من العابدات القانتات لربّها[2].

ولادتها ووفاتها:

ولدت في المدينة المنوّرة في غرّة شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٧٣ للهجرة وقال بعضهم: إنّها سنة ١٨٣ للهجرة[3] وفي بعض المؤلّفات أنّ الظاهر عدم دقّة هذا الأخير، حيث إنّ سنة ١٨٣ هي سنة شهادة الإمام موسى الكاظم -عليه السلام-، وقد كان فيها رهين سجون الظالمين[4].

---

(١) الطبريّ الإماميّ ابن رستم: دلائل الإمامة/ ص ٣٠٩.

(٢) أنظر: سلسلة مجالس العترة غريب خراسان/ ص ٢٢- ٢٤.

(٣) الحسّون ومشكور: أعلام النساء المؤمنات ص ٥٧٦ الشاكريّ الحاج حسين: موسوعة المصطفى والعترة/ ج ١١/ ص ٢٨.

(٤) الشاكريّ الحاج حسين: موسوعة المصطفى والعترة ج ١١/ ص ٢٨.

وكانت وفاتها في قمّ سنة ٢٠١ للهجرة[١] وذلك في العاشر من ربيع الثاني[٢] وقيل: في الثاني عشر منه[٣] وفيها دفنت فوفاتها قبل أخيها الإمام الرضا -عليه السلام- ويأتي في أخبار زيارتها -عليها السلام- الواردة عن الرضا -عليه السلام- ما يظهر منه ذلك[٤].

قال المحدّث القمّي -أعلى الله مقامه-: ومزارها في قمّ المقدّسة ذو قبّة عالية وضريح وصحون متعدّدة وخدم وموقوفات كثيرة وهي قرّة عين قمّ وملاذ الناس ومعاذهم بحيث تشدّ إليها الرحال كلّ سنة من الأماكن البعيدة لاقتباس الفيض واكتساب الأجر من زيارتها -عليها السلام-[٥].

فضائلها وصفاتها:

قال الشاعر:

يا بِنْتَ مُوسَى وَابْنَةَ الأَطْهارِ ... أُخْتَ الرِّضا وَحَبِيبَةَ الجَبَّار

يا دُرَّةً مِنْ بَحْرِ عِلْمٍ قَدْ بَدَت ... للهِ دَرُّكِ وَالعُلُوِّ السَّارِي

أَنْتِ الوَدِيعَةُ لِلإمامِ عَلَى الوَرَى ... فَخْرِ الكَرِيمِ وَصَاحِبِ الأَسْرارِ

لا زِلْتِ يا بِنْتَ الهُدى مَعْصُومَةً ... مِنْ كُلِّ ما يَرْتَضيهِ الباري

مَنْ زَارَ قَبْرَكِ في الجِنانِ جَزاؤُهُ ... هَذا هُوَ المَنْصُوصُ في الأَخْبار[٦]

لم يكن في ولد الإمام الكاظم -عليه السلام- مع كثرتهم بعد الإمام الرضا مثل هذه السيّدة الجليلة[٧] ومولانا القاسم-عليه السلام- وقد قيل في حقّها: (إنّها) رضعت من ثدي الإمامة والولاية، ونشأت وترعرعت في أحضان الإيمان والطهارة، تحت رعاية أخيها الإمام الرضا -عليه السلام-؛ لأنّ أباها الإمام الكاظم -عليه السلام- قد سجن بأمر هارون العباسي لذلك تكفّل أخوها رعايتها ورعاية أخواتها ورعاية كلّ العوائل من العلويّين التي كان الإمام الكاظم -سلام الله عليه- قائماً برعايتهم..

إنّ هذه العقيلة هي من الدّوحة العلويّة النّقيّة الطّاهرة المطهّرة، ومن حفيدات الصّدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء -سلام الله عليها- وبناتها الطّيّبات العالمات المحدّثات المهاجرات اللاتي اختصهنّ الله -تعالى- بملكة العقل والرشاد والإيمان والثبات، والعزيمة والفداء والتّضحية، وأودع فيهنّ العفّة والطهارة، وبواعث القوّة والحقّ والغلبة والكمال مع تجنبهنّ عوامل الذلّ والخذلان، والخوف والاستسلام..

(١) النمازيّ الشيخ عليّ: مستدرك سفينة البحار/ ج ٨/ ص ٢٦١.

(٢) أنظر: مهديّ بور عليّ أكبر: كريمة أهل بيت عليهم السلام ص ٩٩ والشاكريّ الحاج حسين: موسوعة المصطفى والعترة/ ج ١١/ ص ٢٨.

(٣) أنظر: مهديّ بور عليّ أكبر: كريمة أهل بيت عليهم السلام ص ٩٩.

(٤) التستريّ الشيخ محمّد تقيّ: رسالة في تواريخ النبيّ والآل صلوات الله عليهم الملحقة بقاموس الرجال/ ج ١٢/ ص ١٠٣.

(٥) القمّي الشيخ عبّاس: منتهى الآمال ج ٢/ ص ٣٧٨.

(٦) الأعلميّ الحائريّ الشيخ محمّد حسين: تراجم أعلام النساء/ ج ٢/ ص ٣٥٥.

(٧) التستريّ الشيخ محمّد تقيّ: رسالة في تواريخ النبيّ والآل صلوات الله عليهم الملحقة بقاموس الرجال/ ج ١٢/ ص ١٠٣.

تعرف هذه السيّدة بالمحدّثة، والعابدة، والمقدامة، وكريمة أهل البيت -عليهم السلام-. لقد كانت فاطمة -عليها السلام- على دين قويم صادق وانقطاع متواصل إلى الله تعالى، وفي غاية الورع والتقوى والزهد، كيف لا وأبوها الإمام الكبير القدر العظيم الشّأن المجتهد الجادّ في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، والمواظب على الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقضي النَّهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعي كاظماً، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يُسمّى بالعبد الصالح، ويعرف بباب الحوائج إلى الله تعالى [1].

ويظهر من الروايات أنّ فاطمة هذه كانت عابدة مقدّسة مباركة شبيهة جدّتها فاطمة الزهراء -عليها السلام-،وأنّها على صغر سنّها كانت لها مكانة جليلة عند أهل البيت -عليهم السلام-، وعند كبار فقهاء قمّ ورواتها، حيث قصدوها إلى ساوة وخرجوا في استقبالها، ثمّ أقاموا على قبرها بناءً بسيطاً، ثمّ بنوا عليه قبّة وجعلوه مزاراً، وأوصى العديد منهم أن يدفنوا في جوارها[2].

فاطمة وسبب شهرتها بالمعصومة:

وقد اشتهرت هذه السيّدة الجليلة بلقب المعصومة حتّى باتت تعرف وقد أرجع بعضهم ذلك لأحد سببين:

الأوّل: أنّه لمّا كان عمرها -رضوان الله عليها- قصيراً- لم يتجاوز الثلاثين على أكثر الروايات -، أطلق عليها الإيرانيّون «معصومة فاطمة» أو «معصومة قمّ»، لأنّ معصوم بالفارسيّة بمعنى البريء ويوصف بها الطفل البريء- فيكون ذلك للإشارة إلى طهارتها وصفاء روحها -.

الثاني: أنّ ذلك يعود لطهارتها وعصمتها عن الذّنوب، فإنّ العصمة على قسمين، عصمة واجبة كالتي ثبتت للأئمّة المعصومين -عليهم السلام-، وعصمة جائزة تثبت لكبار أولياء الله -تعالى- المقدّسين المطهّرين عن الذنوب[3]. ولعلّ ما جاء في ثواب زيارتها ممّا ورد التّعبير بمثله للأئمّة المعصومين -عليهم السلام- يؤيّد هذا الوجه كالتّعبير بأنّ من زارها فله الجنّة أو وجبت له الجنّة.

وقد يضاف إلى هذين الأمرين أمر آخر محتمل: أنّه ربّما يكون ذلك بسبب اعتصامها بأهل قمّ فإنّها التجأت إليهم ونزلت عندهم والعصمة في لغة العرب تأتي بمعنى المنع -والله العالم- هذا وقد نسب للإمام الرضا -عليه السلام- أنّه قال: «من زار المعصومة بقمّ كمن زارني»[4].

---

(١) يراجع هذا في أعلام النساء المؤمنات/ ص ٥٧٦.

(٢) الكورانيّ العامليّ الشيخ عليّ: عصر الظهور/ ص ٢١٤.

(٣) المصدر نفسه/ ص ٢١٥.

(٤) رياحين الشريعة ج ٥ ص ٣٥وإن كنّا لم نعثر عليه بهذا النصّ في الجوامع الحديثيّة،فلعلّه من النقل بالمعنى لشهرتها بذلك، فلاحظ.

نص الزيارة:

ومع كفاية حضور الزّائر عند المزور والسلام عليه في تحقّق الزيارة، إلا أنّه قد ورد نصّ خاص عن الإمام الرضا (عليه السلام) في كيفية زيارة السيدة المعصومة، كما ذكر ذلك العلامة المجلسي -رحمة الله عليه- في البحار، قال: رأيت في بعض كتب الزيارات: حدّث علي بن إبراهيم عن أبيه، عن سعد عن علي بن موسى الرضا -عليهما السلام-، قال: قال: يا سعد عندكم لنا قبر، قلت: جعلت فداك قبر فاطمة بنت موسى -عليهما السلام-، قال: نعم، من زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة، فإذا أتيت القبر فقم عند رأسها مستقبل القبلة، وكبّر أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، واحمد الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، ثم قل:

السلام على آدم صفوة الله، السلام على نوح نبي الله، السلام على إبراهيم خليل الله، السلام على موسى كليم الله، السلام على عيسى روح الله، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك يا صفي الله، السلام عليك يا محمد بن عبد الله خاتم النبيين، السلام عليك يا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله، السلام عليك يا فاطمة سيدة نساء العالمين، السلام عليكما يا سبطي نبي الرّحمة وسيّدي شباب أهل الجنّة، السلام عليك يا علي بن الحسين سيّد العابدين وقرّة عين النّاظرين، السلام عليك يا محمد بن علي باقر العلم بعد النبي، السلام عليك يا جعفر بن محمد الصادق البارّ الأمين، السلام عليك يا موسى بن جعفر الطّاهر الطّهر، السلام عليك يا علي بن موسى الرضا المرتضى، السلام عليك يا محمد بن علي التقي، السلام عليك يا علي بن محمد النقي الناصح الأمين، السلام عليك يا حسن بن علي، السلام على الوصي من بعده، اللهم صلّ على نورك وسراجك، ووليّ وليّك، ووصيّ وصيّك، وحجّتك على خلقك.

السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت فاطمة وخديجة، السلام عليك يا بنت أمير المؤمنين، السلام عليك يا بنت الحسن والحسين، السلام عليك يا بنت ولي الله، السلام عليك يا أخت ولي الله، السلام عليك يا عمّة ولي الله، السلام عليك يا بنت موسى بن جعفر، ورحمة الله وبركاته.

السلام عليك، عرّف الله بيننا وبينكم في الجنّة، وحشرنا في زمرتكم، وأوردنا حوض نبيّكم، وسقانا بكأس جدّكم، من يد علي بن أبي طالب، صلوات الله عليكم، أسأل الله أن يرينا فيكم السرور والفرج، وأن يجمعنا وإيّاكم في زمرة جدّكم محمد -صلّى الله عليه وآله-، وأن لا يسلبنا معرفتكم إنّه وليّ قدير.

أتقرّب إلى الله بحبّكم، والبراءة من أعدائكم، والتّسليم إلى الله راضياً به، غير منكر ولا مستكبر، وعلى يقين ما أتى به محمد وبه راضٍ، نطلب بذلك وجهك يا سيدي، اللهم ورضاك والدار الآخرة، يا فاطمة اشفعي لي في الجنة فإنّ لك عند الله شأناً من الشأن.

اللهم إنّي أسألك أن تختم لي بالسعادة، فلا تسلب منّي ما أنا فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم

استجب لنا وتقبّله بكرمك وعزتك، وبرحمتك وعافيتك، وصلى الله على محمد وآله أجمعين، وسلّم تسليماً يا أرحم الراحمين.[1].

خصائص الزيارة وبعض مميّزاتها

وتعد هذه الزيارة من الزيارات الجامعة حيث اشتملت على السّلام على أبي البشر آدم -عليه السلام-، وأولي العزم من الرسل -عليهم السلام-، ثم السلام على المعصومين من أهل البيت -عليهم السلام- وهم الصديقة فاطمة الزهراء -عليها السلام-، والأئمة الاثنا عشر -عليهم السلام-، وذكرهم واحداً واحداً، ثم السلام على فاطمة المعصومة، ثم الإشارة إلى بعض مقامات أهل البيت -عليهم السلام-، ومنزلتهم عند الله -تعالى-، وما أعده لهم من المنزلة في الدار الآخرة، والشأن العظيم، ثم الإقرار لهم بالمحبّة والولاية والبراءة من أعدائهم، والتسليم إلى الله -تعالى-، وإعلان الرضا بكل ما جاء به النبي -صلّى الله عليه وآله- والاعتقاد اليقين به، ثم الابتهال إلى الله -تعالى- وطلب الثبات على ذلك.

وجميع هذه المضامين العالية واردة في روايات أهل البيت -عليهم السلام-، فهي في حدّ ذاتها ـ بغضّ النظر عن سندها ـ موافقة لما ورد من أصول المعارف الحقّة عن أئمة الهدى -عليهم السلام-.

ثم إنّ في هذه الزيارة أموراً تلفت النظر وتسترعي الانتباه، نشير إجمالاً إلى ثلاثة منها:

الأوّل: الالتفات في السلام من الغيبة إلى الخطاب، فإنّ الزيارة تبدأ بالسلام على آدم في صورة الغيبة، حتى إذا بلغ السلام إلى النبي -صلّى الله عليه وآله- تحوّل إلى صورة المخاطبة.

الثاني: ذكر في الزيارة أنَّ السيدة فاطمة المعصومة -عليها السلام- بنت الحسن -عليه السلام-، حيث ورد فيها: السلام عليكِ يا بنت الحسن والحسين.

ومن المعلوم أنَّ فاطمة المعصومة -عليها السلام-تنحدر من سلالة الحسين -عليه السلام-، فهي فاطمة بنت موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام-.

الثالث: اشتمال الزيارة على أنّ للسيدة فاطمة المعصومة -عليها السلام- شأناً من الشأن، وبه تشفع في الجنة.

أما الأمر الأوّل: فلأن من الثابت بالكتاب والسنّة أنَّ النبي -صلّى الله عليه وآله- والأئمة -عليهم السلام- شهداء على الخلق، وأنّهم في جميع الحالات يسمعون الكلام ويردّون السلام، من دون اختصاص بمكان دون مكان أو زمان دون آخر، ولذا فإنّ جميع ما ورد من الزيارات ـ إلا القليل ـ كان في صورة الخطاب والحضور، حتى أنّ التسليم المستحبّ في آخر كلّ صلاة كذلك، وهو قول المصلّي (السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته).

وأمّا في خصوص المقام فقد ذكر بعض العلماء أنَّ في ذلك إلماحاً بل إشارة إلى منزلة قم ومكانتها عند أهل البيت

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٢/ ص٢٦٥-٢٦٧.

-عليهم السلام-، وقد أثنى الأئمة (عليهم السلام) على أرض قم وأهلها، ووردت عنهم -عليهم السلام- أحاديث كثيرة في ذلك، وسيأتي ذكر بعضها في محلّه.

ويؤيد ذلك ما ورد في الرّواية الواردة عن الإمام الصادق -عليه السلام- حيث قال: إنّ لله حرماً وهو مكة، وإنّ للرسول حرماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم..[1]

وفي رواية أخرى: ألا إنَّ قم الكوفة الصغيرة، ألا إنّ للجنّة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم..[2]

ففي العدول من الغيبة إلى الخطاب إشعار بحضورهم -عليهم السلام- في هذا المكان المقدّس فإنّه حرمهم، وموطن شيعتهم، وورد في الروايات أنّهم -عليهم السلام- لا يغيبون عن شيعتهم.

وقد أصبح لبلدة قم ميزة أخرى تضاف إلى مميّزاتها وهي أنّها مثوى السيدة فاطمة المعصومة -عليها السلام-، الأمر الذي زاد في ارتباط الأئمة -عليهم السلام-، بقم، وقد أخبر عنه الإمام الصادق -عليه السلام- قبل ولادتها، بل قبل ولادة أبيها -عليه السلام- حيث قال: وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمّى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنّة[3].

وفي رواية أخرى: تقبض فيها امرأة هي من ولدي، واسمها فاطمة بنت موسى، تدخل بشفاعتها شيعتنا الجنّة بأجمعهم[4] وبه ينسجم العدول في السلام من الغيبة للخطاب فإنّ الزّائر يخاطب النبي -صلّى الله عليه وآله- والأئمة -عليهم السلام- وهم حاضرون.

وأما الأمر الثاني: فيظهر معناه بالرجوع إلى نسب الإمام الباقر -عليه السلام- من جهة أمّه -عليها السلام-، وهي فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى -عليه السلام-، فتكون جدّة للإمامين الصادق والكاظم -عليهما السلام-، وبذلك تكون السيدة فاطمة المعصومة -عليها السلام- بنتاً للإمام الحسن -عليه السلام- من طرف الأم.

وقد ذكر الرواة أنَّ أم الإمام الباقر -عليه السلام- كانت على مرتبة عالية من الجلال والكمال.

يقول المحدّث القمّي في منتهى الآمال: أمّه ـ أي الإمام الباقر -عليه السلام- ـ السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى، وقيل لها: أم عبد الله.

فاصبح -عليه السلام) ابن الخيرتين، وعلويّاً بين العلويين.

روي في دعوات الراوندي عن الإمام محمد الباقر -عليه السلام- أنّه قال: كانت أمّي قاعدة عند جدار، فتصدّع الجدار وسمعنا هدّة شديدة، فقالت بيدها: لا وحقّ المصطفى، ما أذن الله لك في السّقوط، فبقي معلّقاً حتى جازته، فتصدّق عنها أبي -عليه السلام- بمائة دينار.

---

(١) تاريخ قم: ص٢١٥، وبحار الأنوار: ج٦٠/ ص٢١٦-٢١٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٠/ ص٢٢٨.

(٣) تاريخ قم: ص٢١٥، وبحار الأنوار: ج٦٠/ ص٢١٦-٢١٧.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٠/ ص٢٢٨.

وذكرها الصادق -عليه السلام- يوماً فقال: كانت صدّيقة لم يدرك في آل الحسن امرأة مثلها[1].

وعلى هذا فيكون الإمام الحسن أباً للسيدة فاطمة المعصومة -عليها السلام- لأنَّه جدّ الإمام الباقر -عليه السلام- لأمّه، بل هو أب لسائر الأئمة -عليهم السلام-.

وأمّا الأمر الثالث: فيعلم ممّا تقدم من الأبحاث السابقة، فإنّ شأن السيدة فاطمة المعصومة هو الشَّأن الشَّامخ، والمنزلة العالية، عند الله -تعالى- على ما نطقت به الروايات، ومن ذلك أنَّ لها شأنية الشفاعة لجميع الشيعة، كما قال عنها جدّها الإمام الصادق -عليه السلام-: (تدخل بشفاعتها شيعتنا الجنة بأجمعهم).

والشَّفاعة من المسائل التي أكّدت عليها النصوص القرآنية وروايات أهل البيت -عليهم السلام-، وتكفّلت الكتب الكلامية ببيان تفاصيلها حكماً وموضوعاً.

والذي نودّ الإشارة إليه أنَّ المستفاد من جملة (يا فاطمة اشفعي لي في الجنة فإنّ لك عند الله شأناً من الشأن) أنّ هذا الشأن ليس هو شأن الشّفاعة فقط، وإنّما الشفاعة هي أحد مصاديق ذلك الشأن.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد من الرّوايات الدالّة على أنَّ الشَّفاعة ثابتة لجملة من الأفراد على اختلاف مراتبهم منهم النبي الأعظم -صلّى الله عليه وآله- فإنّ له المقام المحمود، وهو أعلى مراتب الشَّفاعة على ما ورد في كثير من الروايات[2]. ومنهم الأئمة المعصومون -عليهم السلام- والصدّيقة الزّهراء -عليها السلام-، ومنهم الشّهداء، ومنهم القرآن الكريم، فإنّه يشفع لقرّائه، ومنهم السقط فإنّه يشفع لأبويه، ومنهم المؤمن الشّيعي، فإنّ الله تعالى قد جعل له الشّفاعة يوم القيامة كما ورد في صحيحة ابن أبي نجران، قال: سمعت أبا الحسن -عليه السلام- يقول: من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنّهم منّا خلقوا من طينتنا، من أحبّهم فهو منّا، ومن أبغضهم فليس منّا..، والله إنّ أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر، فيشفّعه الله -تعالى- فيهم، لكرامته على الله عزّ وجلّ[3].

إنَّ مقام الشّفاعة وإن كان شامخاً إلا أنَّ للسيدة فاطمة المعصومة مقاماً آخر عبّر عنه بالشأن.

وممّا يدل على ذلك ما نقله المحقّق الشهير الفاضل السيد مهدي الرجائي ـ ورأيته في أكثر من كتاب[4]ـ عن السيد محمود المرعشي، عن أبيه السيد شهاب الدين، عن جدّه السيد محمود المرعشي، أنّه كان يريد معرفة قبر الصّدّيقة الزّهراء -عليها السلام-، وقد توسّل إلى الله تعالى من أجل ذلك كثيراً، حتى أنّه دأب على ذلك أربعين ليلة من ليالي الأربعاء من كل أسبوع في مسجد السهلة بالكوفة، وفي الليلة الأخيرة حظي بشرف لقاء الإمام المعصوم-عليه السلام-، فقال له

---

(١) منتهى الآمال: ج٢/ ص١٣١.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٣/ ص٢٠٦-٢١١.

(٣) صفات الشيعة، الحديث ٥، ص٨٢.

(٤) كريمة أهل البيت (عليهم السلام)، ص٤٣-٤٥ وسيدة عش آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، ص٣٧-٣٨.

الإمام -عليه السلام-: (عليك بكريمة أهل البيت)، فظنّ السيد محمود المرعشي أن المراد بكريمة أهل البيت -عليها السلام- هي الصديقة الزهراء -عليها السلام- فقال للإمام -عليه السلام-: جعلت فداك إنّما توسّلت لهذا الغرض، لأعلم بموضع قبرها، وأتشرّف بزيارتها، فقال (عليه السلام): مرادي من كريمة أهل البيت قبر السيدة فاطمة المعصومة -عليها السلام- في قم.

ثم قال: إنَّ الله تعالى قد جعل قبر الصّديقة الزّهراء من الأسرار، وقد اقتضت الإرادة الإلهية تبعاً لبعض المصالح أن يكون قبرها مخفيّاً لا يطّلع على موضعه أحد من الناس، فلا يمكن الإخبار عنه، ولكن جعل الله قبر السيدة فاطمة المعصومة موضعاً يتجلّى فيه قبر الصّديقة الزّهراء -عليها السلام-، وإنَّ ما قدّر لقبر الصديقة الزهراء -عليها السلام- من الجلال والعظمة والشأن ـ لو كان معلوماً ظاهراً ـ قد جعله الله تعالى لقبر السيدة المعصومة.

وعلى إثر ذلك عزم السيد محمود المرعشي على السفر من النّجف الأشرف إلى قم لزيارة كريمة أهل البيت (عليها السلام).

ونقل عن المحدّث الشيخ عباس القمّي أنّه رأى الميرزا القمّي ـ صاحب القوانين ـ في عالم الرؤيا ـ وسأله: هل أنّ شفاعة أهل قم بيد السيدة فاطمة المعصومة؟ فنظر إليّ متعجباً وقال: شفاعة أهل قم بيدي، وأما فاطمة المعصومة فشفاعتها لأهل العالم[1].

فما يردّده بعض الحمقى والمغفّلين من أنّ فاطمة المعصومة-عليها السلام- لا تعدو أن تكون امرأة، مثلها مثل سائر النّساء، ولا شأن لها؛ إن هو إلا دليل على الجهل واللامبالاة والتّطاول على المقدّسات، ويكشف عن الحرمان وسلب التوفيق والتّقصير في معرفة مقامات الأولياء والصّالحين والصالحات من أهل البيت -عليهم السلام-، فإنَّ كونها امرأة لا يقعد بها عن تسنّم أرفع الدرجات، وأنّها من فضليات البشر، ولا يدانيها في الفضل والمنزلة أكثر الرجال وهي من التاليات للمعصومين من أهل البيت -عليهم السلام- في الفضل والشّأن والمنزلة عند الله تعالى وعند الأئمة -عليهم السلام-، وحسبك ما تقدّم في الرواية الصحيحة السّند عن أبي الحسن الرضا -عليه السلام- أنّه قال: من زارها فله الجنّة.

هذا، وقد ذكر أنَّ للزيارة آداباً وسنناً تكفّلت كتب الفقه والزيارات ببيان تفاصيلها.

---

(١) كريمة أهل البيت (عليهم السلام)، ص٦٠.

شذرات من قيادة الإمام الرضا -صلوات الله عليه-

الشيخ حيدر حسن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

القيادة عامل مهم، به يتم تعمير البلاد، ويؤمّن رفاه العباد ورقيهم.

وقد شاءت إرادة الله -تعالى- أن يكون هذا العامل على طول التاريخ، وحتى يوم القيامة متوفر وموجه للمجتمعات الإنسانية.

ولأجل هذا اصطفى الباري -عزوجل- الأربعة عشر معصوماً -عليهم السلام-.

وفي حكومة النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- وأمير المؤمنين علي -عليه السلام-، كانا للناس الأسوة الحسنة للحكومة المثالية والقدوة فيها.

وبقية الأئمة الطاهرين -عليهم السلام- قد بذلوا كل جهودهم لبيان (المذهب) وتوضيح (القيادة) حتى يوجهوا البشرية على طول التاريخ، فإنّ الناس منعوهم من حقّهم في الحكم.

وقد عينّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- وبأمر من الله -سبحانه وتعالى-، خلفاءه من بعده، وهم أئمة أهل البيت -عليهم السلام- الاثني عشر، فجعل -صلى الله عليه وآله- علي بن أبي طالب -عليه السلام- ولي عهده، وخليفته من بعده، ووليه في الدنيا والآخرة، آثره على سائر أرحامه وأصحابه، وأنزله منه منزلة هارون من موسى، ولم يستثن من جميع المنازل إلا النبوة، وقد أوضح رسول الله -صلى الله عليه وآله- الأمر فجعله جلياً بقوله: " إنّه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي "[1].

وقد سجّل لنا التاريخ تعاقب الأئمة -عليهم السلام- من أهل البيت، فسجل مواقفهم وأدوارهم في إدارة البلاد والعباد، في الأمور العقائدية والجهادية والسياسية وغيرها، واحداً تلو الآخر، فكان يؤدّي كل واحد منهم -عليهم السلام- دوره ومسؤوليته، وينهض بأعباء الدّين في عصره، ويحمل الرّاية ليسلّمها للإمام الذي يليه.

والإمام علي بن موسى الرضا -عليه السلام- هو ثامن أئمة أهل البيت -عليهم السلام- فهو فرع دوحة النبوة، والإمام من أهل البيت في زمانه، وقد عاش -عليه السلام- مع أبيه أربعة وعشرين عاماً، ومضى بعد التاسعة والأربعين عاماً من عمره الشريف، أي بعد خمسة وعشرين عاماً من استشهاد أبيه -عليه السلام-.

---

(١) مسند أحمد: ج١/ ص٣٣١؛ مجمع الزوائد: ج٩/ ص١٢٠.

وهو -عليه السلام- حجّة الله على الأرض، فعلى الناس أن يتّبعوه ويجعلوه إماماً يقتدون به ويأخذون عنه.

عهد هارون العباسي

كان أهل البيت -عليهم السلام- أكثر الناس إرهاقاً وظلامة تحت كابوس الحكم العباسي الظالم، فقد سفك حكام بني العباس دماء أهل البيت -عليهم السلام- وأتباعهم، وأذاقوهم أشدّ أنواع الظلم والاضطهاد.

.. وفي هذا الجو الإرهابي الفظيع، عاش الإمام الكاظم -عليه السلام- والد الإمام الرضا -عليه السلام- .. فكان له النصيب الأوفر من ذلك الإرهاب العنيف، حيث المراقبة والتّضييق والاعتقال والسّجن والتّعذيب، وفي النهاية القتل ..

فهارون كان يتوجّس خيفة من الإمام موسى بن جعفر -عليه السلام- ـ مضافاً إلى الحسد والحقد ـ وهذه الهواجس كانت تدفعه إلى الشّك أحياناً، وكان هناك من الشّياطين من يجعل الشّك عنده يقيناً بالتّزوير والدّس اللئيم، فكان هارون يرسل على الإمام -عليه السلام- العيون والجواسيس، لإرصاد تحرّكاته وحتى كلماته التي كان يلقيها في حلقات درسه، كما كان يتحسّس على جميع تصرّفاته لأنَّه كان يعتبره أهم منافس له في حكمه.

ولما اجتمعا [1] أمام قبر رسول الله -صلى الله عليه وآله- قال هارون: (السلام عليك يا بن العم يا رسول الله)، وكان يريد أن يُبيّن للناس أحقّيته بالخلافة لأنَّه ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وآله-، فردّ الإمام الكاظم -عليه السلام- عليه بقوله: "السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله" [2] ، فحسده هارون وحمله معه إلى بغداد، وحبسه مقيّداً فلم يخرج من حبسه إلّا شهيداً بالسمّ ودُفن بالجانب الغربي من بغداد [3] .

ولقد تحمّل الإمام الرضا -عليه السلام- مسؤولية الإمامة في هذه الفترة الرهيبة، فحياته -عليه السلام- تمثّل مرحلة سياسية وتاريخية بارزة في تاريخ الإسلام، وكان له دور هام في قيادة الأمة.. ففي عصره تفجرت ثورة محمد بن إبراهيم وأبي السرايا..

ثم ثورة محمد الديباج بن الإمام جعفر الصادق -عليه السلام-، ثم ثورة علي بن محمد الدّيباج، كما ثار في عهده إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر -عليه السلام- وغيرهم من العلويين والشّيعة ..

ويستظهر أنَّ المحرّك والموجّه والمخطّط والمؤيّد لمثل هذه الثّورات كان عميد أهل البيت وإمامهم علي بن موسى الرضا -عليه السلام-، نعم بحسب الظاهر كان الإمام -عليه السلام- بنفسه مشغولاً عنها، وتلك هي السياسة الحكيمة التي اتبعها الإمام -عليه السلام- .

---

(١) أي الإمام الكاظم -عليه السلام- وهارون العباسي.

(٢) الطبرسي في الاحتجاج: ج٢/ ص١٦٧ .

(٣) ينابيع المودة: ج٣/ ص١٦٥.

الاهتمام بشؤون الأمة

ثم إنَّ الإمام الرضا -عليه السلام- بالإضافة لتوليه شؤون أهل بيت النبوة في المدينة المنورة، كان يهتم بمشاكل الأمة، ويسعى لتوعيتها وتثقيفها، فكان له نشاطه التعليمي المكثَّف. ولقد حقق غايته المتوخاة، حيث استقطب الإمام -عليه السلام- خلال تلك الفترة طلاب المعرفة الإسلامية، وخلق نواة مدرسة فكرية مميزة، تخرّج فيها قمم فكرية وقادة رأي ورواة ومحدثون وفقهاء.

كأحمد بن محمد البزنطي..

ومحمد بن الفضل الكوفي..

وعبد الله بن جندب البجلي..

وإسماعيل بن سعد الأشعري..

وحسن بن علي الوشاء..

ومحمد بن سليمان الديلمي..

وحسن بن سعيد الأهوازي..

وإبراهيم بن محمد الهمداني..

وريان بن شبيب..

وغيرهم.

وقد كان الإمام -عليه السلام- مرجع الأمّة في ذلك العصر المظلم المليء بالخوف والإرهاب.

وقد استدعى هارون الإمام الرضا -عليه السلام- للتحقيق معه والحدّ من نشاطه وربما قتله، ولكنه تراجع عن ما كان ينويه، وأعاد الإمام -عليه السلام- إلى بيته مكرّماً مبجّلاً.

عهد المأمون العباسي

غيّر المأمون العباسي ـ بحسب الظاهر ـ شيئاً من أسلوب بني العباس، وإن لم يختلف في الجوهر شيئاً، فإنّ الناس لم يتحمّلوا آنذاك إيذاء أهل البيت -عليهم السلام-، وكان الرأي العام مع العترة الطاهرة، فقام المأمون بإظهار المحبة والتّودّد للإمام الرضا -عليه السلام-.

على عكس سياسة هارون، حيث كان الإمام الكاظم -عليه السلام- يعيش في أشدّ بلاء ومحنة وظلم من هارون. ضاق هارون ذرعاً بالإمام الكاظم -عليه السلام- ولم يطق عليه صبراً، فأمر بقتل الإمام -عليه السلام- مسموماً. وبهذا انتهت محنة إمامنا موسى بن جعفر -عليه السلام- باستشهاده بالسم، وبقيت المحن تصيب الإمام الرضا -عليه السلام- وسائر أهل بيت النبوة -عليهم السلام- وشيعتهم الذين أعرضوا عن الحكام بكليتهم لإعراض الحكام

عن الله وعن دينه وشريعته.

ولم تسكت شيعة الإمام الكاظم -عليه السلام- عن الظلم الذي لحق بإمامهم، جراء طيش هارون وسوء تصرّفه بالسلطة، بل راحت تفضح تلك الأساليب الإرهابية التي كان يمارسها الحكم العباسي المتسلط حتى هلك هارون.

ولما وصلت السلطة إلى المأمون، ورأى أنَّ الرأي العام ضدّه، أخذ بأساليبه وألاعيبه الشيطانية يتصنع الود ويتظاهر بالمحبة لأهل بيت العصمة -عليهم السلام- لأنَّه كان يخشى ثورة الشيعة، ويخاف من قيادتهم والتفاف الأمّة حولهم، ويخشى بشكل خاص قيادة الإمام علي بن موسى الرضا -عليه السلام- والتفاف الناس حوله.

من أهداف المأمون

كان المأمون طموحاً في الملك وخلافة بني العباس، وعمل كل ما بوسعه للوصول إلى سدّة الحكم، فقد حدثنا التاريخ أنَّه حارب أخاه الأمين وقتله وقطع رأسه ونصبه في ساحة المدينة مدّة من الزّمن حتى يبصق عليه الناس.

وكان أخوه المقتول هو الذي نصّ عليه هارون بالخلافة من بعده، وكان المنافس الأوّل للمأمون.

كما اتخذ المأمون خطّة ماكرة تجاه الإمام الرضا -عليه السلام- وذلك للحد من نشاطه الدّيني والسياسي، والقضاء على الانتفاضات العلوية والتي كانت تحدث في عصره بين فترة وأخرى، فأخذ يتظاهر بالابتعاد عن رؤساء بني العباس والتّقرّب إلى الإمام الرضا -عليه السلام- .. ولم يرد به وجه الله والدار الآخرة، ولا عصمة النّفس عن الشهوات، وإنَّما ليضفي على نفسه لقب الخليفة، والشّخص الأوّل في الدولة الإسلامية في ذلك العصر، وليغطّي على جرائمه وموبقاته التي راح ضحيّتها الآلاف وسالت دماؤهم دون وجه حق. وحتى يستطيع هو وزمرته من وراء الستار القضاء على تحرّكات شيعة الإمام الرضا -عليه السلام- بل والإنهاء على حياة الإمام -عليه السلام-، مستغلاً وجوده ومشاركته في حكم المأمون، وقصد بالمشاركة المذكورة أموراً عدة نجملها ملخصاً:

١: جلب انتباه الأمّة إلى أنَّ أهل بيت النبوة يتصنعون ـ والعياذ بالله ـ الزهد ظاهرياً، لأنَّ السلطة لم تصل إليهم، وما إن وصلت الحكومة دارهم حتى صفّقوا لها باليدين وأقبلوا على الدنيا.

وقد أفشل الإمام الرضا -عليه السلام- خطة المأمون بموقفه الدقيق والحذر والحصيف كما سيأتي.

٢: وبما أنَّ عميد العلويين في ذلك العصر هو الإمام الرضا -عليه السلام- فوصوله ومشاركته في حكم المأمون يمنع من قيام أي حركة ونهضة ضد الحكم القائم.

٣: عندما تصبح ـ حسب الظاهر ـ القوة المسيطرة بيد الإمام الرضا -عليه السلام- يظهر مخالفو المأمون الذين هم من أتباع الإمام الرضا -عليه السلام- لإحراز السيطرة على المناصب، وبالنتيجة سيعرفهم المأمون بشكل تفصيلي ويشرع في تصفيتهم وقتلهم.

٤: كما كان المأمون يسعى في تشكيل أكبر المجالس العلمية، ويدعو مفكري ذلك الزّمان لمباحثة الإمام الرضا -عليه السلام- وطرح أصعب الأسئلة عليه، ربما يتمكّن ـ حسب زعمه ـ من إظهار عجز الإمام (والعياذ بالله) وإظهار عدم مقدرته العلمية، ومن ثم عدم أحقّيته بخلافة الأمّة.

وهناك أهداف وأفكار أخرى كلّها تصب في بقاء حكم المأمون العبّاسي وسيطرته الكاملة المحكمة على مقدرات الأمّة.

خيوط المؤامرة

صمم المأمون على تنفيذ مؤامرة سياسية ضد الإمام الرضا -عليه السلام-، وحسب لها الحسبان .. فتمثلت خطة الاحتيال لدى المأمون بإرسال مجموعة من جلاوزته برئاسة (الرجاء بن أبي الضحاك) إلى المدينة المنورة، لإجبار الإمام الرضا -عليه السلام- على ترك موطنه الأصلي (مدينة رسول الله -صلى الله عليه وآله-) والاتجاه صوب خراسان.

وكان الإمام الرضا -عليه السلام- عالماً بنوايا المأمون بالعلم اللدنّي وغيره، فشرع الإمام -عليه السلام- بتوديع أهله وأمرهم بالبكاء والندب عليه، وعندما سُئل عن سبب ذلك وقيل له بأنّ البكاء لا يصلح على المسافر، أجاب: ذلك للمسافر الذي يأمل في الرجوع، وأمّا أنا فلا رجوع لي من هذا السفر، وسأقتل غريباً مسموماً بعيداً عن الأهل والوطن.

عن الحسن بن علي الوشا قال: قال لي الرضا -عليه السلام-: «إنِّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا علي حتى أسمع، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً» [١].

ثم ذهب الإمام الرضا -عليه السلام- إلى مسجد الرسول -صلى الله عليه وآله- وقبر جده الشريف، ليودعه، وأخذ يبكي بصوت عال، وعندما سُئل عن سبب ذلك أجاب: إنَّه آخر وداع لي، لأنِّي أرحل عن الدنيا في الغربة، وفيها أوارى في التراب بجنب هارون.

عن مخول السجستاني قال: لما ورد البريد بإشخاص الرضا -عليه السلام- إلى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل -عليه السلام- المسجد ليودع رسول الله -صلى الله عليه وآله- فودعه مراراً كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب فتقدمت إليه وسلمت عليه فردّ السلام وهنَّأته فقال: «زرني فإنّي أخرج من جوار جدّي -صلى الله عليه وآله- فأموت في غربة وادفن في جنب هارون» [٢].

وقد كشف الإمام الرضا -عليه السلام- بهذه المواقف الواضحة والأجوبة الصريحة والصادقة للأمة عن تلك الأحابيل الشيطانية التي أقدم عليها المأمون العباسي، ولكي يبين للأمة جمعاء أنَّه ليس له صلة بالحكم المسيطر، وإنَّما أُجبر

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ج٢/ ص٥٩.
(٢) انظر بحار الأنوار: ج٤٩/ ص١١٧.

على الابتعاد عن وطنه والعيش في الغربة، ومن ثم قتله مسموماً مظلوماً.

حديث سلسلة الذهب

حُمِل الإمام الرضا -عليه السلام- من مسقط رأسه (المدينة المنورة) إلى (نيشابور) وذلك في طريقهم إلى خراسان، وفي هذه المدينة خرج لاستقبال الإمام -عليه السلام- أكثر من مائة ألف شخص وهم في غاية الشوق لرؤيته -عليه السلام- والاستفادة منه.

وكان في عداد هذا العدد الهائل كثير من العلماء والمحدثين، وكلهم بلهفة بالغة، فطلبوا من الإمام -عليه السلام- أن يكشف عن وجهه الكريم للتبرك بنوره المشع، فأزاح الإمام -عليه السلام- الستار عن الهودج.. فأخذت الجموع بالبكاء من شدّة الشوق.

ثم طلب اثنان من المحدثين من الإمام الرضا -عليه السلام- نيابة عن الجموع الغفيرة أن يحدّثهم حديثاً عن أبيه -عليه السلام- عن آبائه -عليهم السلام- عن رسول الله -صلى الله عليه وآله-. وقد عُدّ المحابر التي استعدت لكتابة الحديث فكانت أربعاً وعشرين ألفاً.

فاستجاب الإمام -عليه السلام- لطلبهم وحدّثهم بحديث ننقل نصّه من كتاب (العروة الوثقى) للسيد الطباطبائي اليزدي -قدس سره- قال:

هذا الحديث المعروف بسلسلة الذّهب، وهو ما حدّثنا محمد بن موسى المتوكل قال: حدّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه يوسف بن عقيل، عن إسحاق بن راهويه قال:

لما وافى أبو الحسن الرضا -عليه السلام- نيشابور، وأراد أن يرتحل إلى المأمون، اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا: يا بن رسول الله -صلى الله عليه وآله- تدخل علينا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك؟

وقد كان -عليه السلام- قعد في العمارية، فأطلع رأسه فقال -عليه السلام-:

سمعت أبي موسى بن جعفر -عليه السلام- يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد -عليه السلام- يقول: سمعت أبي محمد بن علي -عليه السلام- يقول: سمعت أبي علي بن الحسين -عليه السلام- يقول: سمعت أبي الحسين بن علي -عليه السلام- يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- يقول: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله- يقول: سمعت جبرائيل -عليه السلام- يقول: سمعت الله عزّ وجلّ يقول:

"كلمة لا إله إلاّ الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي" فلما مرت الرحلة نادى: "أما بشروطها، وأنا من شروطها" [1].

فهذا الحديث رواه الإمام الرضا -عليه السلام- في نيشابور متجهاً إلى (مرو)، وهو الحديث المعروف بسلسلة الذّهب،

(١) العروة الوثقى للسيد اليزدي: ج٢/ ص٧٧.

لأنَّ الإمام الرضا -عليه السلام- ومن نقل عنهم كلهم من المعصومين -عليهم السلام- . وشُبه هذا الحديث بالسلسلة الذهبية لأنَّ رواته ينقلونه واحداً عن الآخر بأصحّ الأسانيد، علماً بأنَّ الذهب له الاعتبار المادي، ولكن مثل هذه الأحاديث المباركة تبقى خالدة وحيّة، ولها القيمة المعنوية، فالتسمية تكون من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

الحديث ومسألة القيادة

إنَّ حديث سلسلة الذهب الذي وصلنا من منبع الوحي الصافي والزّلال العذب، إذ إن سلسلة الرواة كلهم من المعصومين -عليهم السلام-، قد أوضح لنا مسألة القيادة الصحيحة للأمة، فالقسم الأوّل من كلمة التوحيد (لا إله...) بمعنى لا يوجد أي إله، وهذا يشعر بالابتعاد والنّفور من جميع الآلهة غير الواقعيين، وتناول القسم الثاني (إلاّ الله) صورة التولي الصحيح.

والإمام الرضا -عليه السلام- وبعد تأمّل قليل ولأجل تنبيه أكثر للناس قال: إنَّ لهذا الإيمان شروطاً، وأنا من جملة هذه الشّروط، ويقصد -عليه السلام- بذلك ضرورة القبول بقيادة الأئمة المعصومين -عليهم السلام- بعد النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-.

وبذلك أشار الإمام الرّضا -عليه السلام- بعدم مشروعية حكم المأمون العباسي وعدم صحّته.

إذاً هذا الحديث الشريف يبين أسس القيادة الصحيحة في الإسلام.

الإمام -عليه السلام- وبناء المؤسسات

الحياة تتوقّف على المؤسّسات، والأئمة الطّاهرون -عليهم السلام- قد شجعوا على المؤسسات الإنسانية والخيرية والعلمية وما أشبه.

وهكذا أخذ الإمام الرضا -عليه السلام- يقود الحياة .. ففي مدّة إقامته -عليه السلام- بمدينة نيشابور قام بتشييد عدد من المؤسسات الدينية والاجتماعية كالمساجد وغيرها.

حتى يعلّم مواليه وشيعته كيفية الاستفادة من الفرص، وإن أقام الإنسان في مكان إقامة مؤقتة، فبناء المؤسسات الدينية والإنسانية من أهم عوامل تقدّم ورقي المجتمع الإسلامي في مختلف أنحاء المعمورة.

ولاية العهد

المأمون العباسي في خطّته الشّيطانية عرض على الإمام -عليه السلام- أوّلاً أن يتولى أمر الخلافة الظاهرية، فرفض الإمام ذلك، وأجابه بجواب مفحم، فلمّا استمع المأمون إلى جواب الإمام الرضا -عليه السلام- .. تغير لونه، وعجز عن الجواب، إلاّ أنّه تظاهر بالتبسّم في وجه الإمام، ولكن الحقد أخذ يتزايد في قلبه.

ولقد مرّ أنَّ الإمام الرضا -عليه السلام- أبان وجهة نظره في التّصدي للخلافة، وكان جوابه ذاك الذي أغاظ المأمون، فأسرها في نفسه واحتفظها عنده ..

هنا برز للمأمون حيلة أخرى وذريعة ظنها محكمة، ليجعل منها في إنزال المحنة بالإمام الرضا -عليه السلام- .. وهو يعلم مسبقاً أنَّ طلبه مردود عليه أيضاً، فقال المأمون للإمام -عليه السلام-: إذا لم تقبل اقتراحي بشأن الخلافة ولن ترتضيها، فلابد من قبول ولاية العهد، ومبايعتي لك على ذلك، لتكون الخليفة من بعدي!).

فأجابه الإمام -عليه السلام- بقوله: (أقسم بالله أخبرني أبي عن آبائه عن نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: بأنِّي أرحل عن الدّنيا مسموماً قبلك يا مأمون).

وهذا الجواب من الإمام الرضا -عليه السلام- قد سجّله التاريخ، وقد كشف الإمام -عليه السلام- في جوابه هذا عن الخطّة التي سيقدم عليها المأمون العبّاسي من ظلمه للإمام وقتله بالسم، وهكذا أعلن الإمام مظلوميته للجميع.

فالمأمون الذي كان يعتقد أنَّه قد أحكم خطّته ومؤامرته بحق الإمام -عليه السلام- فشل فشلاً ذريعاً، وأخذ يتظاهر بالبكاء الشديد لدى سماعه جواب الإمام -عليه السلام- ..

وهذه مسرحيّة الطّغاة المتعطّشين للسلطة، فلأجل الوصول إلى الحكم قتل أخاه الأمين، ومن جانب آخر هكذا يتظاهر بالعاطفة والبكاء المفتعل.

وبعد أن بكى المأمون طويلاً أطبق حاجبيه وقال: (بوجودي من يستطيع أن يسيء الأدب إليك، ويمسّك بسوء، إنّك لا تقبل بولاية العهد حتى يقول الناس عنك بأنّك زاهد راغب عن الدنيا، فلابد لك أن تقبل بولاية العهد بالإجبار والإكراه وإلاّ ضربت عنقك).

وهنا يظهر التلون في سياسة المأمون، فبعد أن بكى على كلام الإمام -عليه السلام- وأظهر محبّته وعاطفته، تراه يستعمل أشدّ التّهديد والخشونة لإجبار الإمام على قبول ولاية العهد.

وهنا قال الإمام الرضا -عليه السلام-: إنَّ الله نهاني أن أدفع نفسي للهلاك، فعليّ أن أقبل بولاية العهد مكرهاً، لكن بشرطين:

أحدهما: أن لا أعين أحداً ولا أعزل أحداً أبداً ولا أنقض رسماً أو سنة.

ثانيهما: أن أكون في الأمر من بعيد مشيراً. أي بالنصيحة العامة من دون أن تنسب الأمور إلى الإمام -عليه السلام-.

وبهذين الشرطين سلب الإمام الرضا -عليه السلام- شرعية المأمون، وقضى على خطّته الخبيثة التي أراد أن يلصق بالإمام كل تلك المساوئ والسلبيات في حكومته.

فكان الإمام -عليه السلام- بعيد المدى ودقيق النّظر، وصائباً في تعامله من النّظرة السياسية وغيرها، حيث قطع على

المأمون طريقه، وأفشله من أن يحقّق أهدافه، لأنَّ الإمام الرضا -عليه السلام- إذا كان قد وافق على التنصيب والعزل، وتدخل في الآداب والرسوم العباسية، كان قد أشرك نفسه في أمور الدولة الظالمة، ومن هنا ابتعد عنها بالكامل.

صلاة العيد

وفي أحد أيّام العيد، طلب المأمون من الإمام الرضا -عليه السلام- أن يؤم الناس في صلاة العيد، نيابة عنه، وكان هدف المأمون من ذلك أن يدخل الإمام -عليه السلام- ولو في بعض الأمور المرتبطة بالحكومة، وأن يقوّي حكومته ودولته بذلك، ولكنه قال للإمام -عليه السلام-: إنّه يريد تثبيت قلوب الناس والاطمئنان بولاية عهد الإمام، وأن يستفيد المسلمون من فضله ومقامه..

والإمام -عليه السلام- كان عالماً بجميع تلك الخطط المأمونية، فكان جوابه -عليه السلام- للمأمون: إنّه من شروط قبوله لولاية العهد الابتعاد عن كل أمر حكومي وعدم التّدخل في الشّؤون.

ولكن المأمون أصر وأصر، وقال: ستتعرف عموم الناس ورجالات الدولة والعسكر على شخصية الإمام -عليه السلام- وهذا ضروري في نظام الدّولة...

وإزاء هذا الإصرار أجابه الإمام الرضا -عليه السلام- بقوله: (إذا كان كذلك فأنا أذهب كما كان جدي نبي الإسلام -صلى الله عليه وآله- وأمير المؤمنين -عليه السلام-، ولا أقبل بالتشريفات والآداب الحكومية في أداء الصلاة)...

وما أن طلعت شمس يوم العيد، وإذا بمجموعة كبيرة من رجالات الدولة، وعموم الناس يجتمعون عند منزل الإمام -عليه السلام-..

فلبس الإمام -عليه السلام- عمامة بيضاء، ووضع طرفاً منها على صدره والطرف الآخر على حزامه، ومشى حافياً وبيده عصاه، وهكذا خرج من بيته.

وعندما خرج الإمام -عليه السلام- على الناس بهيبته هذه، أخذتهم حالة من المعنوية والرّوحية، وتعالت أصواتهم بالبكاء.

وكبّر الإمام -عليه السلام- أربعاً، وكبّر معه الناس، فأخذوا يبكون، وجاء في الرواية التي نقلها العلامة المجلسي -رحمه الله-: أنَّ العسكر ارتجلوا عن خيلهم، وتحفّوا كذلك (أي نزعوا أحذيتهم) وبعض الذين كانوا يلبسون الأحذية المشدودة شداً محكماً (الجزات) استعملوا الشفرات والسكاكين لفكّها، ومشوا حفاةً خلف الإمام -عليه السلام- ..

وكان الإمام -عليه السلام- يخطو خطوات .. ثم يقف ويكبّر أربعاً بصوت عال، والجماهير تتبعه وتكبّر وتبكي.. وهكذا دخلت حكومة الإمام -عليه السلام- في قلوب الناس.

وكان خروج الإمام -عليه السلام- لصلاة العيد قد أثّر أكبر التّأثير على الناس.. وعندما اطلع المأمون على مجريات

الأمور خاف من الانقلاب عليه وخروج الأمر من سيطرته، فأرسل فوراً شخصاً إلى الإمام -عليه السلام- يطلب منه العودة وعدم الذهاب لصلاة العيد.. فرجع الإمام -عليه السلام- إلى بيته[1]. وهكذا فشلت خطة المأمون أيضاً.

من أخلاق الإمام -عليه السلام-

كما يُمتحن الذهب بالنار، يمُتحن الرجل بالسلطة والمال، لأنَّ المال يفسد الإنسان عادةً، والسلطة تغير من طباعه كذلك، ولكن أنى للسلطة أن تغير مثل الإمام الرضا -عليه السلام- ..

أجل، مع أنّه -عليه السلام- كان قادراً على التّنعم بملاذّ الدنيا، فهو تركه زهداً وتعففاً ومواساة للفقراء.

فكم من رواية تدل على زهده، وان اختلفت في مصاديقها، ولكنها تنتهي إلى معنى واحد وحقيقة واحدة وهي أنّ زهد الإمام -عليه السلام- كان لا مثيل له.

أمّا تواضعه -عليه السلام-: فحسبك منه أنّه كان يدعو عبيده والذين يعملون تحت يده من كبار وصغار، لتناول الطعام معه، ويحدّثهم بأحاديث شيّقة يأنس بها الجميع ويستفيد منها.

وعندما عرض أحد الذين يعملون تحت يده بأن يعزل -عليه السلام- سفرة طعامه عن خدمه، أجابه الإمام -عليه السلام- قائلاً: (ما علمت لأحد فضلاً على آخر، فربّنا واحد، وأبونا آدم واحد، وأمّنا حواء واحدة، وجزاء كل منا عمله)[2].

وقد نقل ثقة الإسلام الكليني -رحمه الله- في الكافي الشريف عن معمر بن خلاد قال: كان أبو الحسن الرضا -عليه السلام- إذا أكل أتى بصفحة (قصعة كبيرة) فتوضع بقرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئاً فيضع في تلك الصّفحة ثم يأمر بها للمساكين ثم يتلو هذه الآية: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ)[3] ثم يقول: «علم الله عزوجل أنّه ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة، فجعل لهم السبيل إلى الجنة»[4].

وكان الإمام الرضا -عليه السلام- مثالاً فذّاً في الإنسانية والأخلاق.

والإنسانيون ذووا الأخلاق الطيبة يحبون أن يخاطبهم الناس بسهولة ويعاشرهم الآخرون بلا تكلّف، فالإمام -عليه السلام- يعيش في قلوب الناس.

وهكذا استطاع الإمام -عليه السلام- أن يمتدّ إلى الأقلام، ويحرّكها بعد أجيال متطاولة، وهذه الأخلاق الإسلامية السّامية يندر وجودها إلاّ من الأئمة المعصومين -عليهم السلام- وقادة الإسلام الحقيقيين.

---

(١) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩/ ص١٣٤

(٢) نظر (عيون أخبار الرضا عليه السلام): ج٢ / ص١٩٨.

(٣) سورة البلد: ١١.

(٤) الكافي: ج٤/ ص٥٢.

إنَّ الإمـام -عليه السلام- عالم ربّـاني وحجّة الله على الخلق أجمعين، يسير في ظل التّعاليم الإلهية، فلا يملأ الآذان بالصخب والضجيج والأقوال الفارغة، كما هو شأن الطغاة والحكّام، بعد أن تلهب الأكفّ تصفيقاً لهم والحناجر المأجورة تمجيداً لبلاغتهم، فيعود الجائع إلى بيته جائعاً، والمحروم ذليلاً. أما الإمام -عليه السلام- فلا يطلب إلاّ الحق: (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [1].

فالشعب وخدمته من أهم الغايات التي أمر الله بها، وعاش الإمام -عليه السلام- حياته من أجل الشعب وهدايته إلى الصراط المستقيم، حتى اغتاله البائسون وهو يفكّر في ما يسعد الناس في الدنيا والآخرة.

فهذا النّجم كان منارة يُهتدى به، لولا المطامع الدنيوية من قبل الطغاة التي تمنع الناس من الاهتداء بنوره، وكذلك الأحقاد الجاهلية، والضغائن العباسية، والأفكار الضيقة التي تسيطر عليها العنجهية.

كان الإمام -عليه السلام- هو المشرّع البارع، الذي فوّض الله إليه وإلى آبائه الطاهرين وأبنائه المعصومين -عليهم السلام- شرعه.

وهو -عليه السلام- الرجل العبقري الإلهي الذي فاق كل أحد في زمانه فضلاً وعلماً وتقوىً وخُلُقاً... فنهل من عبقريته كل مجتهد.

وكان -عليه السلام- منهلاً من الخير والنبل لا يغيض ولا ينضب.

وكان الإمام -عليه السلام- يرى في المسئولين خداماً للشعب، وأنَّه لا قيمة حقيقية لهم إلاّ بمقدار ما يوفرون للشعب من السعادة.

---

(١) سورة الصف: ٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الانبياء/ الاية: ٧٣

من أخلاق الإمام الرضا (عليه السلام)

سليم عادل الحسناوي

إحدى العلامات البارزة في أخلاق الأئمة الأطهار -عليهم السلام- هو جماهيريتهم وتعايشهم مع الناس، ولنأخذ مثالاً على ذلك:

كان بإمكان الإمام الرضا -عليه السلام- أن يبني لنفسه حمّاماً خاصاً، وعلى الأقل: أن لا يذهب إلى الحمّام العام، إلاّ بعد أن يأمر بإخلاء الحمام من الناس، كما كان يفعل سائر أصحاب النفوذ.

ولكن الإمام -عليه السلام- وبمنتهى التّواضع ذهب يوماً إلى الحمّام العام كسائر الناس، وكان في الحمام رجل غريب يريد أن يدلّك أحد ظهره، فأخذ يجول ببصره في أطراف الحمام لعله يجد من يساعده في حاجته، فما أن وقعت عينه على الإمام الثامن -عليه السلام- حتى طلب منه أن يقوم له بذلك.

ولم يكن من الإمام الرضا -عليه السلام- رغم شخصيته المعنوية الشامخة ومقامه الظاهري الكبير، إلاّ أن نزل عند رغبة الرجل، وأخذ الكيس بيده الشريفة، وقام بتدليك ظهر الرجل، وفي أثناء ذلك دخل جماعة الحمام وكانوا يعرفون الإمام -عليه السلام- فسلّموا عليه بقولهم: السلام عليك يا بن رسول الله .. فلمّا عرف الرجل الغريب الإمام الرضا -عليه السلام- أخذ يعتذر منه أشد الاعتذار.. ولكن الإمام -عليه السلام- وبكل لطف أمر الرجل بأن يجلس حتى يتم له عمله، وكان ما أراده الإمام -عليه السلام-[1].

وهذه القضية تكشف عن أمرين هما:

١: الإمام الرضا -عليه السلام- كان متواضعاً جداً، وجماهيرياً بحيث أنّه كان يذهب إلى الحمام العام وحده وبدون أيّة تشريفات، ليس ذلك فحسب بل أنّه يذهب في حالة بسيطة بحيث لا يعرفه البعض.

٢: الإمام الرضا -عليه السلام- رغم مقامه السّامي المعنوي والظاهري إذ أنّه ثاني شخصية في الدولة الإسلامية آنذاك، لا يأبى عن قضاء حاجة مؤمن، رغم عدم تناسب ذلك مع شأنه، بل بعد أن عرفه الرجل طلب الإمام -عليه السلام- منه أن يجلس حتى يتم الإمام -عليه السلام- عمله.

وهذا الدرس البليغ عبرة للحاكمين وتعليماً لهم كيف يعيشون في وسط الناس ويخدمونهم.

التّعامل مع المتكبّر

(١) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩/ ص٩٩ .

إنَّ التّواضع للناس من الصّفات المحمودة والمحبذة، ومن كان متواضعاً رفع الله قدره في القلوب، وطيّب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة.

أما التواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم، والتّواضع للظالمين والطغاة، فذاك الذّل الذي لا عزّ معه، والخيبة التي لا رفعة فيها، ويترتب عليه ذل الآخرة، وفي الحديث الشريف: «من آتى غنيّاً فتضعضع له ليصيب دنياه ذهب ثلثا دينه» [1].

ومن المناسب أن نأخذ أنموذجاً للتعامل مع المتكبرين والظالمين من حياة الإمام الرضا -عليه السلام- وهو ما حدث من الموقف بين الإمام -عليه السلام- وبين الفضل بن سهل ذي الرياستين، قائد القوات المسلحة ورئيس الديوان في عصر المأمون العباسي، بعد أن مرَّ من تواضع الإمام -عليه السلام- للرجل الغريب في الحمام.

فقد كتب الفضل بن سهل، وبأمر من المأمون، وثيقةً لنفسه ضمّنها صلاحياته الكبيرة في الحكم، وقّعها المأمون وكبار السّياسيين من أفراد السّلطة (الحاشية)، كما كتب المأمون بخطه وثيقة أخرى للفضل وهبه فيها من الأموال والأراضي ما لا يحصى.

وقد أراد الفضل أن تستمر هذه الامتيازات له من بعد المأمون في ظل الإمام الرضا -عليه السلام- باعتباره وليّاً للعهد، فطلب من المأمون أن يضم توقيع الإمام الرضا -عليه السلام- إلى تلك المجموعة من التواقيع، فاعتذر له المأمون عن ذلك وقال له: إنَّ الإمام -عليه السلام- اشترط علينا في قبول ولاية العهد أن لا يتدخّل في الشّؤون الحكومية والنّصب والعزل وما أشبه، فأرى من الأفضل أن تذهب بنفسك إليه.

فأخذ ذو الرياستين رسالة المأمون معه ودخل على الإمام الرضا -عليه السلام- .. فرأى الإمام -عليه السلام- جالساً مشغولاً بأموره، فوقف الفضل ذو الرياستين على باب الحجرة حتى يؤذن له بالدخول والجلوس، وانتظر طويلاً دون أن يعتني الإمام -عليه السلام- به، وبعد أن تحطّم غروره وتكبّره، رفع الإمام الرضا -عليه السلام- رأسه الشريف وقال: ما حاجتك؟

فأخذته الرهبة من هيبة الإمام، وبدا عليه الارتباك وقال: سيّدي هذا كتاب من الأمير المأمون.. وبصفتكم ولي العهد جئت لكي توقّعوا عليه.

فالتفت إليه الإمام -عليه السلام- وقال له: اقرأ ما هو مكتوب، فقرأ ذو الرئاستين ما كتبه المأمون وهو واقف، فقال الإمام الرضا -عليه السلام-: متى ما اتقيت الله قبلناك. ثم عاد الإمام -عليه السلام- إلى عمله من جديد.

وهكذا تحطّم غرور الفضل وخرج من عند الإمام -عليه السلام- خائبا [2].

---

(١) الامالي: ص٢٢٩.

(٢) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩/ ص١٦٨.

عيادة المريض

الاهتمام بأمر المسلمين، والعناية بشأنهم، والدّفاع عنهم، والـذّود عن حياضهم، والعمل الدّؤوب على ترقية حاضرهم، وإعدادهم لمستقبل أعز وأكرم، كل ذلك مما يقتضيه الإيمان، وتوجبه الأخوة في الدّين، قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: " مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى" (١) .

ويوم كان المسلمون يحسّون هذا الإحساس، ويشعرون هذا الشعور، ويطبّقون هذه التّعاليم كانت رابطتهم أقوى من أن تحل، ووحدتهم عصية على العدو، فلما غفلوا عن هذا المعنى بدأ الضعف يدب في صفوفهم، وأخذت الفرقة تعمل عملها، مما نجم منه أن أصبحت بلادهم نهباً للاستعمار، ومناطق نفوذ لمن لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة.

ومن الأخلاق الإسلامية السامية عيادة المريض، وقد حدّثنا التاريخ عن ثامن أئمة أهل البيت -عليهم السلام- الذي كان يسير بسيرة جدّه المصطفى -صلى الله عليه وآله- ويتأسّى به، فإنّه -صلى الله عليه وآله- كان إذا لم ير أحداً من المؤمنين لبضعة أيّام، استفسر عن حاله وسأل عنه، وإذا بلغه أنّه مريض أسرع إلى لقائه وعيادته. وهكذا كان الإمام الرضا -عليه السلام- حيث مرض أحد شيعته فسأل عنه، فلمّا أخبر بمرضه جاء لعيادته ودخل بيته، وكان الرجل في سكرات الموت، فأخذ الإمام -عليه السلام- يقدّم له النّصيحة والموعظة، فقال: إنّ الناس صنفان، أحدهما من يرتاح هو عند الموت، والآخر من يرتاح الناس من شره عند موته، فإذا أردت أن تكون من الصنف الأوّل، فجدّد إيمانك بالله وولايتك، فأخذ الرجل بنصيحة الإمام الرضا -عليه السلام- .. ولم تمر لحظات حتى فارق الحياة الدنيا مؤمناً مغفوراً له.

تشييع الجنازة

إنّ إحدى العوامل المهمّة في تقدّم الإسلام: الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية الفذّة التي كانت تتجسّد بوضوح في حياة الأئمة الطّاهرين -عليهم السلام-، خاصّة وإن الناس كانوا يتّخذون من حياة الأئمة -عليهم السلام- نماذج حية لتبلور الإسلام في كافّة أبعاده.

فأخلاق النبي محمد -صلى الله عليه وآله- هي التي خلقت أوّل أمواج التيار الإسلامي في المنطقة العربية وفي العالم كله.. وقد شهد الله سبحانه على عظمة أخلاق الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٢) .

وهكذا كان الإمام الرضا -عليه السلام- فإنّه قاد الحياة بأخلاقه وعلمه..

ومع أنّ الإمام -عليه السلام- كان له مقام الإمامة الجليلة، وكانت له سلطة وقيادة ظاهرية، إلاّ أنَّ حياته ومعاشرته بين الناس كانت طبيعية جداً، فكان الإمام -عليه السلام- ينظر إلى الدنيا بعين الزّهد والتقوى، وكان

(١) انظر (شجرة طوبى) للشيخ محمد مهدي الحائري: ج١/ ص٩٠.
(٢) سورة القلم: ٤.

-عليه السلام- تجسيداً حيّاً لرسالة الإسلام الخالدة.

وهذا نموذج مما ذكر:

فعن موسى بن سيّار [1] ، قال: كنت مع الإمام الرضا -عليه السلام- وقد أشرف على حيطان طوس، وسمعت واعية فاتبعتها فإذا نحن بجنازة، فلمّا بصرت بها رأيت سيّدي وقد ثنّى رجله عن فرسه، ثم أقبل نحو الجنازة فرفعها، ثم أقبل يلوذ بها كما تلوذ السخلة بأمها، ثم أقبل عليّ وقال: "يا موسى بن سيّار من شيّع جنازة وليّ من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه لا ذنب عليه"، حتى وُضع الرجل على شفير قبره، رأيت سيدي قد أقبل فأخرج الناس عن الجنازة حتى بدا له الميت فوضع يده على صدره، ثم قال:

«يا فلان بن فلان أبشر بالجنة، فلا خوف عليك بعد هذه الساعة» فقلت: جعلت فداك هل تعرف الرجل؟ والله إنّها بقعة لم تطأها قبل يومك هذا.

فقال -عليه السلام- لي: «يا موسى بن سيّار أما علمت أنا معاشر الأئمة تعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساءً، فما كان من التّقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصفح لصاحبه، وما كان من العلوّ سألنا الله الشكر لصاحبه» [2] .

العفو والصفح

العفو والصفح والنبل والإنسانية، يصغر دونها كل موقف.

والإنسان بحاجة إلى خُلُق عظيم، وقلب كبير، وإنسانية شامخة، ليتمكن من الانتصار على حب الانتقام ممن أساء إليه.

وقليلة هي تلك المواقف في التاريخ، ومن أجل هذا خُلّدت وخُلّد أصحابها، فإنّهم أدركوا ذروة الانتصار، وتناسوا كل إساءة، وتسامحوا عن كل إهانة.

ولو أردنا أن نتّخذ حادثة نتلمّس بها شيئاً من شخصية الإمام علي بن موسى الرضا -عليه السلام- على كثرة مثل هذه الحوادث في سجل حياته الفذّة الخالدة، فهذه قصّة (الجلودي) وموقفه.

ففي زمان حكم هارون العباسي وبعد شهادة الإمام موسى بن جعفر -عليه السلام- صدرت الأوامر بالهجوم على محلّة بني هاشم في المدينة المنورة، وكانت الحملة بقيادة (الجلودي) الذي أوكلت إليه مهمّة نهب وسلب بيت الإمام -عليه السلام- وبيوت العلويين في المحلّة المذكورة.

ولكي يؤدّي الجلودي مهمّته توجه إلى المدينة مع جلاوزته، ووصل إلى محلة بني هاشم، وحاصر دار الإمام موسى بن جعفر -عليه السلام- وكان فيها الإمام الرضا -عليه السلام-، ولما كان الإمام -عليه السلام- يعرف أهداف الجلودي والغاية من مجيئه، فإنّه أخذ النساء والعلويات إلى غرفة، فوقف الجلودي بوجه الإمام -عليه السلام- وقال بأسلوب تهديدي كله خشونة وفظاظة: عملاً بأمر الأمير هارون، أنا مخوّل بالدخول إلى هذه الغرفة، ومصادرة كل شيء فيها، وعليّ أن أؤدّي

(١) موسى بن سيار الكوفي له كتاب عن الإمام الرضا -عليه السلام-.

(٢)مستدرك الوسائل: ج١٢/ ص١٦٤.

مهمّتي الموكلة إلي.

فكان جواب الإمام الرضا -عليه السلام- له بأن ينتظر في مكانه ويصبر، وأقسم الإمام -عليه السلام- له بأن يأتي إليه بكل ما عند السيدات من حلي وذهب وألبسة وغيرها.

فرفض الجلودي ذلك، وأراد أن يقوم بعملية التّفتيش بنفسه.

لكن الإمام -عليه السلام- تعهد له بأن يأتي إليه بكل ما هو موجود في الغرفة وما تملكه السيدات.. فاضطر أن يوافق الجلودي على ذلك.

ودخل الإمام الرضا -عليه السلام- الغرفة، وأمر النساء أن يأتينه بما عندهنّ من حليّ ومصوغات ذهبية، وملابس حتى الأقنعة التي كُن يرتدينها على رؤوسهنّ، ولم يبقَ لديهنّ إلاّ ثيابهنّ التي يلبسنها، وحمل معه كل أثاث البيت وأعطاها الجلودي، فأخذها الجلودي إلى هارون بعدما أخذ يعامل الإمام -عليه السلام- بكلّ قساوة.

ومرّت الأيام حتى دخل الإمام الرضا -عليه السلام- خراسان كولي العهد للمأمون العباسي، وقد سبق أنّ المأمون طلب من أتباعه أن يبايعوا الإمام، ومن امتنع عن ذلك أودعه السّجن، وكان ممن سجنهم المأمون هو الجلودي.

ولكن بعد يوم من حبس الجلودي تشرف المأمون بلقاء الإمام الرضا -عليه السلام- ودار الحديث حول المساجين وبضمنهم الجلودي، فطلب الإمام -عليه السلام- من المأمون أن يطلق سراحهم، ثم أمر المأمون بإحضارهم.

وكان الجلودي يساق نحو المجلس من بعيد، فهمس المأمون للإمام -عليه السلام- قائلاً: هذا هو الذي هتك حرمات العلويات وبنات النبي -صلى الله عليه وآله- فقام بنهب داركم، لكن الإمام -عليه السلام- طلب من المأمون أن يطلق سراحه ويعفو عنه.

إلا أنّ الجلودي بعدائه وبغضه للإمام الرضا -عليه السلام- ظنَّ أنَّ الإمام يطلب من المأمون أن يعاقب الجلودي، فلما وصل الجلودي إلى المأمون قال له: بالله عليك وبخدمتي لأبيك هارون إلاّ رفضت طلب هذا، وأشار إلى الإمام. فتعجب المأمون من صفح الإمام -عليه السلام- وخبث الجلودي، فأجابه: أقسم بالله أن لا أقبل طلب الإمام، فأجازيك، ثم أمر بضرب عنقه [1].

هكذا كان يعفو الإمام -عليه السلام- عمّن ظلمه، وهذه هي الأخلاق الرّفيعة العالية التي كان يتحلّى بها أهل بيت النبوة -عليهم السلام- حتى مع المذنبين والحاقدين الذين أساؤوا إليهم.

نعم إنَّ العفو والصّفح من أهم العوامل في تقدّم ورقي المجتمع، وجذب الناس نحو الإسلام والخير والفضيلة.

وهكذا كان يقود الإمام الرضا -عليه السلام- الحياة..

وهكذا كان النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- رغم كل ما لاقاه من قريش في بدء الدعوة الإسلامية، فإنّه عند

---

(١) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ / ص١٦٦.

انتصاره عليهم في فتح مكة عفا عن جميعهم، كما عفا عن (وحشي) قاتل عمه حمزة -عليه السلام- .. فلم يكن النبي -صلى الله عليه وآله- يريد الانتقام ممن أساء إليه، بل كان يريد هدايتهم ..

أخلاقيات

ينقل الرّواة عن الإمام الرضا -عليه السلام- أنه كان يسعى دائماً لقضاء حوائج المحتاجين، وكان -عليه السلام- كثير المعروف والصّدقة، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة [١] .

وكان الإمام -عليه السلام- يختم القرآن في كلّ ثلاث، ويقول: "لو أردت أن أختمه في أقل من ثلاث لختمته، ولكن ما مررت بآية قط إلاّ فكرت فيها، وفي أي شيء نزلت| [٢] .

وكان الإمام -عليه السلام- يصلّي كثيراً، إنَّما ينفتل في صلاته ساعة في صدر النّهار، وقبل الزّوال، وعند اصفرار الشّمس، فهو في هذه الأوقات قاعد في مصلاه يناجي ربه [٣] .

وكان الإمام -عليه السلام- يجلس مع غلمانه والذين تحت يده ويحدّثهم ويتناول معهم الطعام.

وكان -عليه السلام- يبتسم ولم يرَ ضاحكاً بصوت عالٍ، ولم يكن يقاطع غيره أثناء الحديث، بل يصبر حتى يتم الآخر حديثه، ولم يرَ ماداً رجليه الشريفتين مقابل شخص، ولم يتكئ أمام أحد، وكان بيته مفتوحاً لعموم الناس، ويحترم كل أحد [٤] .

وكان الإمام الرضا -عليه السلام- يعظ المأمون ويوصيه بتقوى الله، ويحثّه على حلّ مشاكل الناس، وكان يقول له: إنَّ على الحاكم أن يكون كالعمود في وسط الخيمة حتى يستطيع كل أحد الوصول إليه [٥] .

---

(١) عيون أخبار الرضا-عليه السلام-: ج٢ / ص١٩٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٧٥٨.

(٣) عيون أخبار الرضا -عليه السلام-: ج٢ / ص١٩٧.

(٤) انظر (وسائل الشيعة): ج٨ / ص٥٤٧.

(٥) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ / ص١٦٥.

جولة الباطل ودولة الحق

للحق دولة ثابتة، وللباطل جولة مؤقتة، وقد ورد في الأثر: "للحق دولة، وللباطل جولة"، ولهذا نرى للحق وأتباعه المكانة العالية في قلوب الناس، أما الباطل الذي يتوكأ على القدرة المالية أو العسكرية وإن تسلم السلطة لبعض الوقت، لكنه لا يدوم طويلاً، ويطوى في صفحات التاريخ، ولنأخذ مثالاً على ذلك من بني أمية، فإنهم تغلبوا على الأمة وابتزوها بالإمرة عليها بغير رضا الله ورضا الناس، وصاروا يتلاعبون بالشريعة الإسلامية حسب أهوائهم، وجعلوا يتتبعون شيعة أهل البيت -عليهم السلام- ويقتلونهم تحت كل حجر ومدر، ويأخذون الناس على الظنة والتهمة.

لكن لم يستمر الأمر طويلاً حتى جاء بنو العباس وقضوا على بني أمية، فأخذوا يقتلونهم واحداً بعد الآخر، بل أخذوا ينبشون قبور موتاهم ويخرجون الجثث منها ويحرقونها، ولم يسلم من عقابهم حتى شيوخهم الطاعنين في السن، فكان يجُلدون أمام الناس، أما النساء فكن يؤخذن كأسرى وكجواري.

وهكذا كان الحال بالنسبة إلى بني العباس بعد ما سقطوا، واليوم وبعد مضي قرون من العهد العباسي لا نشاهد ذكراً أو اسماً لهارون والمأمون ومن أشبه إلاّ بالخزي والعار في صفحات التاريخ.

في حين أن أهل البيت -عليهم السلام- قد خلّدهم التاريخ لفضلهم وعلمهم وأخلاقهم، وسجل لهم صفحات ناصعة مشرقة على مر الدهور والأجيال، وقد شهد لهم أعداؤهم بذلك قبل محبيهم وشيعتهم، (والفضل ما شهدت به الأعداء).

وفي المقابل التاريخ سجل الفساد والشهوات والظلم والطغيان لحكام بني أمية وبني العباس وأمثالهم، وليس ذلك في زماننا هذا فحسب، بل في زمانهم كان الناس ينفرون منهم ويدعون عليهم ويكرهونهم، ولنأخذ مثالاً على ذلك، من حياة دعبل الخزاعي.

شمس لا تغرب

غروب الشمس لا يعني انتهاؤها إلى الأبد، بل غروبها يبشر بميلاد جديد.

لكن في منطق الظلمة والمستبدين فإنهم يزعمون بأنهم سيحجبون ضوء الشمس إلى الأبد، ناسين ومتناسين بأنهم بأنفسهم وسلطتهم سيسقطون، وسوف لا يسجل لهم التاريخ غير الذل والعار، وبأنه عند كل صبح سوف تشرق الشمس من جديد مزيحة من أمامها الظلمات.

فالمأمون العباسي بعد أن جلب الإمام الرضا -عليه السلام- من المدينة إلى خراسان، وفرض عليه الإقامة الجبرية وبقرب منه، كان يتصور أن إقدامه على قتل الإمام -عليه السلام- يعني غروب شمسه المشرقة المشعة وخروج حبه من

قلوب الناس وإنهاء ذكره الطيب إلى الأبد. وما ذلك إلاّ ليبقى المأمون في السلطة لفترة أطول.

وكانت سياسة المأمون سياسة الغدر والنفاق، فالمأمون الذي احتفل بولاية عهد الإمام الرضا -عليه السلام- وأمر بني العباس بارتداء الملبس الأخضر وترك السواد، وضرب اسم الإمام -عليه السلام- على الدراهم والدنانير، وأمر أن ينوه باسم الإمام -عليه السلام- على المنابر، هو نفسه الذي صمم أن يقدم على أكبر جريمة وهي قتل الإمام الرضا -عليه السلام- بوضع السم في العنب أو شراب الرمان، والأغرب من ذلك تظاهره أمام الناس بهيئة العزاء وذرفه الدموع حزناً على الإمام ليخفي جريمته البشعة،

ولكن الناس عرفوا بأنه هو القاتل للإمام -عليه السلام-.

من هنا وقف المأمون على نعش الإمام -عليه السلام- قائلاً: سيدي .. أقسم بالله إنني لا أعرف أي المصيبتين أعظم عندي: وفاتك وفراقك، أم اتهام الناس لي بأني قاتلك [1] !.

وبعد استشهاد الإمام الرضا (عليه السلام) اتجه المأمون إلى بغداد، واتخذها مركزاً لإقامته وحكومته، وأخذ يلاحق العلويين في كل مكان ويقتلهم، ولهذا يشاهد في إيران والعراق وأفغانستان وفي وسط الجبال والغابات والنقاط البعيدة مراقد ومقابر لأبناء الأئمة وذراريهم (عليهم السلام) الذين استشهدوا على يد جلاوزة بني العباس وماتوا في تلك المناطق غرباء بعيدين عن أوطانهم.

(١) انظر (الأنوار البهية) للشيخ عباس القمي: ص٢٣٥.

الرفض والقبول في الشعر
بين الإمام الرضا (عليه السلام) وخلفاء الدولة العباسية

م.م ياسين خضير عبيس

عاش الإمام علي بن موسى الرضا -عليه السلام- في القرن الثاني الهجري، وقد عاصر من خلفاء بني العباس المهدي والهادي وهارون والأمين والمأمون، وقد جاء في الأخبار رواية الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده، عن الفضل بن العباس، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا-عليه السلام-، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلّمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي أحد منهم إلا أقرّ له بالفضل وأقرّ على نفسه بالقصور، ولقد سمعت علي بن موسى الرضا -عليه السلام- يقول : « كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسالة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ بالمسائل فأجيب عنها »[1].

ولعل الحادثة الأكثر شهرة في حياة الإمام -عليه السلام- هي قبوله لولاية العهد في خلافة المأمون وعند سؤال الإمام الرضا -عليه السلام- عن قبولك ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا، حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني - رضي الله عنه - قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه عن الريان بن الصلت، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله الناس يقولون: إنَّك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزّهد في الدنيا ! فقال عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل. ويحهم ! أما علموا أنَّ يوسف كان نبيّاً ورسولاً فلمّا دفعته الضرورة إلى تولّي خزائن العزيز، قال: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الاشراف على الهلاك، على أنّي ما دخلت في هذا الأمر إلّا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان)[3].

إنَّ الإمام الرضا -عليه السلام- رفض الاعتراف بالسّلطة الجاهلية التي تبنّاها العباسيون باسم الإسلام وعدّها سلطة غاصبة ظالمة فاسدة جملةً وتفصيلاً، وناهض التيارات الفكرية المخالفة لأصول الشريعة، وقاوم الفساد الخلقي في الأمّة وذلك بنشر تعاليم الدين الحنيف. ولم يكن الإمام وحده في مواجهة ذلك الفساد، بل كانت صفوة الشّعراء وهم شيعة أهل البيت -عليهم السلام- يتبعونه في ذلك.

---

(١) اعلام الورى باعلام الهدى ، الشيخ الطبرسي ، ٢/ ٦٤ .
(٢) سورة يوسف/ الاية : ٥٥.
(٣) بحار الأنوار : ج٤٩ / ص ١٣٠.

ولأنَّ الشّعر العربي بوصفه موقفاً إنسانياً معبراً يستجلي وعي الشاعر تجاه الحياة والوجود البشري، لذا نراه حاضراً معبّراً في هذه الحقبة عن موقف الشّعراء اتجاه السلطة الحاكمة المتمثلة بالخلافة العباسية إذ كانت لهم نفحات شعرية واكبت الحدث وسبرته بنفاذ بصيرة كاشفة عن خفاياه بجرأة وشجاعة، وكشف الحقائق المستورة ومن هؤلاء الشّعراء: أبي فراس الحمداني، وأبي نواس، ودعبل الخزاعي، والصاحب بن عباد وغيرهم؛ عبَّر هؤلاء الشّعراء عما أحاط حياة الإمام علي بن موسى الرضا -عليه السلام- من أحداث، ويمكننا القول إنّهم رفضوا الحكم العباسي رفضاً مباشراً مصرّحاً به عبر مفرداتهم وبالمقابل فإنَّهم عبّروا عن إمامهم بالقبول والتّرحيب عبر بيان فضائله وعلمه وحلمه ومنزلته البارزة عند شيعته.

فنرى دعبل الخزاعي في قوله[1]:

وعاثت بنو العباس في الدين عيثة ... تحكّمَ فيهم ظالم وضنينُ
وسمّوا رشيدا ليس فيهم لرشده ... وها ذاك مأمون وذاك أمينُ
فما قُبلت بالرشد منهم رعايةٌ ... ولا لوليّ بالأمانة دينُ
رشيدهم غاوٍ وطفلاه بعدهُ ... لهذا رزايا دون ذاك مجونُ

يرى الشَّاعر كما هو واضح أنّ الفرق كبير، ففي الطرف الأوّل يقف الرّشيد والأمين والمأمون، يمثلون الظلم والبخل، والغواية، والمجون، وخيانة الأمانة؛ لهذا هم يناقضون ألقابهم، وهو بذلك يرفضهم أشدّ الرّفض، وفي الجانب الآخر يرى الرضا -عليه السلام- ذا الفضل والمروة والعلم والحلم، الذي اعترف بفضله حتى المخالف، لا يقارن بهم بل لا يستطيع الشاعر إيفاءه حقه، ونلحظ قبوله للإمام في قوله[2]:

لقد سبقتْ فيهم بفضلك آيةٌ ... لديّ ولكن ما هناك يقينُ

لذلك فهو يوازن بين هارون وابنيه والإمام الرضا -عليه السلام- ويرى أنَّ هذه الموازنة محسومة لصاحب الحلم و الفضل.

أمّا عن أبي فراس الحمداني، فقد قال في حقِّ الإمام -عليه السلام- وهو يصوّر تلك المأساة يوم استشهاده[3] :

باؤوا بقتل الرضا مِن بَعد بيعتِه ... وأبصروا بعض يوم رُشدَهم وعَمُوا
عصابة شَقِيت من بعد ما سعدت ... ومعشر هلكوا من بعد ما سلموا
لا بيعةً ردعتهم عن دمائهمُ ... ولا يمينَ ولا قربى ولا ذِممُ

فالشاعر في هذا النّص يوظّف بعض الأساليب البلاغية التي منها (الطباق) إذ يوازن بين (الرشد والعمى_الضلال)

(١) ديوان دعبل بن علي الخزاعي: ٢٨٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢٩٠.
(٣) ديوان ابي فراس الحمداني: ص٣٠٣ .

و(الشّقاء والسّعادة) و(الهلاك والسّلامة) فيصف تلك العصابة الشّقيّة التي باءت بقتل الإمام -عليه السلام- من بعد بيعته، بالهلاك لقتلهم ابن بنت نبيهم -صلى الله عليه وآله وسلم- فلم يردعهم في ذلك يمين ولا قربى ولا ذمم، فالشّاعر يرفض هذا الفعل من قبلهم ويعدّه فاحشة وإثمًا عظيمًا.

ونرى الشاعر الصاحب بن عبّاد الذي كان من المتفانين بحبّ النبيّ وأهل بيته الطاهرين-عليهم السّلام-، له مؤلّفات نثراً وشعراً في العلم والأدب، وما قاله في الإمام الرضا -عليه السّلام-[1] :

يا زائراً سائراً إلى طوسِ ... مشهدِ طُهر وأرض تقديسِ
أبلغْ سلامي الرضا وحطَّ على ... أكرم رمسٍ لخير مرموسِ
والله والله حَلفةً صدرت ... عن مخلص في الولاء مغموسِ
إنّي لو كنت مالكاً إربي ... كان بطوسٍ الغنّاء تعريسي
يابن النبيّ الذي به قصم الـ ... ـلّهُ ظهورَ الجبابر الشوسِ
وابنَ الوصيّ الذيّ تقدّم في الـ ... ـفضل على البُزل القناعيسِ
وحائز الفضل غير منتقَص ... ولابس المجد غير تلبيسِ
أنتم حبال اليقين أعلَقها ... ما وصل العمر حبل تنفيسِ
إنّ ابن عبّادٍ استجار بكم ... فما يخاف الليوثَ في الخيسِ
كونوا يا سادتي وسائلَه ... يفسحْ له اللهُ في الفراديسِ
كم مدحة فيكم يحبّرها ... كأنّها حُلّة الطواويسِ

فالشاعر في هذه القصيدة التي عبّر فيها عن إخلاصه في الولاء لإمامه المسموم الشهيد الذي قصم الله به ظهور الجبابرة الطغاة، الذين خالفوا تعاليم الله ونبيه الكريم، فالشاعر يذكّر بصفات إمامه صاحب الفضل والمجد الذي يُستجار به، لذلك نراه يردّد قبوله لهذا الإمام الولي الناصح، وعلى النقيض منه الجبابرة الشوس المتمثلين بخلفاء بني العباس الذين رفضهم الشاعر.

ويعود إلينا دعبل في قصيدة أخرى (رائيته المشهورة) ليقابل بين قبرين، قبر الإمام الرضا -عليه السلام-، وقبر الرشيد في (طوس)، فلقد وصف هارون بالرجس، وراح يقابل بينهما، ويتساءل: كيف يجتمع الضدان في مكان واحد[2]:

(١) ديوان الصاحب بن عباد، ص ٩١، ١٥٩.
(٢) ديوان دعبل الخزاعي.

قبران في طوس خير الناس كلهم ... وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفعُ الرجسَ منْ قربِ الزكيَّ ، وما ... على الزكيّ بقربِ الرجسِ منْ ضررِ
هيهاتَ كلُّ امرىءٍ رهنٌ بما كسبتْ ... له يَدَاهُ، فَخُذْ مَا شِئْتَ أَو فَذَرِ

فالشاعر في هذه الأبيات يوازن بين فئتين الأولى المتمثّلة بخير الناس الذي هو قبر الإمام الرضا -عليه السلام- أمّا الفئة الأخرى فهي شرّ الناس المتمثّلة بقبر هارون العباسي، فنرى الشاعر جمع الأضداد في هذه الأبيات (الخير_ الشر) (الرجس_ الزكيّ) موظفاً أسلوب التّقابل ليكشف عن خصائص كلّ فئة، كما نلحظ توظيفه للنص القرآني بقوله (هيهاتَ كلُّ امرىءٍ رهنٌ بما كسبتْ ...) المقتبس من الآية الكريمة (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)[1]، فالشاعر أراد من اقتباسه لهذا المعنى القرآني أن يرسخ هذه القيم القرآنية في ذهن المتلقي ولاسيما أنّه قد بثّ هذه الفكرة في خاتمة قصيدته بوصفها آخر ما يعلق في ذهن السّامع.

فالإمام الرضا -عليه السلام- ومن قبله الأئمة الأطهار -عليهم السلام- تحمّلوا عبء إعلاء كلمة الحق ومواجهة الظلم والطغيان ولعل مصداق هذا ما ذكره الاصبهاني، إذ قال: « ولا يعرف التأريخ أسرة كأسرة أبي طالب بلغت الغاية من شرف الأرومة، وطيب النجار، ضل عنها حقها، وجاهدت في سبيل الله حق الجهاد من الأعصار، ثم لم تظفر من جهادها المرير إلا بالحسرات، ولم تعقب من جهادها إلا العبرات، على ما فقدت من أبطال أسالوا نفوسهم في ساحة الوغى، راضية قلوبهم مطمئنة ضمائرهم، وصافحوا الموت في بسالة فائقة، وتلقوه في صبر جميل يثير في النّفس الإعجاب والإكبار، ويشيع فيها ألوان التقدير والإعظام. وقد أسرف خصوم هذه الأسرة الطاهرة في محاربتها، وأذاقوها ضروب النكال، وصبّوا عليها صنوف العذاب، ولم يرقبوا فيها إلّاً ولا ذمّة، ولم يرعوا لها حقّاً ولا حرمة، وأفرغوا بَأسهم الشديد على النساء والأطفال، والرجال جميعًا، في عنفٍ لا يشوبه لين، وقسوة لا تمازجها رحمة، حتى غدت مصائب أهل البيت-عليهم السلام- مضرب الأمثال، في فظاعة النكال، وقد فجرت هذه القسوة البالغة ينابيع الرحمة والمودة في قلوب الناس، وأشاعت الأسف الممض في ضمائرهم، وملأت عليهم أقطار نفوسهم شجنا، وصارت مصارع هؤلاء الشّهداء حديثًا يروى، وخبرًا يتناقل، وقصصًا تقص، يجد فيها الناس إرضاء عواطفهم وإرواء مشاعرهم، فتطلبوه وحرصوا عليه»[2].

هكذا يتّضح تطورُ تناول هذه القضية بين الشّعراء وفي ضوء ما وقفنا عليه من أشعار قيلت في أهل البيت -عليهم السلام- عامة، والإمام الرضا -عليه السلام- خاصة تبيّن أنّ الشعراء يُبدون رأيهم الصريح المباشر في رفضهم للظلم والاضطهاد المتمثل بخلفاء الدولة العباسية وبالأخص الرشيد وابنيه الأمين والمأمون لأنَّ الإمام -عليه السلام- قد

(١) سورة المدثر: ٣٨.
(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ٢، ص ١٤٤.

عاصرهم، وبين قبولهم للإمام الرضا -عليه السلام- لأنَّه يمثل جانب العلم والفضل والورع وهو الأحق منهم بالخلافة وقيادة الأمّة.

وفي نهاية الحديث نذكر ما روي عن أنَّ الحسن بن هانئ (أبي نؤاس) لمّا عوتب على تأخره عن مدح الإمام علي بن موسى الرضا -عليه السلام- فقال في ذلك[1]:

قِيلَ لي: أنت أفصح الناس طُرّاً ... في فنونٍ من الكلام النبيهِ
لك من جوهر الكلام بديع ... يُثمر الدرَّ في يدَي مُجتنيهِ
فعلامَ تركتَ مدحَ ابن موسى ... والخصالِ التي تجمّعن فيهِ
قلتُ: لا أستطيع مدح إمامٍ ... كان جبريل خادماً لأبيهِ

(١) مقدمة مقاتل الطالبيين، بقلم السيد أحمد صقر: ي - ك.

أنيس النفوس

اللهم صل وسلم عليه وآله
محمد
حسن
حسين
علي
فاطمة
١٤٢٨
داود

شهر ذو الحجة

- زواج فاطمة الزهراء من أمير المؤمنين (عليهما السلام)
- المنهج التّثقيفي عند الإمام الباقر (عليه السلام)
- دماء الطفولة وأثرها في إحياء أهداف الثورة الحسينية
- وقعة الحرّة مأساة في حرم الرسول –صلى الله عليه واله–
- عظمة عيد الغدير
- المضمون العام لرحلة الحج

زواج فاطمة الزهراء من أمير المؤمنين (عليهما السلام) أمرٌ إلهيّ

محمد يوسف السعدي

زواج السيدة فاطمة الزهراء -عليها السلام- من الإمام علي -عليه السلام- كان من السماء وبأمر من الله -تبارك وتعالى- وبمباركة منه؛ لأنَّ من ذريتهما الأئمة المعصومين-عليهم السلام-، والنسل الطيب لنبينا الأكرم محمد- صلى الله عليه وآله-، وهم حجج الله في الأرض إلى يوم الدين ولنثبت أنَّ أمر هذه السيدة العظيمة مقرون بالسماء وبرب العزة والجلال، حيث كان زواجه -صلوات الله عليه- من فاطمة - عليها السلام - بأمر من السماء إذ قال رسول الله- صلى الله عليه وآله- للإمام علي -عليه السلام- بينما كانا في المسجد «هذا جبرائيل أخبرني أنَّ الله قد زوّجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك»، فأي مكانة لأمير المؤمنين-عليه السلام- في السماء وعند الله ورسوله الذي يأتي أمر الله -تعالى- في تزويجه من الحوراء فاطمة الزهراء-عليها السلام- بنت رسول الله -صلى الله عليه وآله- وبضعته الذي يغضب لغضبها ويفرح لفرحها وأي سرّ إلهي في تزويج هذين القمرين لكي ينجبا عترة رسول الله - صلى الله عليه وآله- الكواكب المنيرة الذين جاءوا من هذين النورين.

ولو أتينا إلى الحادثة بالتفصيل لزواج النورين -عليهما السلام-، ففي العيون عن الحسين بن خالد عن المولى الرضا -عليه السلام- مسندا إلى أمير المؤمنين-عليه السلام-، قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله- يا علي! لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت عليا؟ فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه، فهبط علي جبرائيل فقال: يا محمد! إنَّ الله جل جلاله يقول: "لو لم أخلق عليا لما كان لفاطمة ابنتك كفء على وجه الأرض، من آدم فمن دونه"[1]، وفد تقدّم لخطبتها أشراف العرب لأنَّه نسب عظيم ما بعده نسب وفخر لكل العرب ولكن كلّهم تم رفضهم لأنَّه لا يوجد كفء لفاطمة-عليها السلام- إلا علي -عليه السلام-، وفي الأمالي قال الصادق -عليه السلام- في حديث: ((لولا أنَّ أمير المؤمنين-عليه السلام- تزوّجها لما كان لها كفء إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم ومن دونه)).[2]

ولنأتي لتحليل أسباب هذا الزواج الكفء وماهي حيثياته فمن المعلوم أنَّ الإمام علي-عليه السلام- هو نفس رسول

(١) جواهر البحار/ ج٤٣، كتاب تاريخ الصديقة الزهراء -عليها السلام- باب تزويجها صلوات الله عليها ص ٩٣
(٢) بحار الأنوار ج٤٣ / ص١٠ .

الله كما ذكر في آية المباهلة ولكن ليس على الحقيقة لأنَّ التّماثل بين الاثنين محال على أرض الواقع ولكن هو الاتحاد المجازي ومن خلال الطروحات فالنبي محمد-صلى الله عليه وآله- أولى بالمؤمنين كما في قول الله تبارك وتعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا)[1]، وأمير المؤمنين -عليه السلام- هو ولي كل مؤمن كما نصّ في ولايته صراحة في غدير خم وحتى في كثير من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وحتى في آية التّصدّق بالخاتم التي تقول (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[2].

فهذا نص صريح على ولايته ولهذا كان علي-عليه السلام- هو نفس الرسول ويماثله في كمالاته النّفسية والرسالية، ولكن لم ترتقي إلى مستوى النبوة ومن هنا كان الاتحاد بين النبوة والإمامة لترتقي الدرجة المثالية في الرسالة المحمدية وكانت الإفاضات الإلهية هي من هذا النوع على الاثنين[3].

فكما كان أمير المؤمنين مساويا للنبي في كل شيء إلا النبوة، فكذلك كانت فاطمة الزهراء -عليها السلام- مساوية وكفؤًا لأمير المؤمنين -عليه السلام- في كل شيء إلا الإمامة والإطاعة بلحاظ الزّوجية، قال تعالى (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ)[4] وقال -تعالى- (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)[5].

فالاتحاد المعنوي النبوي والعلوي جارٍ في وجود سيّدة العصمة فاطمة الزّهراء -عليها السلام-، (ولا شكّ أنّ فاطمة خلقت لأجل علي، وأنّ علياً خلق لأجلها، وأنهما كفوان ومتّحدان لا يفترقان في عالم الأبدية بلا شائبة وريبة)»[6]، فهذين النّورين قد خلقا قبل آدم في عالم النور والملكوت.

وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وآله-: « يا علي أنت نفسي التي بين جنبي، وفاطمة روحي التي بين جنبي»، فأمير المؤمنين -عليه السلام- نفس النبي -صلى الله عليه وآله-، وفاطمة روح النبي - صلى الله عليه وآله-، وقد يقال أنَّ الروح أرفع وأعلى منزلة من منزلة النّفس، ولكن الرّوح والنّفس متحدان في بعض الجهات ويحملان على معنى واحد، أو أنَّ هذه المقالات من الأمور الاعتبارية الإضافية، فتطلق كما هي حسب الموارد إعظامًا للمقام، لأنَّ الرّوح والنّفس واحدة تكمل الآخر.

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) موقع الميزان للدفاع عن فاطمة الزهراء(عليها السلام).

(٤) سورة النساء/ الآية: ٣٤.

(٥) سورة البقرة/ الآية: ٢٢٨.

(٦) موقع الميزان للدفاع عن فاطمة الزهراء(عليها السلام).

إنّ النبي – صلى الله عليه وآله – أمر عليًا –عليه السلام– بطاعة فاطمة الزهراء–عليها السلام– لعصمتها وصواب رأيها ولأنّها لا تخطئ، وكأن رأي فاطمة رأي رسول الله – صلى الله عليه وآله –، ولذا قال الإمام علي –عليه السلام–: "عاشرت فاطمة تسع سنين، فلم تسخطني ولم أسخطها"، وهذه من الخصائص الفاطمية والمزايا النبوية، ولذا كان أمير المؤمنين –عليه السلام– وهو أعظم الأولياء الكاملين، والنّفس المقدّسة لحضرة خاتم المرسلين وسلطان العالمين يباهي ويفتخر بزواجه بفاطمة الزكية، وقد روي عن أبي عبد الله الصادق –عليه السلام– أنه قال: «حرم الله النساء على علي «عليه السلام» ما دامت فاطمة –عليها السلام– حية. قال: قلت: وكيف؟! قال: لأنها طاهر لا تحيض)[1].، ويكفي في جلالة قدر علي أن تكون كفؤه امرأة كفاطمة في فخامة النسب وعظمة الحسب، كفؤ لا نظير له، فهي الكاملة من جهات الإنسانية، والمنزّهة من النّواقص، صلوات الله عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وعلى ولديها[2].

وهذا الزواج المبارك من السماء والذي عقد رباطه الله ورسوله واشّهد عليه ملائكة السماء والذي عقد بين أشرف نسبين على وجه الأرض، إذ كان زواجاً بسيطاً ومتواضعاً يعطينا الدروس والعبر في كيفية الزواج، وحقيقة مبادئ ديننا الحنيف الذي لا يقبل بالمهور العالية التي تُفرض على الزوج، أو صرف المبالغ الطائلة للزواج، ولتكون مدرسة أهل البيت – سلام الله عليهم أجمعين – هي خير مدرسة تربوية واجتماعية لتعليم الناس، فأهل البيت–عليهم السلام– يؤكدون على العمل بسيرتهم والالتزام بتعاليم الدين الحنيف، وهو ما يعني اتخاذ سيرتهم العطرة دليلاً ومنهاج عمل لنا، فأبو عبد الله الحسين –عليه السلام– قد صرّح –ومنذ خروجه إلى طريق الشهادة والتضحية– أنّ خروجه كان لطلب الإصلاح في أمّة جده –صلى الله عليه وآله– وكذلك إحياء سنة الرسول الكريم–صلى الله عليه وآله– التي حاول طمسها أعداء الدين.

مهر فاطمة –عليها السلام–

إنّ هذا الزّواج المبارك يجب أن يكون مثالاً لكلّ العصور والأزمنة، فقد توجه الرسول – صلّى الله عليه وآله– إلى أمير المؤمنين علي –عليه السلام– بالقول "يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوّجك به ؟» فقال علي –عليه السلام–: فداك أبي وأمي والله ما يخفى عليك من أمري شيء، أَملك سيفي، ودرعي، وناضحي، وما أملك شيئاً غير هذا، فقال له رسول الله – صلّى الله عليه وآله–(يا علي، أمّا سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكنّي قد زوّجتك بالدرع ورضيت بها منك)[3]، وبهذا

(١) راجع تهذيب الأحكام للطوسي ج٧ ص٤٧٥ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص٣٣٠.
(٢) موقع الميزان للدفاع عن فاطمة الزهراء(عليها السلام).
(٣) الاصابة للعسقلاني.

الدرع الذي باعه الإمام علي بأربعمائة درهم سود هجرية تم هذا الزواج

وبهذا المبلغ البسيط كان مهر فاطمة الزهراء ولو لاحظنا من هذه الدراهم المعدودة أنّه مهر بسيط وجهاز بسيط؛ لكي توضح للجميع معنى الزّهد والانقطاع عن ملذّات الدنيا، والتّبتّل إلى الله سبحانه وتعالى والتّوجه إليه. وحملت جهاز الزواج ببساطته إلى الرسول- صلى الله عليه وآله-، فلمّا عرض عليه جعل يقلّبه بيده ويقول «بارك الله لأهل البيت»[1]، وفي رواية أخرى: «اللهم بارك لقوم جلّ آنيتهم من الخزف»[2].

ونقرأ في رواية أخرى أنّ الزهراء -عليها السلام- طلبت من أبيها، أن يكون مهرها الشفاعة في المذنبين من أمّة محمد -صلّى الله عليه وآله-، فنزل جبرئيل -عليه السلام- على الرسول - صلى الله عليه وآله- مخبراً بتلبية الله سبحانه وتعالى لطلب فاطمة -عليه السلام-[3].

ولهذا كان علينا أن نضع كل القيم الخاطئة من ارتفاع المهور والإسراف لتحل محلها القيم الصّحيحة لأعظم زواج على وجه الأرض، وهكذا تكون سيرة الشخصيات العظيمة من ذوي الأعراف والدين، وهذه هي سيرة القادة الحقيقيين الذين نذروا أنفسهم لعبادة الله والعمل بشرائعه وتعاليمه، ولتبقى سيرتهم العطرة خالدة في عقول الأجيال جيلاً بعد جيل، ولتسحق بهذه القيم السامية كل قيم الجاهلية وموروثاتها العفنة التي -ومع الأسف- لايزال الكثير يحمل ترسّباتها البالية وفي كثير من الممارسات ومنها تقاليد الزواج.

وهذه حادثة تبيّن عظمة الزّهراء -عليها السلام- إذ اشترى لها أبوها - صلى الله عليه وآله- في زواجها ثوبًا جديدًا؛ لأنّ ثوبها كان قديماً بسبب حياة الزّهد التي كان يعيشها أهل بيت النبوة-صلوات الله عليهم- مع أنّ مفاتيح الخزائن والأرض بأيديهم، ولكن استبدلوها بحياة الزهد تقرّباً إلى الله -سبحانه وتعالى-، وعند زفافها -صلوات الله عليها- وجدها الرسول-صلى الله عليه وآله- بنفس ثوبها القديم فسألها عن ثوبها الجديد عند ذلك قالت له أنّ امرأة من المسلمين زوجت ابنتها وهي فقيرة فأهديتها ثوبي الجديد[4]، فأي إيثار وأي دروس وأي جامعة راقية نتعلم من هذه السيرة العطرة لسيدة نساء أهل الجنة والعالمين.

ولنأخذ من هذا الحديث لنبينا الأكرم محمد- صلى الله عليه وآله- مع الزهراء -عليها السلام- العبر والدروس العظيمة في التعامل الاجتماعي للزوج مع الزوجة حيث انقطع عنهم ثلاثة أيام بعد الزواج وجاء في اليوم الرابع فلمّا دخل عليهما أمر عليّاً بالخروج، وخلا بابنته فاطمة -عليها السلام- وقال: « كيف أنت يا بُنيّة ؟ وكيف رأيت زوجكِ ؟ »، قالت: « يا أبه خير زوج، إلاّ أنّه دخل عليَّ نساء من قريش وقلن لي زوّجكِ رسول الله من فقير لا مال له»،

(١) بحار الأنوار / ج ٤٣ / ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق / ج ٤٣ / ص ١٣٠.

(٣) اخبار الدول: ٨٨، الاحقاق: ١٠ | ٣٦٧، وسيلة النجاة: ٢١٧.

(٤) أنظر: أعلام الهداية فاطمة الزهراء سيدة النساء (عليها السلام)، المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) ص ٢٤-٢٥.

فقال – صلى الله عليه وآله– لها: « يا بنية ما أبوك ولا بعلُك بفقير، ولقد عرضت عليَّ خزائن الأرض، فاخترت ما عند ربّي، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً أن زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً »، « يا بُنية إنّ الله ـ عز وجل ـ اطلع إلى الأرض فاختار من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك، يا بنية نِعم الزوج زوجكِ، لا تعصي له أمراً »، ثم صاح رسول الله – صلى الله عليه وآله– بعليّ: « يا عليّ »، فقال: « لبيك يا رسول الله »، قال: اُدخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها، فإنّ فاطمة بضعة منّي، يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها، أستودعكما الله وأستخلفه عليكم »[1].

وهنا نأتي الى معاجز زواج الإمام علي بالصديقة الزهراء –عليهما السلام–

زواجهما –عليهما السلام– في السماء

قال صاحب كتاب مسند فاطمة –عليها السلام–: أخبرني الشريف أبو محمد الحسن بن أحمد العلوي المحمدي النقيب، قال: حدثنا الاصم بعسقلان قال: حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا الشافعي محمد ابن إدريس، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: ورد عبد الرحمن ابن عوف الزهري، وعثمان بن عفان إلى النبي –صلى الله عليه وآله– فقال له عبد الرحمن: يا رسول الله تزوجني فاطمة ابنتك؟ وقد بذلت لها من الصداق مائة ناقة سوداء، زرق الاعين، محملة كلها قباطي مصر، وعشرة آلاف دينار، ولم يكن مع رسول الله – صلى الله عليه وآله – أيسر من عبد الرحمن وعثمان، وقال عثمان: بذلت لها ذلك، وأنا أقدم من عبد الرحمان إسلامًا، فغضب النبي –صلى الله عليه وآله– من مقالتهما، ثم تناول كفًا من الحصى فحصب به عبد الرحمن، وقال له: إنَّك تهول علي بمالك ؟ قال: فتحول الحصى درًّا، فقومت درة من تلك الدرر فإذا هي تفي بكل ما يملكه عبد الرحمن، وهبط جبرئيل في تلك الساعة، فقال: يا أحمد، إنَّ الله يقرئك السلام، ويقول: قم إلى علي بن أبي طالب –عليه السلام–، فإنَّ مثله مثل الكعبة يحج إليها ولا تحج إلى أحد إنَّ الله أمرني أن آمر رضوان خازن الجنة أن يزين الاربع جنان، وآمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى أن تحملا الحلي والحلل، وآمر الحور العين أن يزين وأن يقفن تحت شجرة طوبى وسدرة المنتهى، وآمر ملكًا من الملائكة يقال له راحيل، وليس في الملائكة أفصح منه لسانًا، ولا أعذب منطقًا، ولا أحسن وجهًا أن يحضر إلى ساق العرش، فلمّا حضرت الملائكة والملك أجمعون أمرني أن أنصب منبرًا من النور، وآمر راحيل أن يرقى فخطب خطبة بليغة من خطب النّكاح، وزوج علي من فاطمة بخمس الدنيا لها ولولدها إلى يوم القيامة، وكنت أنا وميكائيل شاهدين، وكان وليّها الله تعالى، وأمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى أن ينثرن ما فيها من الحلي والحلل والطيب، وأمر الحور أن يلقطن ذلك وأن

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٣٢. أعلام الهدية سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام). المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) قم المقدسة، باب زيارة النبيّ (صلى الله عليه وآله) للزهراء في ضريحة عرسها.

يفتخرن به إلى يوم القيامة وقد أمرك الله أن تزوّجه بفاطمة -عليها السلام- في الأرض، وأن تقول لعثمان بن عفان، أما سمعت قولي في القرآن: (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)، وما سمعت في كتابي وقولي فيه: (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا)، فلما سمع النبي - صلى الله عليه وآله - كلام جبرئيل وجه خلف عمار بن ياسر وسلمان بن العباس، ثم احضرهم، ثم قال لعلي -عليه السلام-: إنّ الله (قد) أمرني أن ازوجك فاطمة، فقال: يا رسول الله، إنّي لا أملك إلا سيفي وفرسي ودرعي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: اذهب فبع الدّرع، قال: خرج علي -عليه السلام- فنادى على درعه فبلغت أربعمائة درهم ودينار قال: واشتراه دحية بن خليفة الكلبي، وكان حسن الوجه ولم يكن مع رسول الله أحسن وجهًا منه، قال: لما أخذ علي -عليه السلام- الثّمن وتسلم دحية الدرع عطف دحية إلى علي، فقال: أسألك يا أبا الحسن أن تقبل منّي هذه الدرع هديّة، ولا تخالفني في ذلك فأخذها منه قال: فحمل الدرع والدراهم وجاء بهما إلى النبي - صلى الله عليه وآله - فطرحهما بين يديه، فقال له: يا رسول الله (إني) بعت الدرع بأربعمائة درهم ودينار، وقد اشتراه دحية الكلبي وقد أقسم عليّ أن أقبل الدرع هدية، وأي شيء تأمر أقبله منه أم لا؟ فتبسّم رسول الله - صلى الله عليه وآله- وقال ليس هو دحية، لكنه جبرئيل -عليه السلام-، وإنَّ الدراهم من عند الله لتكون شرفًا وفخرًا لابنتي فاطمة، وزوّجه النبي - صلى الله عليه وآله- بها، ودخل بعد ثلاث، قال: وخرج علينا علي -عليه السلام- ونحن في المسجد إذ هبط الأمين جبرئيل -عليه السلام- وقد هبط بأترجة من الجنة، فقال يا رسول الله، إنَّ الله يأمرك أن تدفع هذه الاترجة إلى علي بن أبي طالب -عليه السلام-، فدفعها النبي - صلى الله عليه وآله - إلى علي، فلمّا حصلت في كفه انقسمت قسمين، مكتوب على قسم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، وعلى القسم الآخر: هدية من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب -عليه السلام-[1].

وقال الشّريف: حدثنا موسى بن عبد الله الحسني، عن وهب ابن وهب، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب -عليه السلام- أنّه قال « هممت بتزويج فاطمة حينا ولم أجسر على أن أذكر ذلك للنبي -صلى الله عليه وآله - وكان ذلك يختلج في صدري ليلاً ونهارًا حتى دخلت يومًا على رسول الله -صلى الله عليه وآله-، فقال يا علي، فقلت لبيك يا رسول الله فقال هل لك في التزويج ؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فظننت أنه يريد أن يزوجني ببعض نساء قريش وقلبي خائف من فوت فاطمة، ففارقته على هذا فوالله ما شعرت بشيء حتى أتاني رسول الله - صلى الله عليه وآله- فقال لي: أجب يا علي وأسرع، قال: فأسرعت المضي إليه، فلما دخلت نظرت إليه، فما رأيته أشدّ فرحًا من ذلك اليوم، وهو في حجرة ام سلمة، فلمّا أبصرني تهلّل وتبسّم حتى نظرت إلى بياض أسنانه لها بريق، وقال: هلمّ يا علي، فإنَّ الله قد كفاني ما أهمّني فيك من أمر تزويجك، فقلت: وكيف ذلك، يا رسول الله ؟ قال: أتاني جبرئيل ومعه

(١) دلائل الامامة: ١٢ - ١٣.

من قرنفل الجنّة وسنبلها قطعتان، فناولهما لي فأخذتهما وشممتهما فسطح منهما رائحة المسك، ثم أخذهما منّي، فقلت: يا جبرئيل ما شأنهما؟ فقال: إنَّ الله أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها بمغارسها وقصورها وأنهارها وأشجارها وثمارها وأمر ريح الجنة التي يقال لها المثيرة فهبّت في الجنة بأنواع العطر والطيب، وأمر الحور العين بقراءة سورتي طه ويس (وطواسين وحمعسق)، فرفعن أصواتهنّ بهما، ثم نادى منادٍ من تحت العرش: ألا إنَّ اليوم يوم وليمة فاطمة بنت محمد، وعلي بن أبي طالب -عليه السلام- رضا مني بهما، ثم بعث الله تعالى سحابة بيضاء، فمطرت على أهل الجنة من لؤلؤها وزبرجدها وياقوتها، وقامت الملائكة نثرت من سنبل الجنة وقرنفلها، هذا مما نثرت الملائكة، وأمر خدّام الجنان أن يلتقطوها، وأمر ملكاً من الملائكة يقال له راحيل وليس في الملائكة أبلغ منه، فقال: اخطب يا راحيل)، فخطب بخطبة لم يسمع أهل السماء بمثلها، ولا أهل الأرض ثم نادى مناد: يا ملائكتي وسكّان سماواتي، باركوا على نكاح فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب -عليه السلام- فقد باركت عليهما، ألا فإنّي زوّجت أحب الناس من أحب الرجال إليّ بعد محمد - صلى الله عليه وآله- ثم قال - صلى الله عليه وآله- يا علي، أبشر أبشر فإنّي قد زوّجتك بابنتي فاطمة -عليها السلام- على ما زوّجك الرحمن من فوق عرشه، فقد رضيت لك ولها ما رضى الله لكما، فدونك أهلك وكفى يا علي برضاي رضى فيك يا علي، فقال علي -عليه السلام- يا رسول الله، أو بلغ من شأني أن اذكر في أهل الجنة ؟ ويزوجني الله تعالى في ملائكته ؟ فقال - صلى الله عليه وآله- يا علي، إنَّ الله إذا أحب عبدًا أكرمه بما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فقال علي -عليه السلام- يا رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، فقال النبي آمين (آمين)، وقال علي: لما رأيت رسول الله خاطبًا ابنته فاطمة، قال: وما عندك تنقدني قلت له: ليس عندي إلا بعيري وفرسي ودرعي. فقال: أمّا فرسك فلابد لك منها تقاتل عليه، وأما بعيرك فحامل أهلك، وأما درعك فقد زوجك الله بها، قال علي: فخرجت من عنده والدرع على عاتقي الايسر، فغدوت إلى سوق الليل، فبعتها بأربعمائة درهم سود هجرية، ثم أتيت بها إلى النبي - صلى الله عليه وآله - فصببتها بين يديه، فوالله ما سألني عن عددها، وكان رسول الله - صلى الله عليه وآله- سري الكف، فدعا بلال وملا قبضته، فقال: يا بلال ابتع بها طيبا لابنتي فاطمة، ثم دعا ام سلمة فقال لها: يا ام سلمة، ابتاعي لابنتي فراشًا من حلس معز واحشيه ليفا، واتخذي لها مدرعة وعباءة قطوانية، ولا تتّخذي أكثر من ذلك فتكون من المسرفين، وصبرت أياما ما أذكر فيها شيئًا لرسول الله - صلى الله عليه وآله- شيئًا، من أمر ابنته حتى دخلت على ام سلمة، فقالت لي: يا علي، لم لا تقول لرسول الله يدخلك على أهلك؟ (قال) قلت: أستحي منه أن أذكر له شيئًا من هذا، فقالت ام سلمة: ادخل عليه فإنّه سيعلم ما في نفسك، قال علي: فدخلت عليه، ثم خرجت، ثم دخلت، ثم خرجت، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله- أحسبك أنّك تشتهي

الدخول على أهلك؟ (قال) قلت: نعم، فداك أبي وأمّي، يا رسول الله،
فقال – صلى الله عليه وآله– غدًا إن شاء الله تعالى[1].

* خبر الخطبة

عن أبي الحسن محمد بن هارون ابن موسى التلعكبري، قال: حدثني أبي رضي الله عنه، قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي الغريب الضبي، قال: حدثنا محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، قال: حدثنا شعيب بن واقد، عن الليث، عن جعفر بن محمد –عليه السلام– عن أبيه، عن جده، عن جابر، قال: لما أراد رسول الله – صلى الله عليه وآله– أن يزوّج فاطمة عليًا –عليهما السلام– قال له اخرج يا أبا الحسن إلى المسجد، فإني خارج في أثرك، ومزوجك بحضرة الناس، وذاكر من فضلك ما تقرّ به عينك، قال علي فخرجت من عند رسول الله – صلى الله عليه وآله– وأنا لا أعقل فرحًا وسرورًا، فاستقبلني أبو بكر وعمر، قالا: ما وراءك، يا أبا الحسن ؟ فقلت: يزوّجني رسول الله فاطمة، وأخبرني أنَّ الله قد زوجنيها، وهذا رسول الله خارج في أثري ليذكر بحضرة الناس، ففرحًا وسرا، فدخلا معي المسجد، (قال علي) فو الله ما توسطناه حتى لحق بنا رسول الله، وإن وجهه ليتهلل فرحًا وسرورًا، فقال – صلى الله عليه وآله– أين بلال؟ فأجاب: لبيك وسعديك يا رسول الله، ثم قال: أين المقداد ؟ فأجاب: لبيك يا رسول الله، ثم قال: أين أبو ذر؟ فأجاب: لبيك يا رسول الله، فلما مثلوا بين يديه، قال انطلقوا بأجمعكم فقوموا في جنبات المدينة، وأجمعوا المهاجرين والأنصار والمسلمين فانطلقوا لأمر رسول الله – صلى الله عليه وآله– فأقبل رسول الله – صلى الله عليه وآله– فجلس على أعلى درجة من منبره، فلمّا حشد المسجد بأهله، قام رسول الله – صلى الله عليه وآله– فحمد الله وأثنى عليه، فقال: الحمد لله الذي رفع السماء فبناها، وبسط الأرض فدحاها، فأثبتها بالجبال فأرساها، أخرج منها ماءها ومرعاها، الذي تعاظم عن صفات الواصفين، وتجلل عن تحبير لغات الناطقين، وجعل الجنة ثواب المتقين، والنار عقاب الظالمين، وجعلني نقمة للكافرين، ورحمة ورأفة للمؤمنين، عباد الله إنَّكم في دار أمل عدو أجل وصحة وعلل، دار زوال وتقلب أحوال جعلت سببًا للارتحال، فرحم الله امرأ قصر من أمله، وجدّ في عمله، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوته فقدمه ليوم فاقته، يوم تحشر فيه الأموات، وتخشع له الأصوات، وتنكر الأولاد والأمّهات، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أنَّ الله هو الحق المبين، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، يوم يبطل فيه الأنساب ويقطع فيه الأسباب ويشتد فيه على المجرمين الحساب، ويدفعون إلى العذاب فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، أيها الناس، إنّما الأنبياء حجج إله في أرضه، الناطقون بكتابه، العاملون بوحيه، وإنَّ الله عز وجل أمرني أن أزوّج كريمتي فاطمة بأخي وابن عمي وأولى الناس بي علي بن أبي طالب –عليه السلام– وأنَّ

(١) دلائل الامامة: ١٣

الله قد زوجه بها في السماء بشهادة الملائكة، وأمرني أن أزوّجه في الأرض واشهدكم على ذلك، ثم جلس رسول الله – صلى الله عليه وآله– ثم قال قم يا علي، فاخطب لنفسك، قال: يا رسول الله، أخطب وأنت حاضر؟ قال: اخطب، هكذا أمرني ربي أن آمرك أن تخطب لنفسك، ولولا أن الخطيب في الجنان داود لكنت أنت يا علي، ثم قال النبي – صلى الله عليه وآله– أيها الناس، اسمعوا قول نبيكم إنَّ الله بعث أربعة آلاف نبي، ولكل نبي وصي، وأنا خير الأنبياء، ووصيي خير الأوصياء، ثم أمسك رسول الله – صلى الله عليه وآله– وابتدأ علي –عليه السلام– فقال: الحمد لله الذي ألهم بفواتح علمه الناطقين، وأنار بثواقب عظمته قلوب المتقين، وأوضح بدلائل أحكامه طرق الفاصلين، وأبهج بابن عمي المصطفى العالمين، وعلت دعوته دواعي الملحدين، واستظهرت كلمته على بواطل المبطلين، وجعله خاتم النبيين وسيّد المرسلين، فبلّغ رسالة ربه، وصدع بأمره، فبلغ عن آياته، والحمد لله الذي خلق العباد بقدرته، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد – صلى الله عليه وآله– ورحم وأكرم وشرف عظم، والحمد لله على نعمائه وأياديه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلى الله على محمد صلاة تريحه وتحيطه وبعد فإن والنكاح مما أمر الله به وأذن فيه ومجلسنا هذا مما قضاه ورضيه، وهذا محمد ابن عبد الله رسول الله زوجني ابنته فاطمة على صداق أربعمائة ردهم ودينار، قد رضيت بذلك فاسألوه وأشهدوا، فقال المسلمون: زوجته، يا رسول الله ؟ قال: نعم، قال المسلمون: بارك الله لهما وعليهما، وجمع شملهما[1].

* حديث المهر

عن أبو الحسين محمد ابن هارون بن موسى بن أحمد بن إبراهيم بن سعد التلعكبري، قال: أخبرني أبي، قال: حدثنا أبو علي أحمد بن محمد بن جعفر الصولي، قال: حدثني محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة، قال: حدثنا الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وآله– ضجت الملائكة إلى الله تعالى، فقالوا: إلهنا وسيدنا أعلمنا ما مهرها لتعلم وتبين أنها أكرم الخلق عليك، فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي وسكان سماواتي، اشهدكم أنَّ مهر فاطمة بنت محمد – صلى الله عليه وآله– نصف الدنيا[2].

* حديث الزفاف

عن أبي الحسين محمد بن هارون ابن موسى التلعكبري، قال حدثنا أبي، قال حدثنا أحمد بن علي ابن مهدي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا علي بن موسى الرضا –عليهما السلام–، عن أبيه، عن جعفر، عن أبيه الباقر –عليهم السلام– قال: حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: لما كانت الليلة التي أهدى فيها رسول الله –صلى الله عليه وآله– فاطمة إلى علي

(١) دلائل الامامة: ١٥ – ١٧ وعنه البحار: ١٠٣ / ٢٦٩ ح ٢١. وأخرج في العوالم: ١١ / ١٦٧ – ١٧٩ والبحار: ٤٣ / ١٢٤ ح ٣٢ عن كشف الغمة: ١ / ٣٥٣ نقلا من مناقب الخوارزمي: ٢٤٧

(٢) دلائل الامامة: ١٨.

-عليهما السلام- دعا بعلي -عليه السلام- فأجلسه عن يمينه،
ودعا بها -عليها السلام- فأجلسها عن شماله، ثم جمع رأسهما ثم قام وقاما وهو بينهما
يريد منزل علي -عليه السلام- فكبر جبرئيل -عليه السلام- في الملائكة، فسمع النبي -صلى الله عليه وآله- التكبير، فكبر وكبر المسلمون، وهو أول تكبير كان في زفاف، فأصبحت سنّة[1].

(١) دلائل الامامة: ٢٥ وروى صدره الشيخ في الامالي: ١ / ٢٦٣، وعنه البحار: ٤٣ / ١٠٤، وج ١٠٣ / ٢٧٤ ح ٣١، والعوالم: ١١ / ١٩٥. وفي الوسائل: ١٤ / ٦٢ عن أمالي الطوسي والفقيه: ٣ / ٤٠١.

المنهج التثقيفي عند الإمام الباقر (عليه السلام)

جنان مالك

العلم خير وسيلة لتجلية حقيقة التّصور الإسلامي، والمنهج الإلهي في الحياة الإنسانية وهو الوسيلة المثلى لتوجيه الجماعة الصالحة للارتفاع بها إلى مستوى الأمانة العظيمة التي ناطها الله بها، ولذا كان أهل البيت -عليهم السلام- يتشددون مع الجماعة الصّالحة في أمر تلقّي العلوم المرتبطة بالعقيدة والشّريعة من مصادرها الأصيلة وهي القرآن والسّنّة الشّريفة، وفي منهج الإمام الباقر -عليه السلام- التّثقيفي والتّعليمي المعد للجماعة الصّالحة نلاحظ التّأكيد على الأمور التالية [١]:

١- الحث على طلب العلم:

حثّ الإمام -عليه السلام- على طلب العلم، وخصوصًا علم الفقه فقال: " الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، والصبر على النائبة وتقدير المعيشة" [٢] وحثّ -عليه السلام- على السؤال باعتباره مفتاح العلم، وروي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- قوله: " العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فأنه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمجيب لهم " [٣] .

٢- موقع العلماء المتميز وفضلهم:

بيّن الإمام الباقر -عليه السلام- فضل العالم وقدّمه على العابد، لأنَّ العلم الحقيقي يجعل الإنسان على وعيٍ كامل بالحقائق والتصورات وبالأحداث والمواقف فلا يختلط عليه أمر بأمر ولا موقف بموقف فيكون قادرًا على التمييز والتشخيص، وإصابة الواقع في جميع مجالاته، قال -عليه السلام-: (عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد) [٤] .

وقال -عليه السلام-: "والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابدًا" [٥] وبيَّن -عليه السلام- خصائص العالم قال: " إنَّ الفقيه حق الفقيه: الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي" [٦] .

٣- الإخلاص في طلب العلم:

حثَّ -عليه السلام- على إخلاص النيّة في طلب العلم، بأن يكون الهدف النّهائي من طلبه للعلم هو الوصول إلى الحق،

---

(١) أعلام الهداية، الإمام محمد الباقر، ج٧، المجمع العالمي لأهل البيت، ص١٥٤ .
(٢) الكافي، الكليني، ج١، ص٣٢ .
(٣) حلية الأولياء، ٣/ ١٩٢ .
(٤) حلية الأولياء، ٣/ ١٨٣ .
(٥) تذكرة الخواص: ٣٠٤ .
(٦) الكافي، الكليني، ١/ ٧٠ .

وتقريره في عقول الناس وقلوبهم تقرّبًا إلى الله تعالى، وتجسيدًا لمنهجه في الحياة .

قال -عليه السلام-: "من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوّء مقعده من النار، إنّ الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها" [١] .

٤- ضرورة نشر العلم وتثقيف الناس:

حثّ الإمام -عليه السلام- على نشر العلم وتعليمه للناس، وإشاعته في الأوساط المختلفة، نهى عن كتمانه، بقوله(عليه السلام): "من علم باب هدى فله أجر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئًا . . . " [٢].

وقال -عليه السلام-: "رحم الله عبدًا أحيا العلم يذاكر به أهل الدين وأهل الورع " [٣] . وجعل على العلم زكاة فقال: (زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله) [٤] . كما جعل تذاكره ومدارسته صلاة، فقال: (تذاكر العلم دراسة، وللدراسة صلاة حسنة) [٥] .

٥- مزالق وآفات المتعلّمين:

إنَّ الإنسان مهما أوتي من علم فإنَّه يبقى بحاجة إلى المزيد، ويبقى في كثير من الأحيان جاهلاً ببعض الحقائق، لذا حثّ الإمام -عليه السلام- على الاحتياط من الإجابة لكي يأمن الانحراف، ولا تؤدي إلى تغرير الآخرين، قال -عليه السلام-: " الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثًا لم تروه خير من روايتك حديثًا لم تحصه" [٦] .

وقال -عليه السلام-: " ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، أنّ الرجل لينتزع الآية من القرآن يخر فيها أبعد ما بين السّماء والأرض " [٧] .

وجعل هذا الاحتياط حقًا لله على العباد، فقال: "حق الله على العباد: أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عندما لا يعلمون" [٨] .

٦- المرجعية العلمية:

من الحقائق المشهورة عند المسلمين أنَّ الإمام علي -عليه السلام- أعلم الصحابة بكتاب الله وسنة رسوله -صل

---

(١) الكافي، الكليني: ١/ ٤٧ .
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٣٥ .
(٣) المصدر نفسه: ١/ ٤١ .
(٤) المصدر نفسه: ١/ ٤١ .
(٥) المصدر نفسه: ١/ ٤١ .
(٦) المصدر نفسه: ١/ ٥٠ .
(٧) المصدر نفسه: ١/ ٤٢ .
(٨) المصدر نفسه: ١/ ٤٣ .

الله عليه وآله- وهو باب علم الرسول -صل الله عليه وآله-، وقد علّم أبناءه ما تعلمه من رسول الله -صلى الله عليه وآله- وكانوا يتوارثون العلم فيما بينهم، من هنا كان أهل البيت -عليهم السلام- أعلم الناس بالقرآن والسنة ولهذا أكّد الإمام الباقر -عليه السلام- على مرجعية أهل البيت -عليهم السلام- العلمية وبيّن أنّ علمهم موروث منذ آدم إلى يومه هذا فقال: " أنّ العلم الذي نزل مع آدم -عليه السلام- لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان علي -عليه السلام-، عالم هذه الأمّة، وأنّه لم يهلك منّا عالم قط الا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله " [1] .

وبيَّن اختصاص أهل البيت -عليهم السلام- بعلم القرآن ظاهره وباطنه فقال: "ما يستطيع لأحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير أوصياء" [2].

كما بيّن أنَّ علمهم -عليهم السلام- علم صائب فقال: " ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق الا ما خرج منّا أهل البيت " [3] .

وقد أثبت الواقع أهليتهم -عليهم السلام- للمرجعية العلمية العامّة للمسلمين جميعًا فكانوا مقصد العلماء من جميع أمصار العالم الإسلامي .

وكان -عليه السلام- يحثّ الجماعة الصالحة على الرجوع لأهل البيت الأطهار-عليهم السلام- تجسيدًا لهذه المرجعية وتحصينًا لهم من الزّيغ والانحراف [4] .

وكان أيضًا يرشد أصحابه إلى مراجعة العلماء الذين أخذوا العلم من أهل البيت -عليهم السلام- واتقنوا فنونه وأسسه وقواعده [5] .

٧- المؤسسات العلمية الثقافية:

كان للإمام الباقر -عليه السلام- دور كبير في توسيع المؤسَّسات الثقافية، فقد أسَّس مدارس عدّة في أهم الأمصار العربية:

مدرسة المدينة: كان يشرف عليها مباشرة، وينتقي الفقهاء ليواصلوا حمل العلم ونشره .

مدرسة الكوفة: وكان يشرف عليها من تتلمذ على يديه، وتخرّج من مدرسته . وقد أثمرت هذه المدرسة في نشر علوم أهل البيت -عليهم السلام- وإرجاع الناس إليهم، حتى اعترف الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك بهذه الحقيقة

---

(١) الكافي: ١/ ٢٢٢.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٢٨ .
(٣) المصدر نفسه: ١/ ٢٢٨ .
(٤) المحاسن: ٢١٣ .
(٥) بحار الأنوار ، المجلسي: ٤٦/ ٣٢٨ .

قد أشار إلى الإمام -عليه السلام- قائلاً: هذا المفتون به أهل العراق [1] .

ولذا أمر الأمويون بمنع أهل العراق من الالتقاء بالإمام -عليه السلام- [2] .

مدرسة قم: وكان يشرف عليها بعض من تتلمذ على يدي الإمام -عليه السلام- وهي متفرعة من مدرسة الكوفة . وتأثرت بمدرسة الكوفة وقم ومدارس أخرى في الشرق الإسلامي، كمدرسة الري وخراسان [3] .

وهناك مدارس عدّة جوالة كان يؤسسها طلابه أينما حلّوا وهي محدودة بحدود عدد الأفراد المتشرفين بمقدار الاستجابة لهم من قبل الناس والمؤسّسات الثقافية التي كان لها دور كبير في تخريج الفقهاء والمبلّغين من مختلف الأمصار .

وكانت أساليب الإمام التّثقيفية متنوّعة بعضها طابعها فردي والآخر جماعي . كما كان التثقيف يتم عن طريق التدريس، وأخرى عن طريق الرسائل والوصايا .

ولم يكن تثقيفه وتعليمه مقتصرًا على الفقه والأصول أو العلوم الدينية بشكل خاص، بل كان شاملاً لجميع العلوم المعروفة آنذاك [4] .

الإمام الباقر -عليه السلام- وتشخيص هوية الجماعة الصالحة:

اهتم الإمام الباقر -عليه السلام- بتشخيص هوية الجماعة الصّالحة، وتمييزها عن غيرها من الهويات التي ترافق سائر الوجودات والكيانات والتّيّارات القائمة في الواقع .

وقد كان للجماعة الصّالحة وجود مميز من حيث الاسم والضّمان ومن حيث الولاء والاقتداء . ومن حيث التّقييم والدرجة والمرتبة من بين الدّرجات، فهي تنتمي إلى الإسلام أوّلاً وإلى منهج أهل البيت ثانياً .

وتشخيص الهوية له آثار إيجابية على تجذّر الانتماء وإدامته، وله آثار عملية على الأفكار والعواطف والممارسات السلوكية، حيث أنّها تتبع الانتماء وتتحرّك على ضوء الأهداف المحدّدة للهوية المشخصة، ومن هذه الآثار:

الشّعور بالانتماء وهو أمر فطري يدفع الإنسان للاعتزاز بانتمائه لأنّه يشعر بأنّ شخصيته ووجوده يحدّدها الانتماء والهوية الظّاهرة .

إنّ لتشخيص الهوية دورًا كبيرًا من وحدة الأهداف ووحدة البرامج ووحدة المصير، ووحدة المصالح، ولهذه الوحدة دور أساسي في تحريك المنتمين للعمل، والتّضحية من أجل الهدف .

إنّ لتشخيص الهوية دورًا في تعميق علاقات الأخوّة داخل الجماعة الصّالحة والتّعاون من أجل رفع المستوى الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي كما يمنحها القوة والمتعة والعزة .

---

(١) ينظر: مختصر تاريخ دمشق: ٢٣/ ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٣/ ٨٣ .

(٣) دور أهل البيت -عليهم السلام- في بناء الجماعة الصالحة: ١/ ١٣٣ .

(٤) الإرشاد: ٢٦٤ .

إنَّ تشخيص الهوية والشّعور بالانتماء الموحد يدفع بالحركة باتجاه توسيع قاعدتها الشّعبية على أساس تقوية مظاهر الهوية، ويدفعها نحو التّنافس المشروع لربط بقيّة أفراد الأمة بالمفاهيم والقيم الصّالحة .

محاور الانتماء في الجماعة الصّالحة:

الإسلام هو المحور الأساسي للانتماء عند الجماعة الصّالحة، وهو المحرّك الأوّل للعمل والحركة وللسلوك وللعلاقات، والمصلحة الإسلامية العليا . والإسلام هو الانتماء الأساسي الذي يدفع بالمنتمين إليه نحو التّعالي على الأواصر الضيقة والروابط الثانوية لتكون العلاقات في ظله قائمة على أساس التكافل والتراحم والتناصح والأمانة والعدل والسماحة والمودّة والإحسان، وهذه العلاقات تتطلّب التّحرر من ضغط القيم والأوضاع المحدّدة والمصالح والمطامع الذاتية العارضة .

والإسلام هو الانتماء الأرحب الذي يضم جميع من نطق بالشهادتين فهو رأي الإمام الباقر -عليه السلام-: ". . . والإسلام ما عليه من التناكح والتوارث وحقنت به الدماء "[1] .

وعلى ذلك فإنّ الجماعة الصالحة هي جزء من المجتمع الإسلامي الكبير بمختلف تيّاراته ومذاهبه الفكرية والسياسية، ومسؤولة عن الحفاظ على هذا الوجود من التّصدّع .

والفكر المشترك أو العقيدة المشتركة بين الجماعة الصالحة وسائر الجماعات القائمة هي الإيمان بالله ورسله وكتبه، والإيمان برسالة خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وآله- والإيمان بيوم القيامة .

والانتماء إلى منهج أهل البيت -عليهم السلام- هو الهوية المشخصة للجماعة الصالحة لتميزها عن غيرها من الجماعات التي تنتمي إلى مناهج أخرى .

والانتماء إلى أهل البيت -عليهم السلام- يعني الولاء لهم بجميع مراتبه ومصاديقه المتمثّلة في حبّهم ونصرتهم . والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم التي هي أوامر الله ورسوله للإنسان المسلم على مدى الحياة، بحيث تكون العقول والقلوب منسجمة مع منهج أهل البيت العقائدي والسياسي في آن واحد لأنّهم الامتداد الحقيقي للرسالة الإسلامية وهم القيمون على المنهج الإلهي الذي أرسى دعائمه رسول الله -صلى الله عليه وآله- في حديث الثّقلين وغيره من النّصوص النبوية الشريفة ومن هنا قال الإمام الباقر -عليه السلام-: " نحن أهل بيت الرحمة وشجرة النبوة ومعدن الحكمة، ومختلف الملائكة ومهبط الوحي "[2] .

وهذا الانتماء يجعل جميع أفراد الجماعة الصالحة مكلّفين بأداء دور القدوة ازاء الانتماء الرحب وهو الاسلام . فينبغي أن يكونوا قدوة لغيرهم، وصفهم الإمام -عليه السلام- في أحاديث متقدّمة بمواصفات خاصة ومنها

(١) تحف العقول آل الرسول: ٢١٧-٢١٨ .

(٢) الإرشاد، المفيد: ٢٦٦ .

طاعة الله، والتقوى وأداء الواجبات واجتناب المحرّمات، وحسن الخلق
وحسن السّيرة، وأكّد على أنَّ هذا الانتماء لا يتحقّق الا بالتقوى والورع والعمل الصالح [1] .

مشخصات الهوية للجماعة الصّالحة:

الأول – الاسم:

أطلق الإمام الباقر –عليه السلام– تبعًا لآبائه وأجداده –عليهم السلام– عددًا من الأسماء والعناوين لتشخيص هوية الجماعة الصّالحة وفرزها وتميزها عن غيرها في خضم الالتباس في المفاهيم والخلط في العناوين ومنها:

شيعة علي .

شيعة فاطمة .

شيعة آل محمد .

شيعة ولد فاطمة .

واسم الشّيعة هو مورد اعتزاز الجماعة الصّالحة لمشايعتهم أهل البيت –عليهم السلام– المطهرين من كل رجس ودنس .

وقد بشر الإمام الباقر –عليه السلام– أفراد الجماعة الصّالحة بهذا الاسم فعن أبي بصير قال: (ليهنكم الاسم، قلت: ما هو جعلت فداك ؟ قال: **(وإن من شيعته لإبراهيم)** [2] . وقوله: **(فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه)** [3] . (فليهنكم الاسم) [4] .

فهذا الاسم اسم شريف سمّى به الله تعالى أتباع الأنبياء السابقين وأقر –عليه السلام– اسم الرافضة على الجماعة الصالحة بعد أن سماهم به أتباع السلطان، فحينما شكى إليه بعض أصحابه هذه التسمية قال له: (وأنا من الرافضة) قالها ثلاثاً ([5]) .

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر –عليه السلام–: جعلت فداك اسم سمينا به استحلت به الولادة دماءنا وأولادنا وعذابها قال: وما هو، قال: الرافضة، فقال أبو جعفر –عليه السلام–: (إنَّ سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فاتوا موسى –عليه السلام– فلم يكن على قوم موسى –عليه السلام– أشد اجتهادًا ولا أشد حبّاً لهارون منهم فسمّاهم قوم موسى الرافضة . فأوحى الله إلى موسى: (أن ثبت لهم هذا الاسم في التوراة فأني قد نحلتهم وذلك اسم

---

(١) أعلام الهداية ، الإمام محمد الباقر ، المجمع العالمي لأهل البيت ، ص١٦٦ .
(٢) سورة الصافات ، آية (١٣٨) .
(٣) سورة القصص ، آية (١٥) .
(٤) بحار الأنوار: ٦٥/ ١٣٦٢ .
(٥) المحاسن: ١٥٧ .

قد نحلكموه الله)[1] . وهنالك أسماء أخرى ذكرها الإمام الباقر -عليه السلام- وهي: المؤمن والموالي [2] .

الثاني - الصفات:

وصف الإمام الباقر -عليه السلام- أفراد الجماعة الصالحة بمواصفات خاصة تشخصهم بها عن غيرهم ومنها [3]:

أصحاب اليمين .

خير البرية .

أولياء الله .

شرط الله .

أعوان الله .

الحركة العلمية:

الظروف التي أتيحت للإمامين الباقر والصادق -عليهما السلام- ساهمت بشكل كبير في نشرها للعلوم ما ملأ الآفاق . وقد تصدّيا -عليهما السلام- للتيارات الضّالة وأرباب الشبهات والبدع في عصرهما .

وفي الواقع التراث العلمي الموجود بين أيدينا اليوم أكثر في هذين الإمامين الهمامين . حتى بلغ الأمر أنّ عدد تلامذة الإمام الصادق -عليه السلام- بلغوا عشرين ألفاً .

تربية الفقهاء والعلماء:

قام الإمام الباقر -عليه السلام- بتربية الفقهاء والعلماء وذلك عندما فرجت الظّروف نسبياً للإمام -عليه السلام- كان منهم:

١ - أبان بن تغلب:

وهو أبرز تلامذة الإمام الباقر -عليه السلام- وكان الإمام -عليه السلام- يأمره بالفتوى فقال له: "اجلس في مسجد الكوفة وافت الناس، فإنّي أحب أن يرى في شيعتي مثلك " [4] .

وكفاه فضلاً تصديق العامة بفضله مع اعترافهم بتشيعه، قال الذَّهبي في ميزان الاعتدال عند ترجمته: " شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقة وعليه بدعته " [5] .

(١) المصدر نفسه: ١٥٧ .

(٢) بحار الأنوار: ٦٥/ ١٥ .

(٣) المصدر نفسه: ٦٥/ ٢٩-٣٠-٥٨-٤٤ .

(٤) رجال النجاشي، ص١٠، ترجمة رقم (٧) .

(٥) ميزان الاعتدال، ج١، ص٥، ترجمة رقم (٢) .

وعن إبراهيم النّخعي: "وكان أبان رحمه الله مقدمًا في كل فن من العلوم: في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنّحـــو، وله كتب منها: تفسير غريب القرآن، وكتاب الفضائل" [1] .

٢- محمد بن مسلم:

كان فقيهًا عالماً ورعًا، وكفاه فضلاً قول الصادق -عليه السلام- لعبد الله بن أبي يعفور الذي اشتكى للإمام -عليه السلام- عدم القدرة على الوصول إليه في كل وقت مع سؤال الناس منه فقال له -عليه السلام-: " فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي ! فانه يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي ! فاته قد سمع من أبي وكان عنده وجيهًا [2].

٣- مؤمن الطاق:

كان من فطاحل الشّيعة وعلمائها المدافعين عن أهل البيت -عليهم السلام-بالبيان والحجّة والمجادلة بالتي هي أحسن ، وقد دفعه الأئمة -عليهم السلام- إلى مناظرة مخالفيهم وإفحامهم وردّ شبهاتهم .

فعن أبي خالد الكابلي، قال رأيت أبا جعفر صاحب الطّاق في الرّوضة وقد قطع أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه فدنوت منه وقلت: إنَّ أبا عبد الله نهانا عن الكلام .

فقال: لقد أمرك أن تقول لي ؟

فقال: لا والله ولكنه أمرني أن لا أكلّم أحدًا .

قال: فاذهب واطعه فيما أمرك .

قال الكابلي: فدخلت على أبي عبد الله الصادق -عليه السلام- فأخبرته بقصَّة صاحب الطاق وما قلت له وما أجابني به . فتبسَّم أبو عبد الله -عليه السلام- وقال: يا أبا خالد: إنَّ صاحب الطاق يكلم فيطير وينقض وأنت إذا قصوك لن تطير) [3] .

وكان مؤمن الطاق متخصّصاً في المناظرة والمحاججة والنّقض والإبرام على المخالفين، حتى أنَّهم كانوا يتحاشونه لشدّة في حجيته، وقد سجل له كثير من المناظرات منها:

سأله أبو حنيفة قائلاً: ما تقول في المتعة، تزعم أنَّها حلال ؟

قال: نعم .

قال: فما منعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك ؟ فقال له أبو جعفر الطاق: ليس كل الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالاً . وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أتزعم أنَّه حلال ؟

---

(١) رجال النجاشي ، ص١١ ، ترجمة رقم (٧) .

(٢) رجال النجاشي ، ص١٦١-١٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٨٥-١٨٦ .

قال: نعم .

قال: فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكسبن عليك ؟

فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة وسهمك أنفذ [١] .

وفي خبر آخر أن أبا حنيفة كان يتّهم مؤمن الطاق بالرجعة وكان مؤمن الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناسخ . فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق فاستقبله مؤمن الطاق ومعه ثوب يريد بيعه . فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجوع علي -عليه السلام- . فقال: إن أعطيتني كفيلاً أن لا تمسخ قردًا بعتك فبهت أبو حنيفة [٢] .

ونقل أنه لما استشهد الإمام الصادق -عليه السلام- كان مؤمن الطاق عند المهدي العباسي هو وأبو حنيفة . فقال أبو حنيفة: قد مات إمامك . فقال الطاقي: وإمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم [٣] .

٤- جابر بن يزيد الجعفي:

وهو من خيرة أصحاب الإمام الباقر -عليه السلام- ومن أصحاب سره . ففي الخبر أنّه قال: حدَّثني أبو جعفر -عليه السلام- سبعين ألف حديث، لم أحدِّث بها أحدًا أبدًا .

يقول رحمه الله فقلت لأبي جعفر -عليه السلام-: جعلت فداك، إنّك حملتني وقرًا عظيمًا بما حدثني به من سركم الذي لا أحدث بها أحدًا وربما جاش في صدري حتى يأخذني منه شبيه الجنون، فقال الإمام -عليه السلام-: " يا جابر، فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبان فاحفر حفيرة ودل رأسك فيها، ثم قل: حدثني محمد بن علي كذا وكذا " [٤] .

وكان جابر رحمه الله إذا روى حديثًا عن الإمام الباقر -عليه السلام- يرويه بكل إجلال واحترام، فيقول: حدثني وصي الأوصياء، وولي الأولياء، ووارث علم الأنبياء، محمد بن علي بن الحسين -عليه السلام- [٥] .

وفي الخبر أنّه قال: خدمت سيدنا الإمام أبا جعفر محمد بن علي -عليه السلام- ثماني عشرة سنة، فلمّا أردت الخروج ودّعته وقلت له: أفدني .

فقال: (بعد ثماني عشرة سنة يا جابر) .

قلت: نعم، إنَّكم بحر لا ينزف ولا يبلغ قعره .

قال -عليه السلام-: (يا جابر، بلّغ شيعتي عني السلام وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله عز وجل، ولا يتقرب إليه إلا بالطاعة له) .

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٧، ص٤١١، ب١٢ .
(٢) قاموس الرجال، ج٩، ص٣٨٢-٣٨٣ .
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤.
(٤) لمصدر نفسه، ج٤٦، ص٣٤٠.
(٥) روضة الواعظين، ج١، ص٢٠٣.

يا جابر: من أطاع الله وأحبَّنا فهو وليّنا، ومن عصى الله لم ينفعه حبَّنا .

يا جابر: من هذا الذي يسأل الله فلم يعطه، أو توكّل عليه فلم يكفه أو وثق به فلم ينجه !

يا جابر: أنزل الدنيا منك كمنزل نزلته تريد التحويل عنه، وهل الدنيا إلا دابّة ركبتها في منامك فاستيقظت وأنت على فراشك غير راكب ولا آخذ بعنانها أو كثوب لبسته أو كجارية وطئتها .

يا جابر: إنَّ الدنيا عند ذوي الألباب كفيء الظلال . لا إله إلا الله أعزاز لأهل دعوته، الصلاة تثبيت الإخلاص وتنزيه عن الكبر والزكاة تزيد في الرزق، والصيام والحج تسكين القلوب، والقصاص والحدود حقن الدّماء، وحبّنا أهل البيت -عليهم السلام- نظام الدين، وجعلنا الله وإياكم من الذين يخشون ربَّهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون [1] .

وقد أمره الإمام الباقر -عليه السلام- بالتَّظاهر بالجنون، وذلك لـمّا همَّ الطاغوت بقتله فأمره -عليه السلام- بذلك حفظاً له من القتل . يقول النعمان بن بشير: كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفي، فلمّا ان كُنّا بالمدينة دخل على أبي جعفر -عليه السلام- فودّعه وخرج من عنده وهو مسرور، حتى وردنا الافرجية [2] أوّل منزل نعدل من فيد [3] إلى المدينة يوم جمعة فصلّينا الزّوال، فلمّا نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم معه كتبًا فتناوله جابرا . فتناوله فقبله ووضعه على عينيه، وإذا هو من محمد بن علي -عليه السلام- إلى جابر بن يزيد وعليه طين أسود رطب . فقال له: متى عهدك بسيّدي ؟ فقال: الساعة . فقال له: قبل الصلاة أو بعد الصلاة ؟ فقال: بعد الصلاة . ففكّ الخاتم وأقبل يقرؤه ويقبض وجهه حتى أتى على آخره، ثم أمسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولا مسرورًا حتّى وافى الكوفة: فلمّا وافينا الكوفة ليلاً بِتّ ليلتي فلمّا أصبحت أتيته إعظامًا له فوجدته قد خرج عليّ وفي عنقه كعاب قد علقها وقد ركب قصبة وهو يقول: أجد منصور بن جمهور أميرًا غير مأمور . وأبياتاً من نحو هذا . فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شيئاً ولم أقل له وأقبلت أبكي لما رأيته واجتمع عليّ وعليه الصبيان والناس .

وجاء حتى دخل الرّحبة وأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون: جنّ جابر بن يزيد جنّ فو الله ما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى واليه أن انظر رجلاً يقال له: جابر بن زيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه . فالتفت إلى جلسائه فقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي ؟

قالوا: أصلحك الله كان رجلاً له علم وفضل وحديث، وحج فجن وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم . قال: فأشرف عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب . فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله . قال: ولم تمضِ الأيام حتى دخل منصور بن جمهور الكوفة وضع ما كان يقول جابر [4]، [5] .

(١) الأمالي للطوسي، ص٢٩٦؛ المجلسي: ١١ .

(٢) أخاريج وأخرجه، وهو اسم موضع بالمدينة .

(٣) قلعة في طريق مكة .

(٤) الكافي: الكليني، ج١، ص٣٩٦-٣٩٧ .

(٥) المعصومون الأربعة عشر - السيد محمد الحسيني الشيرازي، ص٣١٣-٣١٩ .

ثقافة الغدير

السيد رضا الموسوي

في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام تحل ذكرى عيد الغدير، وكما يبدو من بعض الروايات أنَّ هذا العيد هو أعظم الأعياد في هذه الأمة.

يدخل الراوي على الإمام أبي عبد الله الصادق -صلوات الله عليه- ويقول له: هل لهذه الأمة عيد غير عيد الأضحى وعيد الفطر ويوم الجمعة؟ ـ لأنَّ كل يوم من أيام الجمعة عيد من أعياد هذه الأمة ـ فيقول الإمام -صلوات الله عليه-: "نعم وأعظمها حرمة، فيقول الراوي وأي عيد هو؟" ـ كأن إجراءات التعتيم الإعلامي التي قامت بها الحكومات المتعاقبة حجبت عن الأذهان هذا العيد، ورغم أنه كان في عهد الإمام الصادق -صلوات الله عليه- شيء من الحرية ولكن إجراءات التعتيم تجعل هذا السائل لا يعرف حتى هذا اليوم ـ فقال الإمام -صلوات الله عليه-: (نعم أعظمها حرمة وهو عيد الغدير الذي عيّن فيه النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- علياً أميراً للمؤمنين، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه)، يقول الراوي: فقلت وأي يوم هو؟ فيقول الإمام: (هو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة)(١)، ولعل وجه الأهمية في هذا العيد؛ أنه يرتبط بقضية القيادة في الأمة، وهي قضية مهمّة جدّاً، وإذا أردنا أن نقرب دور القيادة في المجتمع، يمكن أن نمثل لذلك بهذا المثال؛ وهو دور الأب في العائلة؟ فإذا كان الأب متديّناً، فكيف تنشأ هذه العائلة في ظله؟ وإذا كان الأب غير متدين وكان طالحاً وليس بصالح، فإنَّ النّتيجة تكون عكسية.

سألت أحد المؤمنين: كيف هو صهرك؟. فقال: الحمد لله ليس من المدمنين على المخدّرات! ويبدو أنَّه كان قانعاً بهذا المقدار، لاحظوا إلى أي حال وصلنا، فافترضوا لو أنَّ الأب مدمن على المخدرات في العائلة، كيف ستنشأ؟ ألا يدمر هذا الأب عائلته؟ إنَّ كل العائلة ستُدمّر وُتمزَّق، بينما موقع القيادة في المجتمع ربما أهم من موقع الأب في العائلة؛ لأنَّ الأب في العائلة ربما ليس بيده كلَّ القدرات وكل الإمكانات، إنَّما بيده إمكانات محدودة، فيما تمتلك الدولة، لاسيما في هذا العهد، إذ الدول تتبنى النّظام الشمولي والنُظم الأُحادية التي تضع يدها على كل شيء، حتى رغيف الخبز، وحتى النُظم التي لا تملك هذا النحو وهذا النّمط، فإنّ لها إمكانات هائلة لا يمكن أن نتصوّرها. فإذا كانت القيادة صالحة، يكون المجتمع صالحاً، أما إذا كانت القيادة طالحة فإنَّ المجتمع سيكون طالحاً، أو هذا من العوامل المهمّة في توجيه المجتمع، فلا عجب بعد ذلك، ولا ينبغي أن يتعجّب الإنسان من عظمة عيد الغدير، ويتساءل الرجل: لماذا هو أعظم الأعياد؟ في هذه الرّواية (أعظمها حرمة)،

(١) راجع: الكافي، الشيخ الكليني: ج ٤ ص ١٤٩.

يقول الشاعر:

عيد الغدير أعظم الأعياد كم فيه لله من الأيادي(١)

هنالك ثلاثة أبعاد في قضيّة القيادة وقضية الغدير، أُشير إليها على نحو الاختصار:

البعد الأول: النصّ..

البعد الثّاني: الشّخص..

البعد الثّالث: المنهج..

البعد الأول: النصّ والتعبّد الشرعي..

إنَّ قضية التّعبّد، قضية مهمّة جدّاً للفرد المتديّن، فمرّةً يكون الإنسان غير متديّن، أي لا ينطلق من منطلق الإيمان، وهذا الفرد لا كلام لنا معه، ولكن الفرد المتديّن الذي ينطلق في مواقفه من الدّين فإنَّ قضيّة التّعبّد الشّرعي تكون مهمّة جداً عنده، حتى في الأمور الصّغيرة، فكيف بهذه الأمور الكبيرة، أضرب لكم مثالاً معروفاً.

الشّيطان كان عبداً لله -سبحانه وتعالى- بالشكل الذي كان يحب هو، فقال الله -تعالى- له: أسجد لآدم، فقال الشيطان لله -تعالى-: أنا أعبدك بأي شكل، ولكن اعفني من هذا، فقال الله-سبحانه-: أنا أحب أن أُعبد من حيث أريد لا من حيث تُريد(٢)، وإلا لن تسمّى هذه (عبادة)، وهذه المسألة لا تقتصر على القضايا الدينية، فإذا أتيتم بخادم في بيتكم وأراد أن يعمل كما يريد هو، هل تقبلون به؟! أنتم تريدون من يخدمكم وفق ما تريدون، ـ مثلاً ـ تريدونه يحضر في الساعة العاشرة، عليه أن يأتي في الساعة العاشرة، أما أن يقول: لن آتي في الساعة العاشرة، وإنّما أجيء في السّاعة الثامنة، هل تقبلون هذا؟! كلا لن تقبلون، وهو شيء واضح.

لذا يجب علينا أن نلاحظ ماذا قال الله -تعالى- في كلِّ قضية؟ وماذا قال الوحي؟ لا ماذا يقول الرأي، أو ماذا يقول رأيي.

فهذا هو الفاصل بين الإيمان واللاإيمان، وبين التّديّن واللاتدين، وهذه القضية تشكّل الفرق بيننا وبين الآخرين، وهم الفرق والمذاهب الأخرى، أما بقيّة البحوث فهي بحوث ثانوية وتأتي في المرتبة الثانية، حيث إنَّ أهمّ قضيّة عندنا هي:

هل قال الله -تعالى-: اتبعوا عليّاً أو لم يقل؟

وهل قال النبي -صلى الله عليه وآله-: علي خليفتي من بعدي أو لم يقل؟

هذا هو المحور، أما بقية البحوث، مثل أن هذا يصلي مكتفاً أو يصلي غير مكتف، أو أن يسجد على التربة أو لا يسجد

(١) من شعر الشيخ محمد حسين الأصفهاني الغروي.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١، ص ١٤١.

على التربة، أو أن يطوف في الحج طواف النساء أو لا يطوف، أو يطوف طواف الوداع، فهذه كلها بحوث ثانوية، لكن البحث الأهم والذي يتكفله بوضوح حديث الغدير هو أن النبي -صلى الله عليه وآله- هل قال: علي خليفتي أو لم يقل ذلك؟

نحن نعتقد أن قضية الغدير "لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" (١)، هي قضية واضحة، لا يوجد فيها أي غموض، وقد ذكرت لأحدهم وكان من الأفراد المتشدّدين العنيفين في أحد البلدان: هل تقبل حديث الغدير؟ قال: نعم أقبله، وكان حافظاً أيضاً، وقال: فلان... ذكره في كتابه في الصفحة الفلانية... ثم أخذ يتلو الحديث في صحاحه، فقلت له: إذا قال حاكم البلدة أيّها الناس إنَّني يوشك أن أرحل بينكم وأُدعى فأجيب، ولن تروني بعد ذلك، فمن كنت أنا وليه ففلان وليه، فإذا قال الحاكم هذا الكلام، ماذا يفهم الناس من هذا المنطق، ومن هذا القول؟ هل يفهمون شيئاً آخر غير قضية القيادة والخلافة؟ وقد طال بيننا البحث، فقلت له: ما قلته لك هذا يُحتجّ به عليك يوم القيامة، لا تقول أنا لم اسمع هذا.

القضية الثَّانية: الشَّخص

إنَّ قضية شخصية الحاكم مهمّة أيضاً، فنحن لا يمكننا أن نأتي بحاكم من أي مكان ونسلّم إليه مقاليد الأمور، بل يجب دراسة شخصية هذا الحاكم، ويجب أن تعرف أبعاد شخصيته، فعامل الشخصية مؤثر، وهي مؤثرة في الفكر وفي اتخاذ القرار وفي اتخاذ الموقف وفي التَّوجيه.

عندما يأتيكم خاطب ليخطب كريمتكم، فانتم تدرسون شخصية هذا الخاطب، وتحققون من معارفه ومن أقربائه.

إحدى المحرمات الشَّديدة في الدين هي الغيبة، لكن تسقط حرمتها في هذا المجال، فإذا جاءكم شخصٌ وقال فلان... جاءني خاطباً ابنتي، وأنتم تعرفون عنه عيوباً خفية، فإنَّ كشف العيب الخفي يُعد غيبة محرّمة ومن الكبائر، ولكن في هذا المجال، يكون لا مانع فيه، بل ربما يكون عدمه نوعاً من أنواع الخيانة لماذا؟ لأنَّكم تريدون أن تشكّلوا أسرة صغيرة، أو أنتم تريدون أن تخطبوا فتاة وتريدون أن تعرفوا صفاتها، فلا بأس عندما تستشيرون أحداً، ولا مانع من أن يكشف عيوبها الخفية؛ لأن المرأة إذا كانت ذات شخصية غير سويّة، ستدمر بشخصيتها حياتكم وحياة أولادكم.

وبعيداً عن قضية التعبّد الشرعي، عندما نقارن بين شخصية أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- وشخصية الذين يوضعون في عداده، حتى قال الإمام -عليه السلام- في الخطبة الشقشقية: «حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر»... فالبون شاسعٌ وبعيد جداً.

والحقيقة، إذا كان الدهر منصفاً لما كان يضع هؤلاء في عداد الإمام علي -صلوات الله عليه-، إذن، قضية الكفاءة

(١) سورة ق: ٣٧.

العلمية مهمة جداً، ولا يَقُلِ البعض إنَّ العلم لا دخل له في القيادة، بل إنَّ العلم مؤثر في القيادة، فالقائد الجاهل يكون فاقداً للأفق، والفرد إنَّما يتخذ القرار على ضوء آفاقه المعرفية وهذا واضح، أمّا الفرد الجاهل مثل الحكام الذين حكمونا، حيث يأخذهم الغربيون من المقهى ويضعونهم رؤساء على رقاب الشعب، وبغض النظر عن بقيّة الجهات؛ الجهات الأخلاقية والجهات الدينية والجهات الاجتماعية، فإنَّكم إذا أتيتم بعامل في مقهى أو سافل ومتسكع في الشوارع، وأعطيتم بيده القدرة، فإنَّه لن يتغيّر، بل يبقى رجل الشارع الذي كان يقوم بأعمال (الشقاوة) في المحلة، والفرق هو الآن بيده القدرة الكبيرة.

وقد رأيتم ماذا فعل أولئك الحكام في بلدنا، وكيف دمّروا هذا البلد، وهذه جرائمهم، ولعلّها ستمتد إلى مائة عام، فلا تتصوروا أنَّ الجرائم خاصّة بفترة زمنية معينة.

فهذا حال الحاكم الجاهل، هو يقول: (كل الناس أفقه منك يا فلان... حتى المخدّرات في الحجال) (١)، وقد كتبوا ذلك في كتبهم ولم نكتبها نحن في كتبنا، فيأتي هذا الحاكم الجاهل ويصبح القائد الأعلى ويكون كل شيء بيده.

أو هذا الذي كان البارحة سمساراً لبيع الحيوانات في الأسواق، وهو من قال: (ألهانا الصفق في الأسواق)(٢)!

ولكم أن تضعوا هذا في مقابل من يقول: (سلوني قبل أن تفقدوني)(٣).

الإمام علي -عليه السلام- عالم بكل العلوم

هنالك رواية في نهج البلاغة يشير فيها الإمام -صلوات الله عليه- إلى قضية فيزيائية، وهذه العبارة في الله -سبحانه وتعالى-، يقول الإمام علي -صلوات الله عليه-: (كل بصير غيره ـ يعني غير الله تعالى ـ يعمى عن خفي الألوان) (٤)، فالألوان التي نراها تُعد في علم الفيزياء ويذكرونها ببعض الألوان؛ لأنَّنا لا نرى كل الألوان، لأنَّ رؤيتنا لها متعلقة بطول موجات اللون ووفق طول موجاته، فنحن نرى بعض الألوان ولا نرى بعضها الآخر، وهذا مذكور في علم الفيزياء، فيما الإمام-صلوات الله عليه- يتحدّث في نهج البلاغة عن هذه النّظريّة ويقول: (كل بصير غيره يعمى عن خفي الألوان)، بمعنى هنالك ألوان خفيّة لا نراها ولكن الله يراها، إنَّها حقّاً عبارة لطيفة، فأي بشر أدرك هذا الشّيء؟

في تصنيف نهج البلاغة هذه هي الرّواية الأولى، يقول أمير المؤمنين -صلوات الله عليه-: (لو شئت لجعلت لكم من الماء نوراً وناراً...) (٥)، إنَّ الطاقة الكهربائية والطاقة الحرارية مصنفة في نهج البلاغة، فالإمام علي-عليه السلام- عالمٌ

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٩٧.

(٢) الاحكام: ابن حزم: ج ٢، ص ١٤٣ .

(٣) نهج البلاغة: من كلام له –عليه السلام- في تقسيم الإيمان.

(٤) نهج البلاغة: من خطبة له –عليه السلام- في تنزيه الله- تعالى-.

(٥) تصنيف نهج البلاغة: ص ٧٨٢.

بكل العلوم، وفي مقابله من يخطأ في آية من كتاب الله قال: أصابت امرأة وأخطأ فلان! (١) لأنها وقفت أمامه وحاجّته بكتاب الله.

الحاكم بين الرحمة والعنف المقنع

إنَّ الرحمة من الصّفات الشّخصيّة للحاكم، فالحاكم يجب أن يكون رحيماً، (ولا تكونن سبعاً ضارياً تغتنم أكله)(٢)، فكانت الرحمة عند أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- مقابل الشّدّة والخشونة التي كانت عند الآخرين، فكان العنف والشّدّة عند بعضهم ظاهرة وعند بعضهم الآخر مقنّعة، لقد ظهرت رحمة الإمام -صلوات الله عليه- حتى مع أشقى الآخرين، قارنوا هذه الرحمة بالعنف الظاهر والمقنع الذي كان عند الآخرين.

يوصي الإمام أمير المؤمنين-صلوات الله عليه- ولده بابن ملجم الذي هو أشقى الآخرين ـ هذه الرّواية في البحار ـ ويقول له: (إرفق يا ولدي بأسيرك، ـ أي إنَّ الأسير تحت يديك فارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه، لاحظوا التأكيد ـ وبحقي عليك فأطعمه يا بني مما تأكله واسقه مما تشرب ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً) (٣)..

وفي مقابل هذا تجدون الشّدّة والغلظة في النظائر (٤) .

لاحظوا في التاريخ، ماذا فعل خالد بن الوليد؟ كان يأخذ الأفراد ويرميهم من المرتفعات، وهم ليسوا أعداء الدولة، إنَّما الذين لا يخضعون للدولة، فكان يأخذهم إلى المرتفعات ويقذفهم إلى الأسفل، أو يلقي بهم في الآبار أو يحرقهم بالنار، فقد كان خالد بن الوليد يمثّل العنف المقنع،... .

إذن، العلم، الرحمة، الحكمة، الشّجاعة التي كانت عند أمير المؤمنين -عليه السلام- وجبن الآخرين الذين لم يسجل لهم التاريخ ولا موقفاً واحداً في تاريخهم، لا في بدر ولا في أحُد ولا في الخندق ولا في أيَّة معركة.

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي؟ (٥)

---

(١) تفسير القرطبي: القرطبي: ج٥، ص ٩٩.

(٢) نهج البلاغة: من عهد له -عليه السلام- إلى مالك الأشتر.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١٨، ص ٢٥٦.

(٤) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ١٨٨.

(٥) من شعر منسوب لعمرو بن العاص.

القضية الثّالثة: المنهج والمنهجية

نترك التّعبّد الشّرعي جانباً ونترك الصفات الشخصية جانباً، ونسلط الضوء على المنهج الذي يحكمون به العالم الآن.

هنالك في العالم اليوم قضية مثارة تسمّى (الإرهاب)، وأنتم تلاحظون الآن مظهراً من مظاهر الإرهاب في العراق ـ نسأل الله أن ينجي المؤمنين جميعاً من ذلك ـ فهذا الإرهاب له جذور سياسية، ونحن عندما نلاحظ هذه الظاهرة يجب أن نبحث عن جذورها السياسية.

إنّ الأنظمة العالمية والقوى العظمى هي التي تولد الإرهاب بسياساتها، فالجذور اقتصادية؛ لذا فالأنظمة الحاكمة هي التي تولد الإرهاب وتستأثر بالثروة وتضيق على الأمة فيتولد الإرهاب، وهنالك نقطة ثالثة يجب أن لا تغيب عن بالنا وهي الجذور الاقتصادية إلى جانب الجذور السياسية والجذور الاجتماعية، ولكن هنالك جذر آخر رابع وهو جذر مهم، ألا وهو الجذور الدّينية، فهذا الإرهاب ليس إرهاباً جديداً فمن الذي وطأ سعد بن عبادة في السقيفة بأقدامه وقال أقتلوه قتله الله؟(١).

إنَّ هؤلاء هم أتباع ذاك وأتباع أولئك كيف؟ لمجرد أنّه لم يرضَ بأن يبايع رجلاً، وقال سعد بن عبادة: منّا أمير ومنكم أمير، فمن الذي قتل سعد بن عبادة عندما خرج من المدينة ورفض أن يبايع فمن الذي قتله بسهمين في فؤاده؟ إنَّه هذا الرجل، أليس هذا إرهاباً ومنهجية الإرهاب؟ ومن الذي هجم على دار علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) ومن أحرق البيت بالنار؟(٢) أليس هذا إرهاباً؟ ومن الذي قتل مالك بن نويرة لأنَّه رفض أن يخضع للحكومة القائمة آنذاك؟ حين قال: إنَّ النبي –صلى الله عليه وآله– عيّن أمير المؤمنين –عليه السلام–وأنا لا أدفع زكاتي لكم، فذهبوا وقتله خالد ثم زنى بزوجته وجعل رأسه أثفية للقدر!(٣) أليس هذا إرهاباً؟ فماذا يعني الإرهاب؟ ومن الذي قال هؤلاء الستة ليجلسوا في البيت؟ إذا خالف اثنان واتفق أربعة فاضربوا عنق الإثنين، فأيّة انتخابات هذه؟!! وهل توجد هكذا انتخابات في كل الدنيا؟

وكذلك الحال مع صلاح الدين الأيوبي الذي طالما يمجدون به، وهو البنيان الذي بُني على تلك القاعدة وهي قاعدة المناوئين لعلي –صلوات الله عليه–، فقد هاجم صلاح الدين الأيوبي بلدة واحدة وكان في تلك البلدة خمسون ألف إنسان فأحرقهم جميعاً بالنار، شيوخاً وأطفالاً، كباراً وصغاراً، وإذا جاء الآن شخص ويحرق بيتاً فيه حفلة زواج، أو يفجّر سيارة مفخخة ويقتل ـ مثلاً ـ عشرة أشخاص، فإنّه لم يفعل شيئاً جديداً، فهذا من ذاك المنهج، لماذا

---

(١) راجع: بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٣٣٦.

(٢) راجع كتاب الانتصار للحر العاملي: ج٦، ص٤٣٧.

(٣) راجع كتاب السلفية بين أهل السنة والإمامية: ص ٦٩٧.

تنكرون على هؤلاء؟ فهؤلاء أتباع أولئك، فإذا كان عندكم إنكار أنكروا على أولئك الماضين، بايع وإلا ضربنا عنقك...! فإذا يُقال لعلي بن أبي طالب -صلوات الله عليه-: بايع وإلاّ ضربنا عنقك فماذا يُقال للآخرين؟

منهج الحرية في مقابل منهج القمع

أما الإمام علي -عليه السلام- لم يُكرِه أحداً على بيعته، فأي شخص رغب في المبايعة بايع، ومن لم يحب لم يبايع، فالقضية ليست فقط في قضية علي -عليه السلام- ومعاوية وإنَّما هي قضية منهجين، ونحن سنظل إلى ظهور الإمام المهدي -عجل الله تعالى فرجه- نعاني نتائج المنهج الآخر، وهو منهج باق، فقد قال الإمام -عليه السلام-: لا تُكرهوا أحداً على البيعة. فأرادوا أن يصلوا صلاة التراويح التي هي بدعة واحتج عليهم أمير المؤمنين -عليه السلام- ولم يقبلوا بها، فقال لابنه الحسن -صلوات الله عليه-: اتركهم فلا إكراه، وهذه مفردة من مفردات المنهج الذي يحتاجه العالم اليوم.

إنَّ مال الأمة للأمة، فهل ثمّة دولة في العالم تقول: إنَّ مال الأمة للأمة؟! أو نفط الأمة للأمة؟! والحقيقة إذا كانوا يعطون النفط للأمة الآن، هل كان يبقى فقير؟ إذا كان المنهج الذي يساوي بين جميع الناس ويقول: (لو كان المال مالي لساويت بينهم فكيف والمال مالهم) (١)، قائم الآن، وتُعطى الثروة النفطية لكل الأمة، فكم كان يحصل كل شخص؟ وهكذا...

الرفاه والرغد في حكومة أمير المؤمنين -عليه السلام-

ننقل لكم روايتين:

الرواية الأولى عن أمير المؤمنين -صلوات الله عليه-: (لو أنَّ الأمة منذ قبض الله نبيه اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم رغداً إلى يوم القيامة)(٢)، والرغد بمعنى الطيب الهنيء، فمتى يكون الأكل طيباً وهنيئاً؟ عندما يكون النظام الاقتصادي وكذلك النظام السياسي صحيحاً، فلا تكون هنالك مشكلة، وفي غير ذلك لا يكون الأكل رغداً إلى يوم القيامة، فهؤلاء أفسدوا المنهج إلى ظهور الإمام المهدي -عجل الله تعالى فرجه-.

الرواية الثانية: ينقلها أحمد بن حنبل إمام الحنابلة في كتابه فضائل الصحابة، ينقل عن أمير المؤمنين -صلوات الله عليه-، وهذه نتيجة ذلك المنهج، يقول: (ما أصبح أحد بالكوفة إلا ناعماً) (٣)، أي منعمًا، والظاهر إنَّ كلمة (ناعمًا) في الاقتصاد الحديث مرادفة لكلمة (الرفاه)، وهذا من بحوث الاقتصاد، وهنالك كتب حول الرفاه، في عاصمة الإمام أمير

---

(١) راجع: نهج البلاغة: من كلام له -عليه السلام- في التسوية في العطاء.

(٢) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي: ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) فضائل الصحابة: الرقم ٨٥٢.

المؤمنين –عليه السلام– الذي كان فيها ظاهراً أربع ملايين نسمة لم يكن هنالك إنسان في الكوفة إلاّ ناعماً، وأما في البلاد الإسلامية كلها والتي كانت أكبر وأقوى دولة في العالم، فلعل هنالك فقير في الأطراف البعيدة، وهذه نتيجة هذا المنهج.

من هنا ينبغي لنا أن ننشر ثقافة الغدير بمختلف الأشكال، والحقيقة إنَّ العالم والناس لا يعرفون ثقافة الغدير، لاحظوا كتاب (المتحولون)(١)، هنالك بعض الأفراد عرفوا ثقافة الغدير فتحوّلوا، وبإمكان كل واحد منّا أن يكون له دور في نشر هذه الثقافة.

ينقل أحد العلماء هذه القضية ويقول: شاب من إحدى البلاد التي ليس فيها موالون لأهل البيت –صلوات الله عليه– إلا قليل، فكان هذا الشاب يأتي عندي ويسألني بعض الأسئلة، وأنا كنت أظنه من الخط الآخر، وفي يوم من الأيام سألته في مناسبة، ما هو مذهبك؟ فقال أنا من أتباع أهل البيت –عليهم السلام– ، فقلت له: كيف وأنت لست من عائلة موالية لأهل البيت؟ فقال: كلا، إنَّ كل عائلتي من الخط الآخر، ولكني أنا لي قضية وهذه القضية، أنّي كنت في إحدى البلاد الأجنبية أدرّس في الجامعة وكان معنا صديق، وفي يوم من الأيام ذهبت إلى بيت هذا الصّديق، وجلست في غرفته، فيما هو ذهب ليحضر أقداح الشاي ـ مثلاً ـ أو ما أشبه فرأيت عنده مكتبة ولاحظت في المكتبة دورة من الكتب تحمل عنوان (الغدير)، قلت لأرى هذا الكتاب فأخذت هذا الكتاب، ورأيت أنّه يبحث عن قضيّة مجهولة عندي، وعندما جاء صديقنا قلت له: هل أنت شيعي؟ قال: نعم، قلت له: ولماذا لا تظهر لنا ذلك؟ فلم يقل شيئاً، فقلت: هل تسمح أن آخذ هذا المجلد الأول من كتاب (الغدير) لأطالعه؟ وكان هذا الشاب في البلد الأجنبي قد جلب معه دورة (الغدير)، يقول أخذت المجلد الأول وفوجئت بمعلومات عجيبة لم أكن أعرفها من قبل، ثم أخذت المجلد الثاني ثم الثالث إلى أحد عشر مجلداً كاملة، فرأيت أن هذا هو الحق، ومنذ ذلك الوقت انتميت إلى مذهب أهل البيت –عليهم السلام–.

الحياة دائماً في حالة تجدد

لاحظوا أنتم في أي بُعد من الأبعاد وأي شخص يأتي كان يظن أنَّ القضية انتهت، فجاء وطرح جديداً وهذا الجديد فرض ذاته، الشيخ الأعظم (٢) –رحمة الله عليه– كان فارضاً نفسه على الحوزات العلمية، وإذا طالب أفغاني وفقير لا يملك مالاً حتى لينتقل من طهران إلى العراق وإلى النجف الأشرف(٣)، وإذا به يأتي ويطرح جديداً وهو كتاب (الكفاية) وإذا به يشق موقعه في الحوزات العلمية، والآن (الكفاية) هو قبل بحث الخارج، فما انتهت القضية عند فرائد الشيخ (الكفاية)، حتى جاء وفتحت طريقها، لكن هل انتهت هذه بالكفاية؟ وهل الكفاية هي الكفاية؟! كلا، جاء طالب إلى النجف ولم يكن

(١) تأليف الشيخ هشام آل قطيط الذي استبصر باعتناقه مذهب أهل البيت-عليهم السلام-.

(٢) الشيخ الأعظم مرتضى بن الشيخ محمد أمين الأنصاري (١٢١٤ ـ ١٢٨١ هـ).

(٣) وهو الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني صاحب كتاب كفاية الأصول.

يعرفه الكثيرون، بل كان يهاجمه الكثيرون بأشياء، فمرة كان يشكو هو لبعض الذين نعرفهم فقال يأخذون عليّ ثلاثة نقاط، ولا عليّ بالنقاط، فهي نقاط هامشية، كتب أصول المظفر(١)، وإذا به فتح مجاله في الحوزات العلمية، وفيما مضى لم تكن (المراجعات)، وقد ظنّ الناس أنَّ القضية انتهت عند هذا الحد، لكن جاء شاب له همّة وطرح كتاب (المراجعات) ففتح له هذا الأفق الكبير، وهل انتهت القضية عند المراجعات؟ كلا، بل جاء شخص آخر وألّف (الغدير) وجاء آخر و ألّف الكتاب الكذائي... وهذا يدل على أنَّ لا وجود لحدّ معين، فأنتم تظنون في علم الأصول انتهت القضية، فهذه هي النّهاية، كلّا، هذه ليست النّهاية، أو في علم الفقه هذا هو الخط الأخير! كلا، لا يوجد خط أخير في علم العقائد، ولا يوجد كتاب أخير.

إنَّ الحياة دائماً في حالة تجدّد ودائماً تحتاج إلى كتاب جديد مع أنَّ القديم يحفظ موقعه فلعلّ الكتاب الذي ألفتموه أنتم في الغدير فتح له آفاقاً واهتدى به الملايين.

ونحن يجب علينا أن نحاول أن نعمم ثقافة الغدير بالقلم والبيان والقدم والمال وكل ما في إمكاننا حتى نكون ممن يشملهم دعاء النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- حين قال في يوم الغدير: (اللهم انصر من نصره)، وفي تلك القضية المعروفة قال له الإمام -عليه السلام-: (وأنت نصرتنا فنصرناك) (٢)، وأن لا يشملنا هذا الدعاء: (واخذل من خذله).

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) وهو الشيخ محمد حسن بن محمد المظفر، صاحب كتاب أصول الفقه.

(٢) راجع كتاب بحار الأنوار:ج٥٢،ص٧٥.

وقعة الحرّة مأساة في حرم الرسول -صلى الله عليه وآله-

حيدر فائق الهنداوي

قدم رسول الله – صلى الله عليه وآله- إلى المدينة مهاجراً في الثاني عشر من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس، ونزل بـ«قبا» وقال – صلى الله عليه وآله- «اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة وأشدّ وبارك في ضياعها ومدها» (١). وروي عن الإمام علي -عليه السلام- في خطبة له أنّه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله- «المدينة حرم.. فمن أحدث فيه حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» (٢).

الحَرّة: بفتح الحاء وتشديد الراء بمعنى الأرض ذات الحجارة السود النخرات كأنّها أحرقت بالنار، والحرة من الأراضي الصلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة كأنها مطرت والجمع حرّات وحرار(٣)، وتسمية وقعة الحرة تعود إلى المجزرة التاريخية التي ارتكبها يزيد بن معاوية في تلك البقعة من المدينة المنورة، حيث إنّها تقع بظاهر المدينة، وقد جرت أحداث هذه الواقعة في ذي الحجة من سنة ثلاث وستين(٤)، وهي من الوقائع الشهيرة التي حدثت في عهد يزيد بن معاوية، حين أدرك معاوية أنّه هالك وميت لا محالة، وأنّ أهل المدينة سيتمردون ويثورون على ابنه وخليفته من بعده يزيد بن معاوية، ومساعدة لابنه، واستمرارًا لمخططه الرّامي إلى تفريغ الأرض من المؤمنين الصادقين أوصى معاوية ابنه يزيد، قائلاً: « إن رابك منهم ريب، أو انتقض عليك منهم أحد، فعليك بأعور بني مرة، مسلم بن عقبة »(٥). ولما ثار أهل المدينة بعد موت معاوية دعاه يزيد، وكان مسلم مريضاً، منهوكاً، فعرض عليه قيادة الجيش بناء على وصية أبيه ولما رأى حاله قال له يزيد: « إن شئت أعفيتك»، فجن جنون المجرم وقال ليزيد « نشدتك الله أن لا تحرمني أجرًا ساقه الله إلي» ، ففي سنة ٦٣ هـ طلب يزيد بن معاوية من أمير جيشه مسلم بن عقبة المُرِّي، أن يزحف نحو المدينة ويأخذ منهم البيعة لأنَّهم تمرّدوا بعد واقعة الطّف، فقدم المدينة ونزل حرة واقم (إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية، والمدينة

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٤، ص ٣٤٨.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٩٦، ص ٣٧٨.
(٣) لسان العرب، ابن منظور ج ٣، ص ١١٦.
(٤) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد تحقيق حسن تميم ج ٣ ص ٥٩٥.
(٥) لسان العرب، ص ١١٧.

تقع بين حرتين)، وقد رفض أهل المدينة مبايعة يزيد وخرجوا لمحاربته،
فكَسَرهم في تلك المعركة التي قيل أن عدد القتلى كان سبعمائة من وجوه المهاجرين والأنصار
ووجوه الموالي، وممن لا أعرف من حر أو عبد وغيرهم عشرة آلاف[١]، وكان القتلى من الأنصار والمهاجرين من الصحابة والتابعين، من قريش وغيرهم، كذلك من العلويين وغيرهم، ودخل الجُند المدينة وأباحوها لهم، فنهبوا الأموال وسبوا النساء واستباحوا الفروج، ويقال « ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج» [٢]. وقال السّيوطي: " وكانت وقعة الحرة بباب طيبة قتل فيها خلق كثير من الصحابة ونهبت المدينة، وافتض فيها ألف بكر " [٣]، ودفنت مجموعة كبيرة من شهداء الحرّة في البقيع بجوار شهداء أحد، وقد ذكر هذه الحادثة كل المؤرخين وأجمعوا على انَّ أهل الشام قتلوا في هذه الواقعة جمعاً كبيراً من الصحابة ومن أبناء المهاجرين والأنصار واستباحوا المدينة المنوّرة ثلاثة أيام بإيعاز من يزيد بن معاوية[٤].

هذه بعض أفعال مسلم بن عقبة الذي ادّخره معاوية لذلك اليوم وأوصى ابنه يزيد بأن يسلّمه قيادة الجيش! وهذه أفعال جيش « الإسلام» الذي بناه معاوية، فهل يعقل أن يتصرّف تافه مثل مسلم بن عقبة هذه التّصرّفات التي لم يعرف بشاعتها التاريخ دون علم ومباركة سيده ومولاه وصفيه!.

وبعد أن نفّذ صفي معاوية وموضع ثقته مسلم بن عقبة وجيشه البطل أوامر الملك، ونفّذوا المذبحة الرهيبة في مدينة رسول الله –صلى الله عليه وآله –، أمر مسلم بن عقبة القلة الذّليلة من أهل المدينة التي نجت من المذبحة بأن تبايع لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، وقال الطبري وغيره: « فدعا الناس للبيعة على أنّهم خول ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم ما شاء » [٥]. وقال المسعودي: " وبايع من بقي من أهل المدينة على أنهّم قن ليزيد" [٦]، كذلك قال الدينوري: " فلمّا كان اليوم الرابع جلس مسلم بن عقبة، فدعاهم للبيعة، فكان أوّل من أتاه يزيد بن عبد الله وجدّته أم سلمة زوج النبي، فقال له مسلم: بايعني، قال: أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه، فقال مسلم: بل بايع على إنّك فئ لأمير المؤمنين يفعل في أموالكم وذراريكم ما يشاء، فأبى أن يبايع على ذلك، فضربت عنقه" [٧].

---

(١) تاريخ ابن كثر: ج ٨/ ص ٢٢.
(٢) المصدر نفسه ج ٦/ ص ٢٣٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) تذكرة الخواص لسبط بن الجوي / ٢٥٩ـ ٢٦٠
(٥) راجع التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٦٣، ومروج الذهب ج ٣ ص ٦٨ – ٦٩.
(٦) راجع تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٣.
(٧) التنبيه والإشراف ص ٢٦٤، ومروج الذهب ج ٣ ص ٧١ للمسعودي. – تاريخ الطبري ج ٧ ص ١١ – ١٢.

أمّا أسباب حدوث المجزرة فيعود إلى عوامل عدّة أبرزها :

أوّلاً: عندما ولّى يزيد عثمان بن أبي سفيان المدينة، فأتاه ابن مينا، عامل صوافي معاوية، فأعلمه أنَّه أراد حمل ما كان يحمله في كلِّ سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر، وأنَّ أهل المدينة منعوه من ذلك، فأرسل عثمان إلى جماعة منهم، فكلَّمهم بكلام غليظ، فوثبوا به وبمن كان معه في المدينة من بني أمية وأخرجوهم من المدينة واتَّبعوهم يرجمونهم بالحجارة [١]، واعتبر ذلك عصياناً وتمرّداً من أهل المدينة على حكم يزيد ولا بدّ له من عقاب.

ثانياً: انتشر في المدينة أنَّ يزيد بن معاوية يشرب الخمر ويترك الصلاة وذلك بعد زيارة قام بها أشراف المدينة إلى دار الخلافة في الشام، وعاينوا عبث وفساد يزيد عن قرب، عندها اجتمعوا على خلعه، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الموت. [٢]

ثالثاً: إنَّ ابن جرير الطبري في تاريخه لم يذكر أسباباً للواقعة واكتفى ببيان إخراج أهل المدينة لوالي يزيد عليها ثم ذكر ما هو قريب من كتاب تجارب الأمم، وقد نقل بالنّص الرسالة من الحاضرين إلى يزيد حيث جاء فيها: أما بعد فقد حُصرنا في دار مروان بن الحكم ومَنَعَنا العذاب ورُمينا بالحبوب فيا غوثاه يا غوثاه، وقال حبيب بن كرة فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي واضع قدميه في ماء طست من وجع كان يجده فيهما ويقال كان به النقرس.[٣]

وهنا يمكن القول أنّ ما ذكر ربما هو ذرائع لما أراد أن يقوم به يزيد من عمل ضدّ المدينة المنوّرة، وأما السّبب الرئيس فإنّه أبعد من ذلك بكثير إذ إنّه لطالما لم يعتقد بنبوّة النبي محمد – صلى الله عليه وآله– كأبيه وجدّه، والذي يؤمن به أنّه الملك الذي لعبت به بنو هاشم فلا قرآن ولا وحي نزل، مضافاً إلى أنَّه يريد أن يثأر لأشياخه الذين قتلهم النبي – صلى الله عليه وآله– في معركة بدر، وقد حان الوقت ليستفرغ سم حقده بعد القضاء على الحامي والوالي في كربلاء، وقد ظهر ذلك على فلتات لسانه ولسان أبيه حينما كانا يعبّران دوماً عن المدينة بالخبيثة والنتنة مقابل تسميتها من قبل الرسول – صلى الله عليه وآله– بالطيبة[٤]، فالحرب ظاهراً ضد أهل المدينة وأمّا باطناً فكانت ضد النبي والنبوة.

وهنا نأتي الى وقائع تلك الحادثة والتي يقال أن مسلم بن عقبة وهو من أصفياء معاوية، وموضع ثقته، وهو من أعظم المجرمين الذين اصطفاهم معاوية لنفسه، وأعدّهم للعظيم من أموره، قد جهَّز جيشاً كبيراً وإن اختلف

---

(١) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ٢، ص ١٦٤.
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨، ص ٢٣٦.
(٣) تاريخ الطبري، الطبري، ج ٤، ص ٣٧٠.
(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٣.

في عدده، ففي تاريخ اليعقوبي كان قوامه خمسة آلاف رجل [١]، وفي تجارب الأمم يقال: فانتدب له اثني عشر ألف رجل[٢]، و وافقه الطبري في تاريخه [٣]، وإنّهم وإن اختلفوا في عدد الجيش وقوامه إلا أنّهم قد اتفقت كلمتهم على أنَّ قائد الجيش هو مسلم مسرف بن عقبة، ومسلم بن عقبة المرّي قد أطلق عليه لقب مسرف ومجرم بن عقبة نتيجة ما حصل في وقعة الحرة [٤]، وكان شيخاً كبيراً مريضاً، وقد تم انتدابه تنفيذاً لوصية معاوية لابنه يزيد حيث أوصاه بقوله «إذا أرابك من أهل المدينة ريب، فارمهم بمسلم بن عقبة» [٥]، وزاد ابن تيميّة قوله: «أو انتقض عليك منهم أحد، فعليك بأعور بني مسّرة، فاستشره»، ويعني مسلم بن عقبة، فلمّا كانت تلك الليلة قال يزيد «أين مسلم بن عقبة ؟ فقام فقال: ها أنا ذا، قال يزيد: هيئ ثلاثين ألفاً من الخيل[٦]، وقد أوصاه إذا ظفر بهم أن ينهب المدينة ثلاثة أيام، وقال له: «إن حدث بك حدث فاستخلف على الجيش الحصين بن نمير السكوني»[٧].

وقبل خروجه إلى المدينة مرض مسلم فأدنف حتى دخل عليه يزيد يعوده، وقال له: «قد كنت وجَّهتك لهذا البعث وكان معاوية أوصاني فيك وأراك مدنفاً ليس فيك سفر، فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله إليّ، إنَّما أنا امرؤ ليس بي بأس، قال: فلم يطق من الوجع أن يركب بعيراً ولا دابة، فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم وساروا به حتى حاجزة فنزلوا بها، فأرسل إلى أهل المدينة يعظهم ويعدهم بإرجاع العطاءات التي أخذها عمرو بن سعيد منهم واشترى بها عبيداً لنفسه، فأجابوه: نخلع يزيد كما نخلع عمائمنا ونخلع نعالنا» [٨].

وأمَّا عن التّخطيط للمجزرة حيث التقى مسلم بعبد الملك بن مروان واستخبر منه حال الناس وقال له «كيف ترى؟ قال له عبد الملك: أرى أن تسير بمن معك، فتركب هذا الطريق إلى المدينة، حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخل بها نزلت فاستظل الناس بظله، وأكلوا من صفوه، حتى إذا كان الليل، أذكيت الحرس الليل كله، حتى إذا أصبحت وصلّيت الصبح مضيت بهم، وتركت المدينة ذات اليسار ثم أدرت المدينة حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً، ثم تستقبل القوم، فإذا استقبلتهم أشرقت الشّمس عليهم وطلعت من أكتاف أصحابك، فلا تؤذيهم وتقع في وجوههم فتؤذيهم ويرون ما دمتم مشرقين لم يتلاق بيضكم وحرابكم وألسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم، وسواعدكم ما لا ترونه أنتم لشيء من سلاحهم ما داموا مغّربين، ثم قاتلهم واستعن الله عليهم، فقال له مسلم: لله أبوك، أي امرئ ولد إذ ولدك؟

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٦٥.
(٢) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج٢، ص٧٧.
(٣) تاريخ الطبري، ج٤، ص ٣٧١.
(٤) تجارب الأمم، ج٢، ص٧٧.
(٥) تاريخ الطبري، ج٤، ص ٣٧٢.
(٦) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج٢، ص١٤.
(٧) تجارب الأمم، ج ٢، ص ٧٧.
(٨) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج ٢، ص ١٣.

لقد رأى بك خلفا»[1]، وقد عمل برأي عبد الملك، وعندما بلغ أهل المدينة مجيء مسلم بن عقبة وثبوا على دار مروان وحصروهم وقالوا والله لا نكشف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلوا لنا على عورة ولا تظاهروا علينا عدواً فنكف عنكم ونخرجكم عنّا، فأعطوهم عهد الله وميثاقه على ذلكم، فأخرجوهم من المدينة بأثقالهم حتى لقوا مسلماً»[2].

ولما وصل جيش يزيد بقيادة مسلم بن عقبة إلى الحرة قال «يا أهل المدينة إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل وإنّي أكره إراقة دمائكم وإنّي أوجلكم ثلاثاً فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم، وإن أبيتم كنّا قد أعذرنا إليكم، ولما مضت الثلاثة أيام قال: يا أهل المدينة قد مضت الأيام الثلاثة فما تصنعون أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب؛ واتخذوا خندقاً في جانب المدينة ونزله جمع منهم عظيم وعلى رأسهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، ثم دارت المعركة بين مسلم وأهل المدينة واقتتلوا أشدّ القتال ثم انهزم أهل المدينة وسيطر مسلم عليها»[3]

إن حصيلة ما جرى في تلك المعركة من القتل والسّلب حيث أباح مسلم المدينة لجيشه ثلاثة أيام يقتلون الناس ويأخذون أموالهم [4]، ونقل عن ابن قتيبة أنه بلغ عدد قتلى الحرة من المهاجرين والأنصار والوجهاء ألفاً وسبع مئة ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى الصبيان والنّساء [5]، وقد استبيحت النّساء، حيث نقل في الإمامة والسّياسة عن معجم البلدان، أنّه قد استبيحت الفروج وحملت منهم ثمان مئة حرة وولدن وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة[6]، وبعد مضي الثلاث انتقل مسلم إلى قصر بني عامر بـ «دومة» فدعا أهل المدينة من بقي منهم للبيعة ولكن بأسلوب جديد وبدعة جديدة، أي البيعة على أنّهم خول وأرقاء وعبيد ليزيد وإلا فليس أمامهم إلا القتل.

وبعد أن فرغ هذا المجرم من استباحة المدينة وهتك حرمها، قرّر التّوجّه إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن استخلف على المدينة المجروحة روح بن زنباع، فلمّا كان في بعض الطريق هلك وكان ذلك آخر المحرم سنة أربعة وستين، وبناء على ما ذكر من أنّه دخل المدينة في آخر ذي الحجة فيعني ذلك أنّه بين ما اقترفت يداه وموته أقل من شهر، ولم تمضِ فترة قليلة حتى قتل يزيد في العام نفسه أيضاً، وهذا جزاء من يهتك حرم الله ورسوله، وذكر اليعقوبي أنّه لما بلغ بثَنْيه عقبة «المشلَل «احتضر واستخلف على الجيش الحصين وقال حين الاحتضار «اللهم إن عذبتني بعد

(١) تجارب الأمم، ج ٢، ص ٧٧.
(٢) الطبري، ج ٤، ص ٣٧٤.
(٣) م.ن، ج ٤، ص ٣٧٧.
(٤) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٨٤.
(٥) معجم البلدان، الحموي، ج ٢، ص ٢٤٩.
(٦) الغارات، إبراهيم بن محمّد الثقفي ج ٢٢، ص ١٥.

طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرة فإنّي إذاً لشقي»،
ثم خرجت نفسه ودفن فيها، وجاءت أم ولد يزيد بن عبد الله بن زمعة فنبشته وصلبته على المشلل وجاء الناس فرجموه وبلغ ذلك الحصين بن نمير فرجع فدفنه وقتل جماعة من أهل ذلك الموضع وقيل لم يدع منهم أحداً[1].

وقد كتب مسلم بن عقبة بعد مذبحة الحرة رسالة إلى " أمير المؤمنين يزيد بن معاوية " جاء فيها: " فما صليت الظهر إلا في مسجدهم بعد القتل الذّريع، والانتهاب العظيم، وأوقعنا بهم السيوف، وقتلنا من أشرف لنا منهم، واتبعنا مدبرهم، وأجهزنا على جريحهم وانتهبناها ثلاثة كما قال أمير المؤمنين "[2].

وحتى نوثق ما ذكرناه ننقل بعض ما نص عليه المؤرخون في شأن هذه الواقعة:

النّص الأوّل: ما ذكره ابن الاثير في الكامل، قال« كان أول وقعة الحرة ما تقدم من خلع يزيد... فبعث الى مسلم بن عقبة المرّي وهو الذي سمي مسرفاً وهو شيخ كبير مريض فاخبره الخبر، أمر مسلماً بالمسير إليهم، فنادى في الناس بالتجهز الى الحجاز وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار، فانتدب لذلك اثنا عشر ألفاً، وخرج يزيد يعرضهم وهو متقلّد سيفاً، وسار الجيش وعليهم مسلم، فقال له يزيد: ادع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، فكلُّ ما فيها من مال أو دابَّة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاثة فكفف عن الناس، وقال: – مسلم بن عقبة – يا أهل الشام قاتلوا، وانهزم الناس، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، فافزع ذلك من بها من الصحابة، ودعا مسلم الناس الى البيعة ليزيد على أنّهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء فمن امتنع قتله، وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاثة وستين »[3].

النّص الثاني: ما ذكره اليعقوبي، قال « فلمّا انتهى الخبر الى يزيد بن معاوية وجّه مسلم بن عقبة فاقدمه من فلسطين وهو مريض – ثم قصّ عليه القصّة، فقال يا أمير المؤمنين وجهني إليهم، فو الله لأدعنَّ أسفلها أعلاها يعني مدينة الرسول –صلى الله عليه وآله –، فوجهه الى المدينة فأوقع بأهلها وقعة الحرة، فلم يبقَ بها كثير أحد إلا قتل، وأباح حرم رسول الله –صلى الله عليه وآله– حتى ولدت الأبكار لا يُعرف من أولدهن ثم أخذ الناس ان يبايعوا على انهم عبيد يزيد بن معاوية، فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال بايع آية إنّك عبد قِنٌ ليزيد، فيقول: لا، فيضرب عنقه »[4].

النّص الثّالث: ما ذكره ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، قال « فلمّا أجمع رأي يزيد على إرسال الجيوش... فدعا مسلم بن عقبة، فقال له: سر الى هذه المدينة بهذه الجيوش، فإن صدّوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثاً، فقال مسلم بن عقبة، لست بآخذ من كل ما عهدت إلا بحرفين، أقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصي

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٨٠.
(٢) راجع الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٦٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٣٥٧.
(٣) البداية والنهاية ج٨/ ٢٣٨
(٤) تاريخ الطبري ج٤ / ٣٧٢، أنساب الاشراف للبلاذري القسم الرابع ج٣٢٣/١.

فقال يزيد: فإذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك
الحرب فالسيف السيف أجهز على جريحهم وأقبل على مدبرهم وإياك ان تُبقي عليهم،
فمضت الجيوش، وجعل مسلم يقول: من جاء برأس رجل فله كذا وكذا، وجعل يُغري قوماً لادين لهم،
فما تركوا في المنازل من أثاث ولا حُلي ولا فراش إلا نقض صوفه حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها »[1].

النّص الرابع: ما ذكره ابن قتيبة، قال« إنّه قتل يوم الحرة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله- ثمانين رجلاً ولم يبقَ بدري بعد ذلك ومن قريش والأنصار سبع مئة ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف»[2].

النّص الخامس: ما ذكره جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء، قال« وفي سنة ثلاث وستين بلغه أنَّ أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه، فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم ثم المسير الى مكة لقتال ابن الزبير، فجاءوا وكانت وقعة الحرة على باب طيبة، وما أدراك ما وقعة الحرة ؟ ذكرها الحسن مرةً فقال: والله ما كادَ ينجو منهم أحد، قتل فيها خلق من الصحابة -رضي الله عنهم- ومن غيرهم، ونهبت المدينة، وافتضَّ فيها ألف عذْراء، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون; قال - صلى الله عليه وآله - « من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» رواه مسلم [3].

النّص السّادس: ما ذكره ابن قتيبة، قال « إنَّ مسلماً لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها كتب الى يزيد سلام عليك يا أمير المؤمنين، فما صلّيت الظهر إلا في مسجدهم بعد القتل الذريع والانهاب العظيم، وأتبعنا مدبرهم وأجهزنا على جريحهم وانهبناهم ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين أعز الله نصره »[4].

النّص السّابع: ما نقله سبط بن الجوزي عن المدايني في كتاب الحرة عن الزهري قال « كان القتلى يوم الحرة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأما من لم يُعرف من عبد أو حر أو امرأة فعشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء الى قبر رسول الله - صلى الله عليه وآله - وامتلأت الروضة والمسجد، قال مجاهد: التجأ الناس الى حجرة رسول الله ومنبره والسيف يعمل فيهم، وذكر المدايني عن أبي قرة قال: قال هشام بن حسان: ولدت الف امرأة بعد الحرة من غير زوج وغير المدايني يقول عشرة آلاف امرأة »[5].

وروي عن الزهري أنّه قال: قال الدينوري والذهبي: قال رأيت أبا سعيد الخدري ولحيته بيضاء، وقد خف

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ / ٢٥٠ـ٢٥١،
(٢) الامامة والسياسة ج١ / ٢٠٩ الى ٢١٣، كنز الدرر لابي بكر الدواداري ج٤/ ١١٤.
(٣) الامامة والسياسة ج١ / ٢١٦
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي / ٢٠٩
(٥) الأمامة والسياسة ج١ / ٢١٨.

جانباها، وبقي وسطها فقلت: يا أبا سعيد مال لحيتك؟ فقال: « هذا فعل ظلمة أهل الشام يوم الحرة، دخلوا علي بيتي، فانتهبوا ما فيه حتى أخذوا قدحي الذي كنت أشرب فيها الماء، ثم خرجوا ودخل علي بعدهم عشرة نفر وأنا قائم أصلي، فطلبوا البيت فلم يجدوا فيه شيئًا، فأسفوا لذلك، فاحتملوني من مصلّاي، وضربوا بي الأرض، وأقبل كل رجل منهم على ما يليه من لحيتي فنتفه، فما ترى منها خفيفا فهو موضع النتف وما تراه عافيا فهو ما وقع في التراب فلم يصلوا إليه، وسأدعها كما ترى حتى أوافي ربي »[1] .

هذه بعض النّصوص التي ذكرها المؤرخون في شأن واقعة الحرة، ولولا خوف الإطالة لذكرنا الكثير من العظائم التي ارتكبت في تلك الواقعة، ونلاحظ انَّ ذلك كان بأمر يزيد بن معاوية، فهو الذي أمر مسلم بن عقبة بإباحة المدينة المنورة ثلاثة أيام، وهو الذي أمر بالإجهاز على الجريح ومتابعة المدبر، ومن كانت هذه جرأته على هتك حرمات الله جل وعلا كيف يُنتظر منه التحرُّج من قتل الإمام الحسين بن علي -عليه السلام- .

(١) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٩ وراجع تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٠٢.

عظمة عيد الغدير

السيد أحمد الحسيني

لقد أنزل الله -تعالى- في يوم الغدير: (اليَوْمَ أكمَلتُ لَكُمْ دينكُمْ وَأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً)(١).

وقال رسولُ الله -صلى الله عليه وآله- عن هذا اليوم: "وهو اليومُ الذي أكملَ اللهُ فيه الدينَ وأتمَّ علَى أمّتِي فيه النعمةَ ورَضِي لهُم الإسلامَ ديناً..."(٢).

وهذا معناه أنّه بإعلان ولاية أمير المؤمنين عليّ -سلام الله عليه- كفريضة من الله -تعالى- على المسلمين، يكون قد كمُل الإسلام، وبه تمّت نِعَمُه -تعالى- على الخلق. ومنه يمكن أن نستخلص أنّ الغدير:

أوّلاً: آخر الفرائض

روي عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر -سلام الله عليه- أنّه قال: آخِرُ فريضةٍ أنزلها اللهُ الولايةَ (اليَومَ أكمَلتُ لَكُمْ دينكُمْ وَأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً) فلم يَنزِلْ من الفرائضِ شيءٌ بعدها حتَّى قَبَضَ اللهُ رسولَهُ -صلى الله عليه وآله-(٣).

لقد أوحى الله -عزّوجلّ- بالأحكام والواجبات الواحدة تلو الأخرى حتى ختمها بالولاية، فأنزل هذه الآية (اليَوْمَ أكمَلتُ...) ليعلن أن لا فريضة بعدها. فبعد نزولها وتنصيب أمير المؤمنين -سلام الله عليه- خليفةً لرسول الله -صلى الله عليه وآله- أدرك الناسُ مرادَ الله -تعالى- من الآية الكريمة: (أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)(٤) وعلموا أنّ عليهم بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله- أن يطيعوا أمير المؤمنين -سلام الله عليه-. فكانت فريضة الولاية آخر فريضة أنزلها الله -تعالى- على نبيّه -صلى الله عليه وآله-.

---

(١) سورة المائدة: ٣.
(٢) أمالي الصدوق: ص١٢٥.
(٣) تفسير العيّاشي: ج١ ص٢٩٢.
(٤) سورة النساء: ٥٩.

ثانياً: تمام النعم

ممّا يثير الانتباه في هذه الآية الكريمة أنّ الله -تعالى- قد ربط إتمام نعمته على الخلق بموضوع الولاية، أي كما أنّ كمال الدين يتحقّق بالولاية لمحمد وآل محمد -عليهم الصلاة والسلام- كذلك فإنّ بها تمام النعمة على المسلمين.

والمقصود بالنعمة ـ في الآية ـ جميع النعم، ظاهرها وباطنها، كالعدل والمساواة والاتّحاد والأخوّة والعلم والأخلاق والطمأنينة النفسية والروحية والحرّية، وبعبارة موجزة جميع أنواع العطايا.

لذا، فقول أولئك الذين سعوا إلى تفسير النعمة في الآية بالشريعة وبالنعم المعنوية فحسب، محلّ تأمّل ونظر، لأنّ الآية المذكورة لم تتطرّق لمسألة أصل النعمة، بل سياقها يدور حول إتمام النعمة، أي جمع أنواع النعم، فأينما ورد ذكر إتمام النعمة في القرآن الكريم كان المراد منها كلّ النعم التي يصيبها الإنسان في الدنيا[1]، ومن هنا نستطيع معرفة علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين علي -سلام الله عليه- والتمتّع بالنعم الدنيوية المشروعة، وذلك لمحورية الولاية العلوية باعتبارها أحد الشروط المهمّة والرئيسية للوصول بنا إلى مجتمع قائم على أساس الحرية والعدالة والقيم والفضائل الأخلاقية والإنسانية؛ لذا يحتمّ الواجب أن نسلّم لما بلّغ به رسول الله -صلى الله عليه وآله- في يوم الغدير، وأن نقبل عملياً بولاية أمير المؤمنين -سلام الله عليه-.

بعبارة أخرى: إنّ الأخذ بولاية أمير المؤمنين -سلام الله عليه- التي أنزلها الله -تعالى- وفرضها على المسلمين في يوم الغدير، له أثر تكوينيّ يوجب سبوغ البركات والخيرات على الناس من الأرض والسماء. قال الله -تبارك وتعالى- في كتابه العزيز:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَوْراةَ وَالإنْجيلَ وَما أُنزِلَ إلَيهِمْ مِنْ رَبّهِمْ لأكَلوا مِنْ فَوقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أرجُلِهِم)[2].

ثالثاً: سبيل الله الأوحد

لو أردنا أن نفهم الغدير في عبارة موجزة لأمكننا القول:

إنّ الغدير هو الوعاء الذي تجتمع فيه جميع تضحيات الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله-، وهو مخزن الأحكام والآداب التي أوحى الله -تعالى- بها إلى رسوله الأمين -صلى الله عليه وآله-، والإشارة إلى هذه الحقيقة ومدى توقّف البعثة الخاتميّة عليه تجسّد في قوله -جلّ وعلا-: (يا أيُّها الرَّسولُ بَلِّغ ما أنزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لم تفعَل فما

---

(١) مثل قوله تعالى: (...ولأتمّ نعمتي عليكم...) سورة البقرة: ١٥٠؛ وقوله تعالى:)...وليتمّ نعمته عليكم(سورة المائدة: ٦؛ وقوله تعالى: (... ويتمّ نعمته عليك) سورة يوسف: ٦؛ وقوله تعالى: (... كذلك يتمّ نعمتَه عليكم...(سورة النحل: ٨١؛ وقوله تعالى: (...ويتمّ نعمته عليك) سورة الفتح: ٢.

(٢)سورة المائدة: ٦٦.

بَلَّغتَ رِسالَتَه)[1].

والغدير روضة الفضائل والأخلاق والمكارم والمحاسن، بل هو المكارم بعينها، والتطوّر الحضاري والمعنوي كلّه يدين له بذلك؛ لاعتباره أهمّ عامل في حفظ كيان الدين والملّة، ويعدّ إنكاره بمثابة إنكار لجميع القيم الإسلامية السامية.

فالغدير بجوهره وروحه يعني مدرسة أمير المؤمنين -سلام الله عليه- التي تصلح لإسعاد البشر جميعاً. فأمير المؤمنين -سلام الله عليه- هو بعد الرسول -صلى الله عليه وآله- أعظم آيات الله -عزّوجلّ-، ولا تضاهيه آية، ولذلك يقول الإمام الصادق -سلام الله عليه- عن الذي تخيّل أنه يبلغ معرفة الله عن غير طريق أمير المؤمنين (فَلْيُشَرِّقْ وَلْيُغَرِّبْ) أي لن يبلغ غايته ولو يمّم وجهه شرقاً وغرباً. إنّه لمن تعاسة الإنسان وسوء حظّه أن يطلب العلم والمعرفة من غير طريق محمّد وعلي وآلهما -سلام الله عليهم-. ومهما كان العلم المستحصل من غيرهم فلا قيمة له؛ لأنه مفرّغ من القيم الأخلاقية والمعنوية، وبعيد عن روح الشريعة. وكلّ خطّ لا ينتهي إلى الغدير فهو ردّ على الدين، والردّ عليه ردّ على الله ورسوله -صلى الله عليه وآله- وأهل بيت رسوله -سلام الله عليهم-؛ لأنّ كلّ القيم والفضائل ومكارم الأخلاق تختزل في الغدير وتنبع منه.

رابعاً: مظهر القيم

وقد يُطرح التساؤل الآتي: كيف يكون إحياء الغدير عند الله -تعالى- وفي الملأ الأعلى ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ ؟ نقول في الجواب: الحقّ أنّ العقل عاجز عن الخوض في غمار هذه البحوث، ويظلّ كلّ ما يفهمه الآخرون ـ سوى المعصومين -سلام الله عليهم- قاصراً أمام فهم عظمة الغدير في السماوات، ومن ثم فإنّه يكفينا أن نفهم ما وردنا في عظمة الغدير عن أئمّتنا المعصومين -عليهم السلام- وما تناله عقولنا من أنّ إحياء الغدير يعتبر إحياءً للعدالة وحسن السياسة والتدبير في معاش الناس وأمنهم، وطرداً للجور واللامساواة والإجحاف.

فعندما يكون أمير المؤمنين -سلام الله عليه- هو المولى بمقتضى الغدير وغيره، فهذا معناه أن يعيش الناس كلّهم في أمان واطمئنان، ولا يوجد جائع أو محروم، ولا ضلال أو انحراف بهذه الصورة، ويكون أدنى الناس حالاً متساوياً أمام القضاء مع أعلاهم منزلةً، بل حتّى مع الحاكمين أنفسهم، وما تراه من حالات الخير والإحسان ـ وإن كثرت ـ إن هي إلاّ قطرة في بحر مواهب الإمام -عليه السلام-.

إنّ خطّ الله -تعالى- والصراط المستقيم ممتدٌّ في طول ولاية الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -سلام الله

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

عليهما- وذلك لتسود الفضائل في المجتمع.

فيوم الغدير في الحقيقة هو روح جميع الأيام، وإحياؤه إحياء لعيد الفطر والأضحى والجمعة بل كلّ الأعياد. ففي الغدير استمرار العدل والإنصاف، وكلّ القيم التي خلق الله من أجلها الإنسان وبعث إليه الأنبياء والرسل -عليهم السلام-.

مفهوم الأعياد الدينية

إنّه لا يُسمّى أيّ يومٍ عيداً ما لم يسمّ من قبل الشرع نفسه، مهما كان ذلك اليوم عظيماً أو وردت فيه أعمال أو أذكار خاصّة.

فهناك أيّام عظيمة في الإسلام، مثل يوم البعثة الشريفة، أو يوم ميلاد سيد الكائنات -صلى الله عليه وآله- وكذا أيام مواليد سائر المعصومين -سلام الله عليهم-، أو يوم عرفة أو غير ذلك، ولكنّ الشرع لم يسمّ أيّاً منها عيداً، كذلك وردت في الروايات في باب النيروز بعض الأدعية والأذكار والأعمال، لكنّها لا تعدو كونها نوعاً من المراسم والمناسك الدينية، ولم يرد إطلاق تعبير «العيد» على هذا اليوم.

أمّا يوم الغدير فقد عُبّر عنه في لسان الأحاديث والروايات الشريفة بأنّه عيد، كما أطلق ذلك على عيدَي الفطر والأضحى، ويوم الجمعة، بل تمّت الإشارة إليه بصيغة أفعل التفضيل مثل: «أَفْضَلُ الأعْياد»[1] و«عيدُ الله الأكبَر»[2].

وروي أنّ الإمام الصادق -سلام الله عليه- قال لبعض أصحابه: «لعَلَّك تَرَى أنَّ اللهَ عزَّوَجَلَّ خَلَقَ يَوماً أعْظَمَ حُرمَةً مِنْه؟ لا والله، لا والله، لا والله»[3].

إنّ الملاك للأسماء والحقائق الشرعية هي الأدلّة الشرعية؛ فالطريق الوحيد لتسمية يوم ما عيداً إسلامياً هو أن يكون مصدر هذه التسمية: القرآن الكريم أو السنّة المطهرة. ولهذا لا نجد وجهاً لتسمية يوم عرفة بالعيد من دون التوفّر على دليل شرعيّ، مهما كان هذا اليوم شريفاً وعظيماً. وهكذا الحال بالنسبة ليوم النيروز، فإنّه لم يرد التعبير عنه في الروايات بالعيد.

وعلى كلٍّ، الغرض من هذا الكلام هو أن نعلم أنّ النصوص الدينية لم تسمّ النيروز عيداً، ولكنّ الأمر يختلف بالنسبة للغدير، فقد عُبّر عنه في النصوص الإسلامية بالعيد، بل أعظم الأعياد.

الغدير عيد الله الأكبر

(١) بحار الأنوار: ج٩٤ ص١١٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٣ ص١٤٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج٨ ص٨٩.

طبقاً للروايات الإسلامية فإنّ عيد الغدير هو أفضل الأعياد الإسلامية وأعظمها حرمة، بل هو عيد الله الأكبر. روي عن الرسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- أنّه قال:

"يومُ غديرِ خمّ أفضلُ أعيادِ أمّتِي وهو اليومُ الذي أمرني اللهُ ـ تعالى ذكره ـ فيه بنَصْب أخي عليٍّ بن أبي طالبٍ علَماً لأُمّتِي يَهتدون به مِنْ بَعْدي وهو اليومُ الذي أكملَ اللهُ فيه الدِّينَ وأتمّ علَى أمّتِي فيهِ النِّعمَة ورَضِيَ لهُم الإسلام ديناً..."[1].

وفي الصحيح عن الإمام الصادق -سلام الله عليه-: "ويومُ غديرِ خمٍّ أفضلُ الأعياد"[2].

وعن عبد الرحمن بن سالم عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله -عليه السلام-: هل للمسلمين عيدٌ غيرُ يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: "نَعَمْ، أعْظَمُها حُرْمَةً".

قلت: وأيّ عيد هو، جُعلت فداك؟ قال: "اليومُ الذي نصّبَ فيه رسولُ الله -صلى الله عليه وآله- أميرَ المؤمنين -عليه السلام- وقال: مَنْ كُنتُ مَوْلاهُ فَعليٌّ مَوْلاه".

قلت: وأيّ يوم هو؟ قال: "يوم ثمانيةَ عَشَرَ مِنْ ذي الحجّة"[3].

وروي عن الإمام الصادق -سلام الله عليه- أنّه قال:

"صِيامُ يومِ غدِيرِ خُمٍّ يعدِلُ صِيامَ عُمرِ الدنيا، لو عاش إنسانٌ ثمّ صام ما عمرتِ الدنيا لكان له ثواب ذلِك وصِيامه يعدِل عِند الله عزّ وجلّ فِي كلّ عامٍ مِائة حجَّةٍ ومِائة عُمْرَةٍ مبروراتٍ مُتقبَّلاتٍ، وهو عِيدُ الله الأكبرُ وما بعث الله عزَّوجلَّ نبِيّاً قطُّ إلاّ وتعيَّد فِي هذا اليومِ وعرف حرمته. واسمه فِي السماءِ يوم العهدِ المعهودِ، وفِي الأرضِ يوم المِيثاقِ المأخوذِ والجمعِ المشهودِ"[4].

فعيد الغدير إذاً ليس يوم أمير المؤمنين -عليه السلام- وحده، بل هو يوم الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله- أيضاً، بل يحقّ القول بأنّه يوم الله -تعالى-؛ لأنّ مراد الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله- وأمير المؤمنين -سلام الله عليه- في طول إرادة الله -تعالى-.

مواهب الله والعيش الرغد

لقد امتاز الغدير بجملة من الخصائص البارزة ومنها:

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٢٥.
(٢) الوسائل: ج٧ ص٣٨٠.
(٣) فروع الكافي: ج٤ ص١٤٩.
(٤) وسائل الشيعة: ج٧ ص٣٨٠.

١. أن فيه الإعلان عن مواهب الله -تعالى- للإمام أمير المؤمنين -سلام الله عليه-.

٢. أنّ فيه يتحقّق العيش الرغد.

أوّلاً: الغدير ومواهب الله -تعالى-

هناك زيارة مأثورة للإمام أمير المؤمنين -سلام الله عليه- في يوم الغدير[١] زاره بها الإمام الهادي -سلام الله عليه- ورواها الأكابر من علمائنا عن اثنين من النوّاب الأربعة للإمام الحجّة -عجّل الله تعالى فرجه الشريف-، وهما: عثمان بن سعيد (النائب الأول) والحسين بن روح (النائب الثالث)؛ وكلاهما من أصحاب الإمام الحسن العسكري -سلام الله عليه-، نقلا هذه الزيارة عنه، عن أبيه الإمام الهادي -عليه السلام-. عندما جلبوا الإمام الهادي -سلام الله عليه- من المدينة إلى سامرّاء وكان معه ابنه الإمام الحسن العسكري -سلام الله عليه- حينما مرّا على النجف الأشرف، فوقفا على قبر جدّهما أمير المؤمنين -عليه السلام- وقد أدّيا الزيارة معاً بلسان الإمام الهادي -صلوات الله وسلامه عليهم-.

تزخر هذه الزيارة الشريفة بمضامين ومفاهيم قلّما توجد في الزيارات الأخرى المأثورة عن أئمة أهل البيت -سلام الله عليهم-، ولذلك ينبغي للزائر أن يتوقّف عند هذه الزيارة ويتأمّل في عباراتها؛ خصوصاً تلك العبارة التي يخاطب -عليه السلام- فيها جدّه أمير المؤمنين -سلام الله عليه- بقوله:

"لَقَد رَفَعَ اللهُ في الأولى مَنزِلَتَك، وَأعلى في الآخِرَةِ دَرَجَتَك، وَبَصَّرَكَ ما عَمِيَ عَلى مَنْ خالَفَك، وَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَواهِبِ الله لَك".

أي صار مانعاً وحائلاً بينك يا أمير المؤمنين -عليه السلام- وبين مواهب الله لك. فما هي تلك المواهب التي حيل بينها وبين تطبيق الإمام لها في الأمّة؟ أحيل بينه وبين علمه، أم عصمته، أم مقامه وإمامته، أم درجاته عند الله -تعالى-؟ كلاّ، فكلّ هذه ثابتة له.

لقد حيل بين الإمام -سلام الله عليه- وبين مواهبة الإلهيّة، أي منعوه من تطبيق ما وهبه الله -تعالى- له في إدارة شؤون الأمّة. وهذه الحيلولة قد أضرّت بالمسلمين أنفسهم.

فلو لم يُقْصَ -سلام الله عليه- وسُمح له بأن يحكم الأمّة مباشرة بعد النبيّ -صلى الله عليه وآله- لكانت حكومته امتداداً كاملاً ودقيقاً لحكومة النبي -صلى الله عليه وآله-، بفارق واحد فقط وهو أنه ليس بنبيّ كما أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وآله- نفسه[٢].

وهذا معناه أنّ كلّ حالات الخير والعدل التي كانت ستقام منذ ذلك اليوم كان نفعها يعود للأمّة؛ وتلك هي مواهب الله -تعالى- التي وهبها كلّها للإمام أمير المؤمنين -سلام الله عليه-.

(١) راجع بحار الأنوار: ج٩٧ ص٣٦٢.

(٢) راجع الهداية للصدوق: ص١٥٧ ـ ١٦٢.

ثانياً: الغدير والعيش الرغد

قال الإمام أمير المؤمنين -سلام الله عليه-:

"وَلَو أنّ الأمَّة منذ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّه اتّبعُوني وأطاعُوني لأكَلُوا مِنْ فَوْقِهِم ومِن تحتِ أرجُلِهِم رَغَداً إلى يَومِ القِيامة"[1].

فلفظة «الرغد» تشير إلى الكيف..

ولفظة «إلى يوم القيامة» تشير إلى كمّ السعادة التي كانت الأمّة ستنعم به فيما لو تحقّق الغدير.

والرغد في اللغة: هو المعيشة التي لا ضنك فيها وليس معها ما يعكّرها، فلا مرض ولا فقر ولا جهل ولا حروب ولا نزاع ولا قلق ولا مشكلات ولا حبس ولا ويلات.

هذا ما يتضمّنه معنى الرغد.

فمعنى الحديث:

أنّ الإمام -عليه السلام- لو كان يحكم في الأمّة بعد النبي -صلى الله عليه وآله-، وكان يتحقّق الغدير، لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم رغداً إلى يوم القيامة، ولما وُجد اليوم هذه الظواهر من المساوئ، من أمراض وويلات وإراقة الدماء ظلماً والفقر والمنازعات والقطيعات بين الأرحام وغيرهم.

فهذا هو مفهوم الرغد.

فهل تبيّن لماذا كان الغدير أعظم الأعياد في الإسلام؟

إنّ المفاهيم التي ينطوي عليها الغدير بحمله لجميع جوانب التشريع الإسلامي لاتتوفر حتى في عيدي الفطر والأضحى وغيرهما من أعياد الإسلام.

فقارنوا بين كلّ الأعياد الإسلامية ومنها الجمعة وبين عيد الغدير وانظروا، ألا يؤيّدنا العقل في كونه أعظم الأعياد؟ مضافاً إلى النقل.

إذاً لم يعد يخفى علينا معنى قول الإمام الصادق -سلام الله عليه-:

"يَومُ غَديرِ خُمٍّ... هو عيدُ الله الأكبرُ"[2].

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ص٢١١.

(٢) التهذيب: ج٣/ ص١٤٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ
فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا
جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ)

صدق الله العلي العظيم

سورة الحج/ الآية: ١٩٧.

المضمون العام لرحلة الحج

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الاسدي

الحج – من ناحية المسافة الزمنية والمكانيّة – رحلة كأيّ الرّحلات والأسفار، ولكنه من ناحية المضمون والمعنى الذي تحتوي عليه فريضة الحج الإسلامي، فإنّه يستوحى منه عدّة رحلات معنويّة يقطعها الإنسان المؤمن خلال حركته في هذه المسافة الزمانيّة والمكانية هي:

١ – الحج رحلة إلى الله –عزّ وجل–

بما أنّ هذه الرحلة، رحلة تجرّد القلب والروح والفكر من كلّ مظاهر الدنيا وبهارجها وزخارفها وخيلائها، فحين يرفع الإنسان المؤمن قدمه في بداية الرحلة، فإنه يتجرّد من بيته وأهله وماله ومن كلّ متعلقاته، إلّا ما يكفيه من زاده وراحلته.

إلى أن ينزع الإنسان ملابسه فعلاً، ويخلع كلّ ما يرمز إلى الدنيا من ملابس الفخر والخيلاء، مكتفياً بقطعتي قماش هما (المئزر والأزار)، تاركاً كلّ ما وراءه، معترفا بوجود الله الأكبر –عزّ وجل–، وبنعمه السابغة على هذه الحياة بكلمات التلبية: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

ومن هنا يستوحي الإنسان المؤمن صورة المنتهى يوم يموت راحلاً إلى الله –عزّ وجل–، وما بعد الموت أمر وأدهى: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء)[1].

ولما كانت هذه الرحلة رحلة تجرّد الإنسان المؤمن عن نوازعه ومظاهره الدنيوية، وترتفع به إلى الله –عزّ وجل–، فلا بدّ أن يستعذب الإنسان في هذه الرحلة وفي غيرها كلّ الأتعاب والمشقات والمرارات والأوصاب؛ لأنّ ذلك كلّه يصغر بأزاء الهبات والعطاءآت الرّبانية.

٢ – الحج رحلة إلى الإنسانية

غالباً ما يبتعد الإنسان عن إنسانيّته في الناس، حين تملي له الدّنيا من عناوينها ومن خيلائها، وتلقي عليه حللاً من بهارجها وزخارفها، فينسى أو يتناسى تواضعه وطبيعته البشرية الضعيفة.

وغالباً ما يتغافل عن فقره في غناه، وعن ضعفه في قوته، وعن جهله في علمه، وعن أمراضه وعلله في صحته، ولكن من خلال هذا التجرّد ينسجم الإنسان مع إنسانيته في الناس الذين معه، حيث يستذكر جذوره، ويستوحي صورته الأصلية

(١) سورة الأنعام: ٩٤.

التي خلق عليها.

فقد شاء الله -تعالى- أن يكون في برنامجه العملي الكامل تخطيط عملي واسع للتربية الإنسانية في الحياة؛ لصياغة الإنسان الجديد، تتجلى معالم هذا التخطيط بوضوح من خلال فريضة الحج.

فأمام رهبة البيت الحرام ومالكية الله -عزّ وجل-، وحاكميته وقاهريته، يستشعر الكبير صغاره في بيت الله،ويتحسس القوي ضعفه حتى أمام البعوضة التي حرم الله عليه قتلها في حال الإحرام وفي البيت الحرام؛ ليستشعر الإنسان الصبر والأناة على أذى غيره ويستشعر الرحمة بخلق الله، وفي قمته إنسانية أخيه الإنسان المسلم.

وبهذا يستشعر الإنسان أنّ كبره وكلّ عنجهياته وتطاوله سيذوب اليوم وغداً بين يدي الله -عزّ وجل-، وبهذا يستأنس الصغير المستضعف بقوته في ظل بيت الله -تعالى-، فتتعاظم الأحاسيس عند كلّ مسلم، بأنّ الناس أمام الله -تعالى- سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لراع على رعيّة إلَّا بالتقوى.

٣ - الحج رحلة إلى التأريخ

فما من أمة من الأمم أو شعب من الشعوب إلّا ويعتز بمعالم تأريخه ومواقف أمجاده، فكيف بالإنسان المؤمن الذي يملك تأريخاً زاخراً بالعطاءآت؟ فحريّ به أن يستوحي منه عناصر قوته، ويأخذ من حياة أبطاله زاد حياته.

إنّ التأريخ يتكوّن من ثلاثة معالم هي: الزمان والمكان والحدث أو الموقف، وإنّ هذه المعالم تجتمع في العديد من مناسك الحج الإسلامي، إذ يستذكر الإنسان المؤمن بأيّ من هذه المعالم الثلاثة، تأريخ الإسلام والرسالة.

ولكن هذه المعالم لم تصنع لوحدها، فلم يأخذ الزمان أو المكان قدسيته وشأنه إلَّا من خلال الحدث أو الموقف المقدس، كما لم يكن هناك موقف ما لم يكن هناك رمز تأريخي وشخصيّة قد أعطت للتأريخ من جهدها وجهادها وعنائها من أجل أن تصنع الموقف التأريخي.

لذا فالإنسان المؤمن اليوم، يقرأ صفحات من تأريخه على أرض مكة والمدينة، تلك الصفحات الحافلة بمواقف الصبر والشجاعة والوفاء والأمانة والصدق والجهاد في سبيل الله -تعالى-.

وذلك من خلال ما يراه من المشاهد والمقامات والشواخص التي لا تزال وستبقى قائمة وهي تقترن بمواقف وأحداث، ومن هذه المعالم المقدَّسة: الكعبة والمسجد الحرام، ومقام إبراهيم -عليه السلام-، والمسعى بين الصفا والمروة، وزمزم، ومسجد الراية، ومسجد الجن (وهو المكان الذي نزلت فيه آيات سورة الجن)، ومسجد الإجابة، ومسجد حمزة، وعرفات، ومسجد نمرة، ومسجد مزدلفة، ومنى، ومسجد الخيف، ومسجد البيعة، ومسجد النحر، ومسجد الصفايح ، ومسجد الجعرانة، ومسجد التنعيم، وموقع مولد النبي -صلى الله عليه وآله- وهو الآن (مكتبة مكة المكرمة)، وبيت خديجة الكبرى-عليها السلام-، وهو الآن (مدرسة لحفظ القرآن الكريم)، وغار حراء في جبل النور، وجبل وغار ثور، ومقبرة أبي طالب -عليه السلام-.

أما في المدينة، فتقرأ: مسجد النبي -صلى الله عليه وآله-.

ومسجد قبا، ومسجد الجمعة، ومسجد القبلتين (المكان الذي تحولت فيه القبلة إلى المسجد الحرام)، ومسجد الإجابة، ومسجد الغمامة، ومسجد الشجرة، ومسجد الوداع، ومسجد أبي ذر -رضوان الله عليه- ومسجد بني حارث، ومسجد بني ظفر، ومسجد المنارين، ومسجد المغسلة، ومسجد بنات النجار، ومسجد ومشربة أم إبراهيم،. ومسجد الدرع،. ومسجد الثنايا، ومقبرة البقيع، وجبل ومقبرة أحد . والمساجد السبعة، وفيها : مسجد الفتح، مسجد فاطمة-عليها السلام-، مسجد علي، مسجد سلمان....

وإجمالاً، هنا ترسم لنا هذه المشاهد، وأصحاب المواقف فيها، نقطة النهاية التي يرمون إليها، والغاية التي تشرق على نفوسهم من أوج علوّها وجلالها وكبريائها، فتشدّ إليها أرْواحهم وقلوبهم غير آبهين بصخب المحيط، ووعورة الطريق، وأوْصاب الرّحلة إلى تلك الغاية المثلى.

الحج منبع عطاء للحاضر

وهنا تنقلنا هذه الفريضة إلى مشاهد ومواقع كانت وسوف تبقى على أبعد مديات الدهور وتعاقب العصور، مصدر عطاءآت خيرة ومثمرة لحاضر ومستقبل حياتنا.

وهذه المواقع كانت تحكي فيما مضى: أنّ ها هنا ساحة كانت منها بداية العمل والحركة، وكانت معها الحكاية، حكاية تأريخ الأنبياء، وحكاية ملة إبراهيم -عليه السلام- وحكاية رسالة الحنيفية السمحاء.

(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[1].

فلابدّ من أنْ نعرف أنّ كل حركة يتحركها الحاج،أو شعيرة يتعبد بها هنا وهناك، سواء ما كان يؤديه سعياً، أو إحراماً، أو تلبية، أو طوافاً، أو صلاة، فإنّها تحكي تلك الذكريات، وتحمل مضامين البناء الأول الذي رفع قواعده إبراهيم الخليل -عليه السلام- وشاركت في حمل همّه وهمومه أسرته المهاجرة معه؛ لتعطي الإنسان المسلم أعلى الدروس في الإقتداء بسيرة الأنبياء -عليه السلام-.

ويستطيع الإنسان المؤمن - علاوة على ذلك التأريخ - أن يعيش الإسلام حقيقة ماثلة في معالمها الروحية والفكرية، في حركة رسول الله محمد -صلى الله عليه وآله- إذ كانت مكة المكرمة مشرق نور الرسالة على يده الكريمة، حيث تضمّخت أرضها بعرقه ودموعه ودمائه الطاهرة، وبدموع ودماء الذين آمنوا برسالته.

فلا شك أنّ أرض مكة وأجواءها لا تزال تحتفظ بكلّ نفس من أنفاسه المباركة، وتترنم بكلّ خلجة من خلجات روحه الطيبة، وتتعطر بكلّ عبقة من عبقات قلبه الرحيم؛ لتنشرها أيام الحج رحمة للعالمين.

---

(١) سورة الحج : ٧٨ .

فهو عقد صلة بين الماضي والحاضر، ليعطي الماضي للحاضر كل ما يحتاجه من القوة في الإيمان، والإخلاص في الطاعة والنسك، وعلو الهمة والصبر والثبات في حمل أعباء رسالة السماء.

٤ – الحج رحلة إلى حكمة التشريع

بما أنّ فريضة الحج في الإسلام جزء من نظام عبادي متكامل يرتبط بطبيعة الحياة الإنسانية في كافّة مجالاتها وميادينها الفردية والإجتماعية.

وبما أنّ الله –عزّ وجل– قد رسم خطوط الرّحلة العبادية العامة، من خلال دعوة الإنسان للتطبيق الصحيح لما يملى عليه من فرائض وواجبات، تستبطن ما ينفعه وما يصلح شؤون حياته، وذلك بحكم حاجة هذا الإنسان إلى مقومات وجوده، وبحكم فقره للخالق المطلق (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)[1].

وبما أنّ الإنسان كادح في هذا الوجود، ومتفاعل مع كافّة أصعدة الحياة، ولا بدّ له من الرّحيل إلى الله –عزّ وجل– كما قال –تعالى– : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه)[2].

وبما أنّ ما نحن فيه من رحلة الحج تتكون – في تسلسلها – من عبادتين متماثلتين إلّا في بعض الأركان والواجبات، ولكلّ خط من خطوط هذه الرحلة مضمونه ومحتواه التربوي.

فالجدير بالإنسان المؤمن أن يذهب – أوّلاً – بعقله وفكره وروحه إلى كلّ خط من خطوط هذه الفريضة المضنية في تطبيقها، والمشعة في مضامينها التربوية، للتروّي والإستنتاج لما يتيسّر من المفاهيم والمضامين، من كلّ ما يؤدّيه من الواجبات والفروض الإسلامية، التي تحمل للإنسان معطيات وعنايات السماء، ولكن عليه أن لا يعتبر ما استوحاه من المعطيات هي المعطيات النهائية التي تحملها هذه الفريضة أو غيرها؛ لأنّ الإعتراف بالعجز، والإذعان للأمر هو ذاته إدراك للحكمة من كلّ التشريع.

إذ ليس بوسع الذهن البشري القاصر أن يستوعب كلّ أسرار التشريع، كما أنه ليس من الواجب معرفة كلّ سر وحكمة في أوامر التشريع ونواهيه؛ لأنّ على الإنسان المؤمن أن يفنى في الأمر الإلهي، وأن يستميت قلبه وبدنه في أداء الواجب بروح اليقين والثقة: بأنّ أيّة فريضة من الفرائض والواجبات هي ذات مصالح واقعية تعود على البشرية.

غاية الأمر أنّ بعض المصالح والمعاني بارزة يتم إدراكها واستيحاؤها وفقا لثقافة الإنسان المؤمن ودرجة تفكيره، ومنها ما لا يصل إليه عقل الإنسان وتفكيره.

ويسمى هذا الجانب بالجانب الغيبي في منهج العبادة، الذي يؤكد في الإنسان المؤمن روح الإنقياد والإرتباط

---

(١) سورة فاطر : ١٥

(٢) سورة الإنشقاق : ٦.

المطلق بالله -عزّ وجل-؛ وليكون كالجندي المستميت في أداء الواجب، خصوصاً على مستوى فريضة الحج الإسلامي.

وتتكوّن هذه الرحلة -كما أوضحنا- في تسلسلها من عبادتين متماثلتين إلّا في بعض الأركان والواجبات، ولكلِّ خط من خطوط هذه الرحلة مضمونه ومحتواه التربوي، فلنذهب معاً -في رحلتنا- إلى كلِّ خط من هذه الخطوط:

١- إلى حكمة الإحرام

فعندما ينزع الإنسان ثيابه على أرض الميقات، فإنَّه ينزع كافَّة الأقنعة المزيفة، والمظاهر المترفة التي كانت تجلله وتميّزه عن غيره، سيّداً كان أم عبداً، مستكبراً كان أم متواضعاً، قويّاً كان أم ضعيفاً، غنياً كان أم فقيراً، فهو بعنوانه الإنساني في كلّ أحواله.

فاليوم هو إنسان واحد، وفرد من نسل آدم وآدم من تراب، لا فضل له على غيره إلّا بالتقوى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)[1].

فبالإحرام - إذن - ينتزع الإنسان أنانيته على أرض الميقات، ويرمي بكلِّ الإعتبارات والعناوين خارج مكة؛ ليدخل إلى هذه الباحة المشرّفة بثوبي الإحرام - قميص وأزار -؛ ليصبح أمام ربّه -عزّ وجل- إنساناً جديداً متجرّداً بروحه وعقله،مقبلا على ربّه راجياً رحمته.

٢- إلى حكمة الطواف

فهنا ومن خط الإحرام وفي الطريق إلى أداء الطواف بالبيت الحرام، يسير الإنسان المؤمن في خط الاقتراب إلى حرم الله -عزّ وجل-؛ ليستجير بظلال أمنه وأمانه، ويسأله العفو والرّحمة والفوز في فسيح جنانه، وليؤكد في هذا الخط رابطته بربه -تعالى-.

وذلك من خلال عمل عبادي بارز - كما أوضحناه في البيان التّسلسلي لأعمال الحج - وهو: الطّواف بالبيت سبعة أشواط لعمرة التّمتع، وفي نطاق الحدود التي رسمت للمطاف حول البيت، والتي لا تزيد على ٢٦ ذراعاً بين الرّكن والمقام، ولا تزيد على٣ أمتار حول حجر إسماعيل -عليه السلام-، وإن كان هناك زيادة في الحدود للتسهيل أيام الزّحام وكثرة الحجيج.

وبما أنّ معنى الطّواف: هو الحركة والتّنقّل من نقطة إلى أخرى، ومن موقع إلى موقع آخر، فإنَّه في بيت الله الحرام، يعني: ضرورة تقييد هذه الحركة في كافَّة مجالات الحياة، ضمن حدود مرضاة الله -عزّ وجل-.

فعليك أن تطوف وتتحرّك - أيّها الإنسان المؤمن - على بيوت الله والأولياء والمؤمنين، لا أن تطوف وتتحرّك في

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

بيوت المشركين والظّالمين، عليك أن تطوف في مواقع الطاعة، وأن تكون كلّ خطوة من خطواتك في خدمة دينك وأهداف رسالتك.

ومن ناحية أخرى: فإنّ هذا المدار الذي رسمه الله عزّ وجل، يحتوي على أمواج من البشر ممن استجاب لله -تعالى-، ليؤكد كلّ إنسان من خلال هذا المدار، أنّه يحوم بقلبه وبكل كيانه حول توحيد الله -عزّ وجل-.

هذه العقيدة التّوحيدية، هي التي ترسم للإنسانية خط الحركة في الحياة، ولا تتركه يتجاوز الحدود التي رسمها الله عزّ وجل (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظّالمون)[1].

٣- إلى حكمة صلاة الطواف

كما عرفنا: أنَّ على الحاج أن يرفد طوافه حول البيت المشرف بركعتي الطواف، وأن يؤدّيها بجوار أو خلف مقام إبراهيم -عليه السلام- وبالكيفية التي عرفناها.

وبهذا يؤكّد المؤمن عمق الصّلة بين هذا المدار التّوحيدي الذي يحدّد له خط الحركة في هذه الحياة ضمن الحدود المشروعة، وبين مصدر الاستلهام للثبات على هذه الحدود، وهو: (الصلاة) التي تتضمّن طلب الإنسان من ربّه عزّ وجل : (إهدنا الصّراط المستقيم)[2] أي : ثبّتنا على خطّ التوحيد والطاعة.

ومن ناحية أخرى: ترمز هذه الصلاة إلى تكريم هذا المدار، فهي تحية لبيت الله الحرام، ولمن بذل وسعه في بنائه في غربة من الأهل والديار، وعلم أمته حج البيت، وأرشد الناس إلى كيفية أداء نسكهم.

٤- إلى حكمة السعي

ويأتي السعي بين الصفا والمروة، تأسّيا بإبراهيم -عليه السلام- وبهاجر أم إسماعيل، التي اقترن سعيها بالبحث عن ولدها وعن الماء، وهي مشدودة إلى الله تعالى بالتبتل والدعاء؛ لتؤكّد على أنّ عناية الله -تعالى- بالعبد، إنّما تقوم على أساس السعي والحركة في الأرض كما تشاهد.

وهذه هي سُنّة الله في كلّ شؤون الحياة، إذ تقوم على بذل الجهد والوسع في سبيل تحصيل المطالب وتوفير الرّغائب (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النّشور)[3] (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)[4].

حتى على مستوى تحصيل الملكات والكمالات النّفسية والرّوحيّة، والمنازل الاجتماعية، فحين يسعى المؤمن لطلب

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٩.

(٢) سورة الفاتحة :٦.

(٣) سورة الملك : ١٥.

(٤) سورة النجم : ٣٩.

الهداية من ربه عزّ وجل فالله يجزي على هذا السعي، ويبلغ بالمؤمن ما يريد.

ولكن لا بدّ أن يمتزج السعي بالإنقطاع إليه تعالى بالطلب، والثّقة به والاطمئنان برعايته وعنايته قبل كل شيء، لذلك كانت الصلاة في مقام إبراهيم -عليه السلام- منطلقًا لهذه الخطى.

وجاء السعي بعد هذه النّفحة الرّوحية، لأنّها هي التي تموّن جهد الإنسان وسعيه بالصّبر والأمل والثّقة، وإيكال الأمر إليه عزّ وجل بصفته الخالق الغني الذي بيده خزائن العطاء والرّحمة، وتوفير النّعمة ودفع النّقمة.

هذا التصوّر الذي جسده خليل الله إبراهيم -عليه السلام- إذ وضعه النّمرود - فرعون زمانه - في المنجنيق ليرمي به في النار التي سجّرها لإحراقه، فلقيه جبرئيل -عليه السلام- وهو يهوي في طريقه إلى تلك النار، فقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فأجابه إبراهيم -عليه السلام-: أما إليك فلا.

فهنا يتجلى لنا درس الثّقة بالله تعالى، تلك الثّقة التي راحت تستتبعها إيجابية السماء وعناية المعبود الحق كنتيجة حتمية،(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ)[1].

٥- إلى حكمة التقصير

وهو المنسك الخامس من أعمال عمرة التمتع - كما عرفنا - بعد السّعي مباشرة، فهو يقع في فترة من السكون، ووقفة يستعيد فيها الإنسان المؤمن أنفاس الراحة بعد عناء السعي، ولكن لا تكون هذه الفترة بلا نسك، إذ هي فترة إحلال ممّا حرّم الله عليه من شؤون الحياة وممارساتها، ومن ألصق عاداتها في حياته اليومية.

فتراه يقف في نهاية أشواطه لينفض من على قلبه وروحه غبار الإثم كما ينفض من على بدنه غبار التّعب والعناء، خصوصاً عندما ينهل من تلك الساقية النقية (ماء زمزم) العين التي تشدّه لمصدر الحياة، وينبوع الحكمة، لتترعرع في قلبه أشجار الشوق إلى مثل تلك الرّحلة إلى الله تعالى من جديد على مرّ العصور والأزمان.

إنّها العين التي تفجّرت تحت قدمي إسماعيل -عليه السلام- وسقته بجرعة من هذا الينبوع، وأروته بعد الظمأ، ونقلته من صحراء مجدبة إلى رياض يانعة مونقة بالحب والأمل وحكمة النبوة.

فما على الحاج المؤمن إلا أن يتأسّى بهذا النبي، فيسقي ويغسل صدره ووجهه من هذا الينبوع قائلاً: (اللهم اجعله علماً نافعاً ورزقاً واسعا)، إنّه يجعل هذا الماء الطهور ريّاً لقلبه بالعلم والحكمة، وطهراً لكسبه وتنزيهاً له عن الحرام والشبهة، لأنّ العلم والحكمة لا تجتمع مع الحرام والشبهة.

فما أحلى هذه اللحظات التي يحس فيها الإنسان المؤمن أنّه قد أنهى فرضاً، وأدّى ركناً من ركني الحج، وهو (عمرة

---

(١) سورة الأنبياء: ٦٩ - ٧٠

التمتع) ليتحرّر من قيود الذنب وأصفاد الخطايا، مع إلقاء ثوبي الإحرام والعودة إلى ملابسه وبزته التي كان عليها، متجمّلاً لله عزّ وجل لا للفخر.

بل لا بد أن يصب التّجمّل – دائماً – في قناة طاعة الله –عزّ وجل–: (قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرّزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدّنيا خالصة يوم القيامة)[1].

٦– إلى القيامة الصغرى

وبعد إنهاء الرّكن الأول من الحج، وهي الفترة التي ملئت بالجدّ والنّشاط والكدح إلى الله –عزّ وجل–، (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه)[2].

وبعد فترة من الهدوء بين عمرة التمتع وحج التمتع، والتي هي أشبه بالبرزخ بين دنيا مليئة بالحركة والعمل، وبين الآخرة التي ينتظرها، واليوم الذي يستعد له للمثول بين يدي الله –عزّ وجل–.

فهنا ينتظر الحاج المؤمن يوم الحج الأكبر، يوم الوقوف بين يدي الله –تعالى–،(القيامة الصغرى) فيخرج إلى عرفات في اليوم الثامن أو التاسع من ذي الحجة الحرام؛ ليكون على استعداد للوقوف من زوال الشمس إلى غروبها، كما لو دعي للخروج من قبره مؤتزراً كفنه، مقلداً عمله، ينادي: (ربّ ارحمني يوم آتيك فرداً شاخصاً إليك بصري، مقلداً عملي، قد تبرّأ جميع الخلق منّي، نعم وأبي وأمي، ومن كان له كدّي وسعيي).

ففي عرفات – إذن – ينقطع الإنسان المؤمن عن كلّ أشغاله ومطامحه وآماله وحركته الدنيويّة، وينصرف بكل كيانه ومشاعره وتفكيره وتأمّلاته نحو الله –عزّ وجل–.

ليس هناك عمل إلزامي في عرفات، من صلاة أو صيام أو غيره، عدا كونه موقفاً لله –عزّ وجل– في تلك الأرض الجرداء، مع ماورد من الأدعية والأذكار عن أئمّة أهل البيت –عليهم السلام–.

إنّ على الإنسان أن يكون موجوداً فقط وأن يذكر الله –عزّ وجل– في أعماق نفسه وقلبه وعقله، ويتذكر أعماله ويحصي ذنوبه وخطاياه وزلّاته، ويطلب من الله العفو والمغفرة والرّحمة، كما لو أحصى الله –تعالى– عليه أعماله يوم القيامة والنّشور وأخرج له كتاباً يقرأه.

فما هي إلا دعوة للقيامة سوى أنّ الفرق: أنّ هذا يدعى من بيته الذي يسكن فيه، وذلك يدعى من قبره، وأنّ هذا يدعى ببدنه وروحه، وذاك يدعى ليجمع رفاته وتحيى عظامه، بعد أن أضحت رميماً،(يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون)[3].

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢

(٢) سورة الإنشقاق : ٦

(٣) سورة المعارج : ٤٣

كما أنّ هذا يدعى مع مجموعة من البشر في هذه الرحلة القصيرة،

وذاك يدعى مع كلِّ البشرية في تلك الرحلة الطويلة، التي هي رحلة النهاية.

ولكن في كلّ من الرحلتين يتساوى الرعاة والرّعية، والأغنياء والفقراء، والشرفاء والسوقة، والمستكبرون والضعفاء، والبيض والسود، (إنْ كل من في السماء والأرض إلا آتي الرحمن عبدا)[1].

كما أنّ هذا بعد رحلته ومثوله بين يدي ربه عزّ وجل، سوف يرجع إلى دنياه وعلائقها وطبيعتها، رجعة استجابة كريمة من لدن المولى الكريم عزّ ذكره، وكأنّه يقول له: عبدي إنّي غفرت لك ما سلف من ذنبك وتقصيرك، فارجع إلى دنيا جديدة، واعمل صالحاً فيما تركت، فإنّك لا تعذر بعد ذلك فيما اكتسبت.

أما ذاك فإنّه يقول: (رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت..)[2] فيقال له: (كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)[3].

فهذه هي الفروق التي تميز هذا الموقف عن ذاك، وكلاهما تحت نظر الله عزّ وجل وهيبة سلطانه.

وتعتبر ساحة عرفات موقفاً للاعتراف بالذّنب والتّقصير تجاه المعبود الحق -تعالى-، وباباً من أبواب طلب العفو والصّفح عن الذّنوب.

ويعطينا دعاء الإمام الحسين -عليه السلام- يوم عرفة هذه المضامين، ويعلّمنا كيفية الاعتراف وطريقة الوصول إلى باحة الرّحمة الإلهية.

٧- إلى باحة المشعر الحرام

إذ يبدأ الحاج النفور إلى المشعر الحرام عند غروب الشّمس في عرفات، كما قال -تعالى-: (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)[4].

وسمّيت المزدلفة، من الإزدلاف والزلفى، وهو: القرب، فكان موقف عرفات بمثابة الباب الذي يطرقه العبد المؤمن للدخول إلى حضرة الملك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ليكون المثول بين يديه في أعماق الليل، وهنا لا بد من معرفة حقيقتين:

الأولى: أنّ هذه الباحة تمثّل موقع قرب العبد من الله عزّ وجل بعد أن كانت الذنوب والآثام قد باعدته من ربّه، إذ لا يصلح الإنسان للقرب من ربه حتى يتنقى ويتطهر مما هو فيه من الخطايا والذنوب، وقد فعل ذلك في ساحة عرفات.

---

(١) سورة مريم: ٩٣.
(٢) سورة المؤمنون: ٩٩
(٣) سورة المؤمنون: ١٠٠
(٤) سورة البقرة: ١٩٨

الثانية : تعتبر هذه الباحة موقع استعداد وإعداد لقوة المجابهة مع عدوّ الله والإنسان إبليس، وقد تعهد الله -عزّ وجل- أن لا يجعل له سلطاناً على عباده وأوليائه الذين استخلصهم لدينه، ومن اصطفاهم على من برأ من خلقه.

يقف الإنسان المؤمن في فناء المولى، وفي باحة رحمته من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس مستيقظاً، قد استجمع قواه العقلية والروحية، وأبرم عهده مع الله -عزّ وجل- لمحاربة النفس والشيطان والهوى وكلّ رموز الضلال والإنحراف، وأخذ من هذه الباحة عدّته الروحية وعتاد المجابهة وهي :

(الحصيات التي تجمع من ساحة المزدلفة) لرجم رمز الشيطان الأكبر (جمرة العقبة) في منى في أول جولة، هذه العملية التي تحمل معها المضمون والمدلول الذي سنوضحه.

٨- إلى رمي جمرة العقبة

لا شك أنّ مما يغيض الشيطان ويؤلمه، وممّا يحفّز فيه المكائد لإغواء الإنسان وإغرائه، هو: أن يرى الإنسان مقبلاً بفكره وروحه على ربّه -عزّ وجل-، حرصاً على قربه.

فمنذ أن امتنع عن السجود لآدم -عليه السلام- وتمرّد على أمره -عزّ وجل-، كان يغيضه أن يرى الإنسان عابداً ملتزماً بأمر الله -تعالى-، حيث كشف عن هذه النزعة (نزعة الأنانية) من خلال محاورته مع الله تعالى لما أنزله من علوّ جنته كما حكى عنه القرآن :

(قال انظرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم)[1].

فتحدّاه الله -تعالى- بقوله : **(قال هذا صراط عليّ مستقيم * إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين)**[2].

فيا ترى، من هؤلاء العباد الذين ألمح الله -تعالى- إلى قوّة إرادتهم؟ ومن هؤلاء الذين سيشكلون قوّة في مقابل كلّ المكائد التي يحوكها ضدّهم الشيطان؟.

الجواب: إنّهم كلّ الذين على غرار إبراهيم الخليل وهاجر وإسماعيل -عليه السلام-، تلك الأسرة القويّة في ذات الله عزّ وجل، والتي كانت أنموذجاً صادقاً للتلاحم والتعاون فيما بين أعضائها على مباهج الحياة ومتاعبها.

تلك الأسرة كانت من النّماذج التي صدق فيها وعد الله -عزّ وجل-، فواجهت إبليس الذي قعد لها في موقف هو من أحرج المواقف وأعقدها، وهو الموقف الذي يعتبر هو وأمثاله محكّاً لتجربة إيمان الإنسان في الطاعة وطاعته في الإيمان.

ففي صباح اليوم العاشر، وعندما تشرق الشمس، يستعد الحاج المؤمن لخوض المعركة في منى، وهو يستذكر تلك

(١) سورة الأعراف : ١٤ - ١٦

(٢) سورة الحجر : ٤١ - ٤٢

الأسرة المؤمنة التي استجابت طائعة لأمر الله -تعالى-، بقتل العاطفة وسحق علائقها إيثاراً لقرار الله -عزّ وجل- وحبّه على حبِّ الدنيا والنفس والمال والأهل والأولاد والآباء.

في هذا اليوم تتركز المعركة، وتنصب الحملة على ذات إبليس وتمثاله (جمرة العقبة) التي تقف عقبة في طريق الطاعة، وهي تُمنّي الإنسان وتحفّز فيه العاطفة نحو الأهل والمال والولد، حيث تجلى إبليس في هذا الموقع لإبراهيم -عليه السلام- ليحفّز فيه العاطفة نحو ولده إسماعيل، الذي رأى في المنام أنّه يذبحه بأمر الله -تعالى-.

فعزم إبراهيم -عليه السلام- على تنفيذ الأمر، فظهر له إبليس ليصدّه عن تنفيذ الأمر، إيثاراً لعلاقة الأبوة والبنوة التي تحلو في عين الأب كلّما تقادم الزّمن ورأى ولده وفلذة كبده يترعرع ويشب، لا سيما وأنّ المجتمعات تتفاخر بالأموال والأولاد، وتعتبرهم في الأسرة مصدر قوّتها وعنوان نفوذها وهيبتها.

لكنّ إبراهيم -عليه السلام- قذف إبليس بسبع حصيات؛ ليؤكّد للأمّة: أنّ الأبوّة والبنوّة، لا بدّ أن تذوب في أمر الله -عزّ وجل-، مهما كان الولد قريباً من الأب وملتحماً بمصيره، بل لينقل الذّهن إلى التّفكير بما هو أولى وأهم وأبعد من ذلك، فيما إذا شكل الولد موقع عداء لله وللرسالة، أو خرق ضابط من ضوابط وحرمات هذا الدين، أن لا تتغلب العاطفة على قيم الرسالة وأهدافها ومصالحها، فيمضي الآباء في ركب العداء لله والحق تبعاً لما تمليه العاطفة في حركتها المعاكسة.

وقد يكون من هذا المنطلق - وهو إيثار إرادة الله عزّ وجل على العاطفة - قد فوّض بعض الفقهاء للأب إقامة الحدّ والتّعزير على الولد أوالزّوجة عند اقتراف الجريمة الموجبة للحدّ في حال غيبة الإمام المعصوم أو نائبه الخاص.

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون)[1].

ولإبليس وقفة أخرى، وفي موقع آخر مع الأم هاجر، بعد أن عجز عن زعزعة موقف إبراهيم -عليه السلام- جاء إلى هاجر ليحفز فيها عاطفة الأمومة نحو ولدها الذي بات ينتظر التضحية، ولكنّ صلابة الإيمان وعمق الثقة بقرار الله تعالى، وبموقف النبوة، دعاها إلى التسليم والرضا بإجراء السلطة التنفيذية، فتحدّت بوعيها وإيمانها هذا تثبيط الشيطان وتسويله.

وقد فعلت كما فعل إبراهيم -عليه السلام-، وقذفت إبليس بسبع حصيات أخرى لصرفه، لتؤكّد خيبة ما يريد لها من الزلة عن أمر ربها، ولتسجل هاجر الأم موقفاً صادقاً مع خالقها ورسالتها فيما تقضي وتقرر، وتكون

(١) سورة المجادلة: ٢٢

المحتذى للنساء اللواتي يقدّمن قرابين الفداء من أفلاذ أكبادهنّ في سبيل الله والرسالة.

فمن أراد أن يتفحّص التأريخ ومسيرته الرّسالية، ومن أراد أن يتابع المواقف النضالية لأمّهات وزوجات وأخوات وبنات الركب الجهادي، فليقرأ تأريخ الإسلام وما فيه من مواقف الإيثار والصبر والوفاء للرسالة، فسيجد أمثلة رائعة للبطولة والفداء في حياة المرأة المسلمة.

ثم تعال إلى آخر المواقع التي يقفها إبليس، وهو موقفه مع إسماعيل الإبن، الذي يتطلّع أمثاله من الفتية إلى حنان الأبوين في تلك المرحلة من العمر.

فيقف إبليس ليثير في نفسه الغيرة والتّساؤل، لماذا هو فقط الذي يراد به ذلك دون أخيه؟ ولماذا في هذه المرحلة من عمره؟ هذه المرحلة التي يتطلّع فيها الصّبي للحياة الهادئة الوادعة، ولكن عمق البصيرة وصدق الوعد مع الله -عزّ وجل-، دعاه إلى إيثار التضحية والفداء على كافّة النّوازع والمغريات، **(قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)**[1].

وفي هذا الموقع قذف على إبليس سبع حصيات كما فعل أبواه إيثاراً لأمر المعبود الحبيب عزّ ذكره، فكان المحتذى الصالح في إيمانه وتسليمه، وكان قدوة شبابية حسنة لرعيل من الأبناء والشّباب الغيارى على دينهم ورسالتهم في الحياة.

ولما عزم إسماعيل على التّسليم والطاعة لأمر الله بذبحه، شاءت إرادة الله -تعالى- أن تكشف للأمة قوة هذه الإرادة وثبات الموقف، ويستبدل قضاءه في إسماعيل **(فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إنّ هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم)**[2].

ومن هنا يستذكر الإنسان المؤمن الحاج خلال مروره بهذه المواقع الثلاثة للجمرات، أنّ الشيطان يقعد له كل مقعد ويترصد فيه نقطة الضعف، ويستغل كلّ حالة حرجة؛ لينزغ بينه وبين دينه، وبينه وبين أخيه الإنسان **(وقل لعبادي يقولوا التي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم إنّ الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا)**[3].

وخلال رجمه لهذه الأشباح، يؤكّد الإنسان المؤمن بلسان الحال، وبالعمل الذي يزاوله، أنّه يرمي هذه المواقع؛ لأنّها تحكي مكائد وحبائل إبليس.

وكأنّه يقول له: أيّها العدو، إنّي أرجم أثرك وتأريخك ومكرك وكل رمز يدل عليك، وأرفض مكائدك وتسويلك، ولو تجلّيت لي في واقع الرّؤية والمشاهدة لرجمتك بما أوتيت من قوّة، إلّا أنّك تخفيت واسترت وسريت في إبن آدم مسرى الدم في العروق، فلأرجمنك بقوّة الإيمان وثبات الموقف والوعي والبصيرة، وإلا فما قيمة هذه الحصيات التي لا تقتل حتى

(١) سورة الصافات: ١٠٢

(٢) سورة الصافات: ١٠٣- ١٠٧

(٣) سورة الإسراء: ٥٣

الحشرة الصغيرة التي تدب على وجه الأرض،لولا أنّ قوّتها تتمثل في هذا المدلول أو غيره من المضامين العميقة في واقع الروح المؤمنة؟.

ما للحصيّات وإبليس؟

لذا فإنّ هناك سؤالاً قد يخطر على الذّهن: في هذه الوقفة الحساسة التي امتحن الله بها خليله إبراهيم -عليه السلام- وأهله، ووضعهم بين تيّار العاطفة وبين الأمر الإلهي الذي توجّه إليهم.

إذ يحاول إبليس أن يصدّ هذه الأسرة ويثبّط فيها إرادة الإمتثال لأمر الله -عزّ وجل-، فيبادر كل فرد من هذه الأسرة المؤمنة لحذفه بسبع حصيات صغيرة لصرفه عنه.

فالسّؤال الذي يفرض نفسه على الموقف: ماذا تشكّل هذه الحصيات من قوّة حتى أرعبت إبليس وهزمته؟! فيكون الجواب:

أوّلاً: أنّ هذه الحصيّات، وكيفية الرّمي بها، هي وسيلة تعبير عن قوّة الرّفض الكامنة في داخل الذات المؤمنة، فكما أنّ الأذكار والكلمات التي يردّدها الإنسان المؤمن في صلاته، مثل كلمة (لا إله إلا الله) تحمل بعداً ضخماً من قوة الرفض لكلّ ما عدا الله تعالى من معبودات ومظاهر ومغريات قد تفرض نفسها على واقع الفطرة الإنسانية.

فإنّ الأعمال والتطبيقات تحمل ذلك المضمون، كما هو في عملية الرجم التي تعبّر عن رفض المكائد والطروحات التي يتبنّاها إبليس وجنوده في طريق العبد المؤمن، وهذه العملية وغيرها من الرّموز كافية للتعبير عن هذه الإرادة .

ثانياً: لو كان الهدف من الرّمي هو الانتقام النهائي من إبليس لاحتجنا إلى سلاح فتاك، ولكن ليس الهدف من الرّجم هو أن يقتل إبليس وتزهق روحه؛ لأنّنا غير قادرين على ذلك، إذ قد شاءت قدرة الله -تعالى- وحكمته أن ينظر إبليس حياً إلى يوم الوقت المعلوم.

إلا أنّ الهدف هو صرف كيده الذي لا يحتاج إلا إلى ومضة إيمانية تؤجج إرادة الإنسان المؤمن، وترسخ كلمة الحق في قلبه، وترفع صوت ضميره الرادع، لذا يتم التّعبير عن هذه الومضة الإيمانية بهذه العملية الرّمزية للرجم، في مقابل كيد الشيطان، وقد قال الله -تعالى-: (إنّ كيد الشيطان كان ضعيفا)[1].

ألا ترى أنّ القوى الكبرى، في كثير من الأحيان لا ترهبها الأسلحة التّدميرية المتطوّرة كما ترهبها إرادة الشعوب، التي تعبّر عنها بصيغة أو بأخرى من صيغ التّعبير.

فإنّ للتعبير الرّمزي دوراً كبيراً في الوقوف أمام تلك القوى؛ لأنّها تعبّر عن الإرادة والقوّة الذاتية الداخلية.

٩- إلى عملية الذّبح

حيث ينتقل الحاج المؤمن على أرض منى من عملية الرّجم إلى عملية الفداء، تأسّياً بإبراهيم -عليه السلام- الذي

(١) سورة النساء: ٧٥

وقّى، حيث سحب ولده ليقدّمه فداءً وقرباناً لربّه عزّ وجل، استجابة لأمره تعالى كما عرفنا، ولكنّ الله عزّ وجل أرسل أمينه جبرئيل، ليمسك على يد إبراهيم -عليه السلام- الذي سمت روحه وخلصت نيّته، وكسب المعركة بروح الصبر والتّحدّي لمكائد إبليس.

هذا الموقف الذي يؤكّد للأمة: أنّ في عملية الذبح هذه ذبحاً لنزعة الدّنيا وشهواتها ومغرياتها، وفوزاً للقيم العليا في هذه الحياة، التي تتصارع على ساحتها نوازع الخير والشر، القيم والمبادئ العليا مع تيار الشهوة والمغريات.

هذا الموقف الذي تجاوز فيه إبراهيم -عليه السلام- عملية الاختبار الدقيقة بنجاح فائق، وإرادة منقطعة النظير، هذا الموقف الذي قد لا يتجاوز ساعة من الزّمن، فقد أصبح جزاؤه أن يكون شعاراً تلتزمه الأجيال، وتفخر به الأمّة على مرّ العصور، وكلّها تقدّم الهدي فداءً كفداء الله عزّ وجل لإسماعيل -عليه السلام-.

ولعل هذا هو السّر في عظمة الفداء، إذ أبدله الله عزّ وجل بذبح عظيم، وهو الكبش الذي اقتاده جبرائيل -عليه السلام- ليقدّمه فداء مكان إسماعيل -عليه السلام-، والذي جرى على منواله الفداء لكل حاجّ على أرض منى.

فمن ناحية، تعود عظمة الفداء الذي قدّمه جبرائيل إلى إبراهيم، إلى أنّ مصدر الفداء هو الله عزّ وجل، والوسيط جبرائيل -عليه السلام- والمستلم إبراهيم -عليه السلام-، والمفدى إسماعيل -عليه السلام-، فلهذه الخصوصيات أضفيت عليه صفة العظمة.

ومن ناحية أخرى: تعود العظمة إلى الإخلاص في النّيّة والطاعة، ونقاء السريرة، ومنطق الرّضا بحكم الله تعالى، وهو ما يتجلى على لسان إبراهيم الخليل -عليه السلام- **(إنّي وجّهت وجهي وسلّمت أمري للذي فطر السّماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين)**[1]. **(إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين)**[2].

هذه الكلمات التي لقّن بها إبراهيم -عليه السلام- ذرّيّته، ومن على ملّته من المسلمين على مرّ التأريخ، هي كلمات الإخلاص ذات المضمون العظيم الذي يعتبر مقياساً لقبول الأعمال عند الله تعالى.

فمن قربان هابيل وقابيل ابني آدم **(إذ قرّبا قربانا فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبّل الله من المتقين)**[3]،إلى قربان إبراهيم -عليه السلام- الذي قبله الله تعالى بهذا المضمون وبهذه الرّوح والفدائيّة الصّادقة، ليكون المحتذى لقرابين الأمّة وتضحياتها على امتداد تأريخها **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)**[4].

فكأنّ التقوى هي السّلاح الذي تذبح به النفس الأمّارة بالسّوء، وتقتل به كلّ النزوات والنزعات ومواقع الإغراء،

---

(١) سورة الأنعام: ٧٩

(٢) سورة الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) سورة المائدة: ٢٧.

(٤) سورة الحج: ٣٧.

ودوافع السّوء والشر، وليتهيّأ العبد المؤمن إلى خوض فصل آخر من فصول المعركة مع تلك المواقع والرّموز.

١٠- إلى حكمة الحلق

فاليوم يلقي الحاج بشعر رأسه كله على أرض منى؛ لينفض من على بدنه ونفسه غبار العناء، كما فعل في التقصير على المروة في إحلاله من إحرام عمرة التمتع، ولكنه هنا يلقي بشعره كله؛ لينفض معه ما علق في قلبه ونفسه من وساوس الشيطان ونزغه.

وبما أنّ الرأس في الإنسان هو أشرف عضو من أعضائه، فلا يطأطؤه إلا لأمر الله عزّ وجل، ولأنه مركز حياته، ومركز وعيه وعقله وتفكيره، فهو المحطة المهمّة الأولى للغزو من قبل إبليس وجنوده، بسموم البدع والأفكار المنحرفة عن جوهر عقيدته وثقافته وأخلاقه.

فعليه أن يستحضر بهذه العملية، أنّه عندما يلغي هذا المظهر المكثف الذي اعتاد عليه من الشعر،لا بد وأن يلغي معه كل فكرة وكل شبهة تعكر صفاء عقيدته.

بل يلغي كلّ موطن أو مخبأ يترصد له الشيطان من خلاله، ولا يدع له ولو شعرة واحدة يتسلّق بها أو يسري من خلالها إلى واقع الفكر والنّفس.

١١- إلى المبيت في منى

بعد انتهاء مناسك نهار العاشر من ذي الحجة، يتبع الحاج نهاره هذا بليلة الحادية عشرة، ليتهيّأ لخوض فصل جديد من فصول المعركة مع تلك الرّموز الثلاثة، التي تشير إلى المواقع التي ترصد بها الشّيطان لتلك الأسرة المؤمنة.

ففي اليوم الحادي عشر من شروق الشّمس إلى غروبها، بغض النظر عمّا إذا أدّى طواف الحج وصلاته، والسعي بين الصفا والمروة، وطواف النّساء وصلاته، أم أخّر أداء هذه الأعمال، فإنّه لا يسمح له أن يبيت خارج هذه الحدود في منى، إلا المسجد الحرام بشرط الاشتغال بالعبادة.

فهنا يُخيّر الله -عزّ وجل- عبده المؤمن بين هذين الأمرين رحمة وكرماً منه تعالى على عبده، فمن اختار منى فلينم ويخلد إلى الرّاحة والهدوء، بعد عناء النّهار وأوصاب المعركة، وجعل نومه عبادة يجزى عليها كما يجزى القائم في المسجد الحرام، لأنّه في ساحة المعركة اليقظة بأنفاسه وإحساسه.

ومن اختار مكّة فليقم على العبادة لا يفتر ولا ينام، لكي لا يتلاشى إحساسه ويتبلد بين المشاهد هنا وهناك، وليجزى ما يجزى النّائم في منى، فما أروع هذا التخيير وما أرعاه لحق العبد وحق ربّه عزّ وجل.

وهو ممّا يؤكّد أنّ الشّريعة الإسلاميّة في كافة بنودها وخطوطها التّشريعية، تصبّ في هذا الاتجاه، رعاية حق الله عزّ وجل وحق العبد، شريطة أن يبقى الإحساس بالله تعالى حيّاً في نفس العبد المؤمن حتى في مجال ممارسة حقه، في أيّ

مجال من مجالات الحياة.

ويتبع ذلك بالمبيت ليلة الثانية عشرة في منى، وبنفس التخيير السابق، ليتهيّأ لخوض فصل جديد من فصول المنازلة مع المواقع والشّواخص التي ترمز إلى الشيطان، ليؤكّد الحاج المؤمن، أنّ له ضد إبليس كرّة إثر كرّة، ويقظة إثر يقظة.

نعم، إنّه وإن أردى الشيطان في اليوم الأوّل، فلا يحسبنّ أنّ هذا هو الإنتصار الأخير، ولا يحسبنّ أنّه أصبح في أمان ووقاية من مكائد الشيطان، ولا ينبغي أن يعتبر نفسه بطلاً من أبطال المعركة ضدّ الشّيطان، أو أنّه قد أوصد في وجه الشيطان كلّ ثغرة، كما لا ينبغي أن يظن أنّ للشيطان قوة واحدة، وطريقاً واحداً، وقد قضى عليه.

بل لا بد أن يكون على حذر دائم، إذ قد يردي الإنسان عدوّه في أوّل جولة من الصراع، فيتظاهر العدوّ إما بالموت، أو بالهزيمة، ولكن ليعيد تنظيمه بفتح جبهة جديدة من المواجهة، ولا شك أنّ الشيطان يملك القدرة على المناورة والخدعة مع ابن آدم، فقد ينهزم فتصل ثقة الإنسان بعمله وطاعاته حدّاً كبيراً، ويتصوّر أن لا سبيل للشيطان عليه.

ولكن من الممكن أن يأتي الشيطان بزيّ آخر، أو بهويّة أخرى، فبدلاً من أن يأتي الإنسان في حانة الخمرة، أو أيّ موضع من مواضع المعصية كما كان، فإنّه سيأتيه في موضع الطاعة، ويدخل معه المسجد، أو يدخل معه في صفوف الصّلاة ليزرع في نفسه عنصر العجب والرّياء، لذا فقد يدخل صدّيق وزنديق المسجد في آن واحد فيخرج الصدّيق زنديقاً والزنديق صدّيقاً.

كما روي في هذا الصدد، أنّ عيسى -عليه السلام- مرّ على عابد متنسّك في صومعة، فبينما هو يحادثه، إذ مرّ شاب معروف بفسقه وانحرافه، فلمّا وقع بصره على عيسى -عليه السلام-، وقف خجلاً، وتسمّرت قدماه عن السير، وأخذ يرتجف، وقال في نفسه: ويل نفسي على ما فعلت لو رآني روح الله على ما أنا عليه، فوقع نظر العابد على الشاب، فقال: اللهم لا تحشرني مع هذا الفاسق.

فأوحى الله تعالى إلى عيسى -عليه السلام-: قل لهذا العابد: لقد استجاب الله دعاءك فلم يحشرك معه، لأنّه أصبح من أهل الجنة لندمه على فعله، وأصبحت من أهل النار لعجبك بعبادتك) مختصرة عن كتاب تزكية النّفس.

١٢- عودة إلى البيت الحرام

وإن كان من المفترض أن تكون هذه العودة إلى البيت الحرام لطواف الحج وصلاته، والسعي بين الصفا والمروة، بعد الانتهاء من أعمال منى في اليوم الأوّل يوم العيد، ولا ينبغي تأخيرها عن اليوم الحادي عشر، إلا أنّه عموماً لا بدّ من العودة بعد أن أدّى دور المواجهة المسلّحة ضدّ عدوّه اللّدود.

ومضمون هذه العودة هو : أن يتحرّك المؤمن من جديد في طواف حج التّمتّع، في مدار طاعة الله عزّ وجل، وفي نطاق الحدود التي رسمها الله لحركته، وصلاته عند المقام أو خلفه، ويلحقه السّعي بين الصفا والمروة، إلى طواف النساء وصلاته

بنفس الكيفية، وهو نقطة النّهاية من أعمال الحج ومناسكه التّطبيقية.

في هذه الجولة الجديدة في بيت الله الحرام، يستجمع الحاج المؤمن طاقات روحية ليختزنها عدة دائمة لجولات قادمة من الصراع والمجابهة.

لأنّ للشيطان أوجهاً عديدة، وللإنسان معه مواجهات جديدة، وله باقٍ حتى مع هزيمته في مواجهاته الواقعة.

وبعد هذا كله، فهل يا ترى للحج بداية ونهاية في جلال المعنى وسموّ المضمون التربوي؟ كلا، فإنّ البداية والنهاية إنّما هي للمناسك والأعمال التّطبيقية، التي قد لا يفكّر الإنسان بعملية الاستنتاج منها في حينها.

أما المضمون والاستفادة من هذا المضمون، فإنّه يبدأ عند فراغ الإنسان من أعمال هذه الفريضة، وبعد أن يصبح كيوم ولدته أمه.

كما جاء في الحديث: (**من لم يكن فيه ثلاث لم يجد طعم الإيمان – أو لم يتم له عمل – ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل**)[1].

وقال الإمام الصادق –عليه السلام– : (**لا يعبأ بمن يؤم البيت الحرام، إذا لم يكن فيه ثلاث خصال، خلق يداري به من صحبه، وحلم يملك به غضبه، وورع يحجزه عن معصية الله**)[2].

وقال –عليه السلام– : (**الحجّاج يصدرون على ثلاثة أصناف، صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، وصنف يحفظ في أهله وماله، فذلك أدنى ما يرجع له الحاج**)[3].

---

(١) الوسائل : ١٥ / ٢٤٦

(٢) عوالي اللئالي : ٤ / ٣٢

(٣) الكافي : ٤ / ٢٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم